مسخرة التاريخ
حقيقة مسلسل
الجماعـــــــة

جمال البنا

(1) أحمد حسين رئيس (مصر الفتــاة) الحزب الاشتراكي

(2) الأستاذ إحسان عبد القدوس ينصف الإخوان المسلمين ويعلن ما يمكن أن نطلق عليه «وصية كاتب مسلم»

(3) الإخوان المسـلمون أول حركة اجتماعية حداثيـة بقلم : ايفيزا لوبن

(4) قالوا عن حسن البنا

□□

كيف تحل مشكلة الإخوان المسلمين

D

أراد الله لي أن أنشأ في بيت الدعوة الإسلامية، بين أب عكف على التـأليف ونذر حياته لتصنيف أعظم موسوعة في الحديث النبوي «مسـند أحمـد بن حنبـل الشيباني»، وشقيق أكبر نذر حياته لإبداع فهم جديد للإسلام ونشره بحيث يـؤمن به مئات الألوف من المصريين وأمثالهم في الخارج، ولكن الله لم يقسـم لي أن أدخل «الكـُتـَّاب» أو أحفظ القرآن، لأن الأسـرة انتقلت من المحموديـة الجميلـة إلى أزقة القاهرة الضيقة، فدخلت المدرسة الأولية ثم الابتدائية ثم الثانوي، وبهذا كـان تعليمي «مـدنيًا»، ولكن عوامـل عائليـة وعاطفيـة، وكـذلك لأني رفضـت المجتمع البورجوازي بشهاداته ووظائفه، وبالطبع لم أكن قد تزوجت، فكان لـدي من الفراغ ما وثق علاقتي بالأب والشـقيق أكـثر من بقيـة الأخـوة، بحيث تـأثرت تأثيرًاعميقاً بروحهما الرسـالية، وبفضـل هـذه الوشـيجة العائليـة بالإمـام الشـهيد تعرفت على الإخـوان دون أن أكـون عضـوًا ملتزمًـا منتظمًـا، ذلـك لأن دراسـاتي المدنية وميولي الفكرية لم تكن مركزة وقتئذ وبوجه خاص حـول الإسـلام، ولكن على أجواء الثقافة الأوروبية الحديثة، وتاريخ الحركات الشعبية والجماهيريـة فيهـا والأفكار الاشتراكية والحركات النقابية والنسائية وتاريخ المكتشفين والمخـترعين الـذين رسـموا التقـدم، والأدبـاء والفنـانين الـذين أعطـوا الأوربـيين «الوجـدان»، باختصار سر قوة الحضارة الأوروبية، وكانت هذه الاتجاهات تبعدني عن الإخـوان، ولكن الجـذر العـائلي الإسـلامي بالإضـافة إلى رعايـة الإمـام الشـهيد لي جعلاني أسـهم في صـنوف من النشـاط الإداري للإخـوان كـإدارة المطبعـة، وسـكرتارية تحرير مجلة «الشـهاب»، وبهـذا تعـرفت على الإخـوان دون أن أذوب فيهم، وقـد تقبلوني على هذا الأساس أيضًا ولأنهم أدركوا أن رعاية الإمام البنا لي لابد أن لها ما يبررها.

وبعد ثلاثين عامًا من البحث وبعـد أن تـوفى الوالـد والشـقيق بـوقت طويـل عدت إلى نقطة البداية.. إلى الخط الإسلامي، ذلك لأنني وجدت ــ بفضل الثقافة الأوروبية الحديثة ــ في الإسلام كثيرًا من أبـرز عناصـر قـوة الحضـارة الأوروبيـة، وبوجـه خـاص الإنسـان والحريـات وقيم المسـاواة، بـل إنـني رأيتهـا في الإسـلام بتكييف ووضع أفضل مما هي عليه في الحضارة الأوروبية، فبدأت نشاطاً إسلاميًا برؤيـة جديـدة اعتـبرت في رأي البعض ـــ الأكثريـة ـــ هـدمًا لمبـادئ الإخـوان

المسلمين، بينما رأى البعض ــ القلة ــ أنها تكملة لرسالة لإخوان ولاحتمال ما كان يمكن أن يصل إليه الإمام البنا لو ترك ليبلغ التسعين، بدلاً من أن يعاجل في الأربعين.

* * *

وإذا كنت أنقد مسلسل «الجماعة» فإن ذلك ليس دفاعًا بوجه خاص عن الإخوان، ولكن دفاعًا عن الحقيقة، لأن الإخوان المسلمين بدأوا دورًا مجيدًا كان يمكن أن يتقدم بالبلاد، لولا أنها اصطدمت بظروف طارئة، فلم يتحقق ما كانت تريده، إن هذه الحقيقة ــ التي تعود إلى أسباب ــ طارئة أكثر مما هي أسباب كامنة ــ لا تبرر إهالة الادعاءات وإطلاق الأكاذيب، لأن الجماعة رغم كل شيء نجحت في كثير مما أرادت، فأحلت الإسلام المحل الذي يجب أن يشغله في المجتمع المصري، لأنه أعظم مقومات هذا الشعب وضميره، وتاريخه، ولغته.

لقد بدأت مصر تاريخها الحديث بانتفاضة 1919م، الانتفاضة التي تمثل فيها أمل مصر الذي كان مكبوتاً عبر القرون، فأرادت «الاستقلال التام أو الموت الزؤام»، وحولها هذا من انتفاضة إلى ثورة لها «نظريتها» الخاصة، وتريد تغييرًا شاملاً، وبالطبع تحركها الجماهير، ومن المؤسف أن انحرفت الظروف بالثورة وشعارها، وحدث هذا على يدي البطل الذي اختارته الجماهير عندما أخذ بالمفاضات وليس الاستقلال التام، والمفاوضات ترتبط بالسلطة آونة، ولا يمكن أن تحقق الأمل.

فقدت ثورة 1919م «ثوريتها» على أنها كانت من القوة بحيث أجبرت المحتل أن يترك لها شطرًا كبيرًا من الحرية بحيث ظهر المجتمع الليبرالي وظهر دستور 1923م الذي كان رغم أنه أخذ من فم الاحتلال المفترس ومن هيمنة القصر الطاغية ــ الملك فؤاد الذي كان خصمًا لدودًا للدستور ــ استطاع ثروت أن يقدم صياغة ممتازة قرر بها المسئولية الوزارية أمام المجلس المنتخب، وصد سعد زغلول بصلابته كثيرًا من عدوان الملك ولكنه للمرة الثانية خان الثورة عندما اغتيل السير لي ستاك قائد جيش الاحتلال وأراد كرومر فرض شروط جائرة أسوأها الهيمنة على السودان، كان سعد زغلول رئيس الوزارة وبطل الشعب، ولو أنه قال لا وقاد الشعب لعادت ثورة 1919م مرة أخرى، ولكنه قبل الشروط ثم استقال.

أن الثورة التي أرادها الشعب لم تتحقق تمامًا، ولكن تحقق جزء كبير من الحرية كان كافٍ لإقامة كل أمجاد مصر الحديثة: الجامعة، طه حسين وتوفيق الحكيم.. شوقي وحافظ.. أم كلثوم وعبد الوهاب.. إلخ، فصدرت فيها الصحف والكتب وتكونت الجمعيات والهيئات حتى اعتبرت مصر ملاذاً لكل الأحرار العرب ولكل الحركات التحررية في الشرق، ولكل طامح في الشهرة.

ولكن كان في الثورة نقص لم يلتفت إليه الشعب وهو في غمرة المطالبة بالاستقلال، ذلك أن هذا المجتمع الليبرالي لم يحل الإسلام محله في المجتمع، مع أن كل دعاة التحررية جاءوا من قادة إسلاميين من رفاعة رافع الطهطاوي «إمام البعثة» حتى جمال الأفغاني حتى محمد عبده الذي أنجب كادرًا كان أبرزه سعد زغلول وقاسم أمين ورشيد رضا.

نقول رغم هذا لم يأخذ الإسلام محله، فحدث «خلل» في المجتمع وظهر هذا الخلل في الإبقاء على وصمات اجتماعية واقتصادية جاء بها الاحتلال مثل الدعارة المنظمة، ومثل بيع الخمر عند البقالين، ومثل انحطاط الفنون قبل أن يتقذها سيد درويش، وكان المرابي اليوناني يحجز على آنية وحيوانات الفلاح ويبيعها، وكان الاقتصاد كله في أيدي الأجانب، وكانت فواتير المياه والنور تكتب بالفرنسية، بل إن المفتشين على عربات الترام والأتوبيس كانوا أجانب، ولم يكن في شارع «فؤاد» شركة مصرية سوى شركة بيع المصنوعات المصرية التي أسسها طلعت حرب، وظهر الفساد الحزبي وأصبحت السياسة مسرحًا للصراع ما بين الوفد المفتون بدعم الشعب القديم وإيمانه بسعد زغلول رغم أنه كان الذي خان الثورة مرتين وما بين أحزاب الأقليات التي لم يمنحها الشعب تأييدًا فالتمست التأييد في قصر الدوبارة حيناً وقصر عابدين حيناً آخر.

بدد هذا الجو التراث الإسلامي التنويري للشيخ رفاعة رافع ولجمال الأفغاني ولمحمد عبده ولرشيد رضا، ووجد فراغ في المجتمع المصري لم يتنبه معظم الباحثين إلى أن سببه هو غياب الإسلام، ذلك أن الإسلام هو أعظم مقومات الشعب، فإذا أحسن فهمه نهض بالمجتمع وإذا أسيئ فهمه أو إذا غُـيِّب وهن وضعف المجتمع، ودق ذلك على الباحثين لأن معظمهم كان يبحث برؤية أوروبية، لا تأبه للدين ولا تعطيه أهمية.

في هذا الوقت ظهر حسن البنا وبدا وكأنه هو ــ على وجه التحقيق ــ البطل المنشود بعد أن هيأه الله تعالى من طفولته ليكون داعية وتلاقت في يده الخيوط، خيط رفاعة رافع المستنير المسلم، وخيط جمال الأفغاني الثوري، وخيط محمد عبده الفقيه العقلاني، وخيط رشيد رضا الذي وضع السلفية

الميسرة وصنع من هذه الخيوط سبيكة ذهبيـة محكمـة هي الإخـوان المسـلمين، وإنما تمكن من هذا لأنه كان موجهًا من ميلاده لهذا، فهو ابن ثورة 1919م وغنى أهازيجها وهو فتى، ولأنه فهم سر التصوف الذي انغمس فيه في يفاعته ثم تركه، ولأنـه درس بـدار العلـوم مدرسـة العربيـة والإسـلام، فأخـذ من جمـال الأفغـاني القسمة الجهادية للإسلام، وأضمر بين جنبيه التجديد العقلاني للفقيه محمد عبده، ولكنـه بـدأ حيث انتهى رشـيد رضـا من وضـع سـلفيته الميسـرة، لأنهـا هي الـتي تتجاوب مع مستوى الجماهير، وكان هو الوحيد بين عباقرة الإصـلاح الـذي أشـرنا إليهم الذي استطاع أن ينقل هذه المفاهيم إلى الجماهير العريضة كائناً من كـانوا عمالاً أو فلاحين وركز على الشباب لأنه يعلم أنهم يمثلـون المسـتقبل، وكـان لـه مرونة عجيبة وقدرة على صهر التناقضات في حميا فكره، كما كان زاهدًا بطبعـه وحفظه الله من فتنة النسـاء، إذ تـزوج زواجًـا موفقـاً في سـن مبكـر، وكـان هم الدعوة الشاغل يشغله عما يشغل الناس.

مثل هذا الرجل لا يمكن أن يقارن بالباشوات، الـذين كـانوا قــادة المجتمـع، ولم يكن فيهم لا الثقافـة، ولا الكفـاح الحقيقي، ولا مقومـات القيـادة، وإنمـا هي المناصب والألقاب، وهو ما أدركه أحد الشخصيات العامة عندما قيل لـه الإخـوان قتلـوا النقراشـي ، فقتـل السـعديون حسـن البنـا، فقـال على البديهـة وبسـليقة «ولكن حسن البنا لا يعوض».

* * *

كان في دعوة الإخوان قصـور تنبهت إليـه من أيـامي الأولى، وأسـباب هـذه القصور يعود إلى سببين:

الأول: أن حسن البنا كان قائد جماهير، وكانت مهمته أن يوصل الفكرة لهذه الجماهير الغفيرة، ومع أن قائد الجماهير يقودها ويدفعها إلى الأمام إلا أنه مقيـد بالمستوى الفكري لهذه الجماهير، فكانت الجماهير تمسك القائـد من أن ينطلـق بها لأنها لا تطيق ذلك، وأعتقد أن الإمام البنا ــ رحمـه اللـه ــ كـان عالمًـا بهـذه الحقيقة ولكن لم يرفضها لأنه ــ وهذا هو السـبب الثـاني ــ كـان يعمـل بطريقـة المراحل وبتقديم الأهم على المهم، وبتأجيل ما لم يمكن علاجـه في مرحلـة إلى مرحلـة أخـرى، وكـان هـذا من حقـه لأنـه أنجـز الجـانب الأعظم من عملـه في عشرين عامًا، وكان ينتظر أن يعيش عشرين أخرى، وعشـرين ثالثـة بحيث يمكن ان يستدرك ما فاته، ولكن وأأسفاه، لقد عوجل وهو في الأربعين في عز العطاء.

وإلى هــذا التكــييف تعـود ظــاهرة أن الإخــوان المســلمين رغم إيمــانهم بمرشـدهم المؤسـس، فـإنهم لم يقومـوا بحقـه، ولم يحتفظـوا بتراثـه، وعنـدما

أدلهمت الأمور بعد مقتله، وظهر فكر آخر مناهض له ــ فكر سيد قطب ــ أخــذوا بهذا الفكر بعد أن حاولوا نقضه لأن المناخ الموجود وقتئذ ــ منـاخ عبـد الناصـر ــ كان مناخ عنف لا مناخ منطق، فتوارت «نحن دعاة.. لا قضـاة».. أمـام الحاكميـة الإلهية.

ولكن الجميع كانوا أبرياء، وإنما هي الظروف التي فرضـت نفسـها، والريـاح التي لا تأتي بما تشتهي السفن، فما كـان يمكن التملص من ضـرورة الكفـاح في فلسطين، وفي القتال، ثم جاء عهد عبد الناصر وصـراعاته، وهـذه كلهـا انحـرفت بالإخوان إلى ما لم يريدون بها، ولم تكن من صنع أيديهم، ولكنها أحـداث التـاريخ فرضت نفسها عليهم، وهم أحق الناس بما قال الشاعر:

لا يلم بعضكم على الخطب بعضًا أيها القــــوم كلكم أبريـــــــاء

* * *

لا جدال أن هذه المعاني كلها دقت على مؤلف المسلسل، فهـذا عـالم بعيـد عنه، لا يقربه ولا يفهمه، ولهذا جاء تصويره لحسن البنا هزليًا ساقطاً يكـاد يكـون سخرية من الواقع، ومع هذا فإنه ما فتأ يقول أتحدى أن يكون في المسلسـل مـا يخالف التاريخ، متصورًا أنه لن يجد من يرد تحديه.

أظن أن القارئ ألمَّ بالسبب الذي دفعني لكتابة هذا الكتاب، فمـا كـان لقـاء تليفزيوني أو عرض صحفي ليفي به.

كان لابد من هـذا الكتـاب حـتى نـرد على تحديـه حـتى ونصـلح العـوار الـذي أشاعه مسلسل «الجماعة»، وما كان لقاء تليفزيوني أو عرض صحفي ليفي به.

القـاهرة في **14 ذي الحجة 31 هـ**
20 نوفمبـــــر 10 م

أقلامنا 00 بيد من ؟

دأبت الصحف ـــ على اختلافها ـــ على الإشارة إلى مسلسل الجماعة باعتباره عمل عظيم باهر، استحق الأولوية على كل ما عرض في رمضان، وسالت الأقلام مديحًا في مؤلفه الأستاذ الكبير القدير رب الدراما وحيد حامد الذي قدم عملاً دراميًا رائعًا بحرفية ومهارة نادرة.. إلخ.. إلخ.

ولما كان هذا يخالف مخالفة تامة الواقع والحقيقة، ولأني آمنت أن المسلسل هو أسوأ ما قدم في رمضان، وأن معظم ما عرض مثل همام، وكليوباترا والملكة نازلي كانت أكثر توفيقاً، فقد جعلني هذا أتساءل عن السبب الذي جعل الأقلام تنحو هذا المنحى الذي كاد أن يأخذ شكلاً جماعيًا.

إن المسلسل لم يقدم دراما أصلاً، لا حسنة أو سيئة، فالدراما سرها أنها تصور صراعًا بين قوتين ينتهي بنهاية فاجعة، فمدام بوفاري لجوستاف فلوبير، وأنا كارنينا لتلستوي، تمثل صراع بطلتي الروايتين ما بين حبهما المشبوب وما بين الأوضاع والتقاليد وأحكام الزواج، وكيف أنهما لم يستسلما.. أو يخضعا، ولكن مضيا بحبهما إلى النهاية التي أدت إلى موتهما في مشهد درامي مؤثر، كما أن التراجيديا اليونانية تقوم معظمها على الصراع ما بين إرادة الفرد ومشيئة القدر، وتبلور قضية الحرية، وكلها لها أبطال.. وبطلات.. وموضوع.. وحبكة أو عقدة ونهاية مأساوية.

ليس في مسلسل «الجماعة» شيء من هذا، إنه عرض هزيل لأحداث واجتماعات مختلفة، قد يكون لبعضها أصل، ولكن المؤلف يعطيها الطابع الخاص الذي يريده، إما بتصويرها في شكل معين، أو بإضافة كلمات من وضعه هو، ولم تحدث في الحقيقة، وإذا كان فهي إثارة عملية المفرقعات وتدبير اغتيالات التي عرضت بالصورة المحرفة المزورة التي أرادها المؤلف.

كان الاحتمال الوحيد ليكون المسلسل عملاً دراميًا هو ما اشار إليه الكاتب صلاح عيسى في مقال بجريدة القاهرة (21/9/2010م) «فإن مشكلة مسلسل «الجماعة» مع «الجماعة» تكمن في رسالته الأساسية وهي جوهر أي عمل فني

وأي تقييم تاريخي، وهي رسالة تقول وبوضوح إن حسن البنا أقرب ما يكون إلى بطل تراجيدي، حقق نصره التاريخي حين أسس جماعة كبيرة تسعى بدعوة المسلمين للالتزام بأصول دينهم وأداء فرائضه، والالتزام بآدابه حتى وصل إلى القمة، لكنه ــ ككل بطل تراجيدي ــ وقع في خطئه التاريخي حين أقحم جماعته في السياسة ليقوده ذلك إلى استخدام العنف في الصراع السياسي، فيؤسس الجهاز الخاص الذي كان أقرب ما يكون إلى جيش كامل، يمارس كل ما تمارسه الجيوش، ويملك الكثير من الأدوات والإمكانات والمؤسسات التي تملكها، إلى أن جاء الوقت الذي فقد فيه سيطرته على هذا الجيش، الذي شعر بقوته وأنه مصدر كل ما حققته الجماعة من هيبة ونفوذ، فبدأ يقوم بعمليات لحسابه ولحماية نفسه، وليس لحساب الجماعة أو حتى لهدف تحقيق الفكرة الإسلامية، لينتهي هذا بحل جماعة الإخوان المسلمين، ثم باغتيال حسن البنا نفسه».

ولكن الأستاذ صلاح عيسى ــ بحكم عدد كبير من العوامل التي ترتفق على الكاتب الذي يكتب عن موضوع سياسي ويحكم أنه أحد أفراد الأنتلجنسيا التي سنوضحها في فقرة تالية أساء تكييف دور النظام الخاص وناقض نفسه ــ عندما قال بعد الكلمات السابقة «تلك هي الرسالة التي أراد المسلسل أن يوجهها إلى جماعة الإخوان المسلمين، وهي استخلاص تاريخي صحيح ودرس ينبغي أن يعيه الإخوان، لأنه لمصلحتهم ولمصلحة الوطن ولمصلحة الإسلام».

وإنما قلنا إنه ناقض نفسه لأن مؤلف المسلسل لم يحقق الشطر الأول من المعادلة التي افترضها صلاح عيسى أن يكون «حسن البنا بطلاً تراجيديًا حقق نصره التاريخي حين أسس جماعة كبيرة تسعى بدعوة المسلمين للالتزام بأصول دينهم وأداء فرائضه، والالتزام بآدابه حتى وصل إلى القمة»، إن مؤلف المسلسل ضن على حسن البنا «بشخصية التراجيديا التاريخية»، لأنه أبداه شخصًا هزيلاً، انتهازيًا، ضعيفاً يسعى لينال عطف المسئولين ويعمل لخدمة الملك.. إلخ، ومن هنا فإن عقدة «التراجيديا» لم تتحقق.

على أن كلام الأستاذ صلاح عيسى ما كان يمكن أن يتحقق حتى عند عدم تحامل المؤلف، ذلك لأن العنصر البارز في كل دراما أن أبطالها من خلق المؤلف الذي أبدع هذه الشخصيات واختارها بعناية ثم جعلها تؤدي أدوارًا وتقول أقوالاً، ثم وصف العوامل الاجتماعية في المجتمع خلال عرضه للأحداث التي أبدعها وقوة هذه العوامل التي تعارض الحب الذي سيطر على البطلة بحيث لا يكون هناك حل سوى النهاية المأساوية، كما في روايتي «مدام بوفاري وأنا كارنينا»، فإن مؤلفيها غاصا في أعماق الشخصية كما غاصا في أعماق المجتمع، وكان لديهما من الثقافة والذكاء ما يجعل ذلك يعمق الإحساس، وابتدعا المواقف

والحـوارات الـتي تحقـق مـا أرادا أن يكـون عملهمـا دراميًـا، فـالمؤلف خلـق شخصياته، وبفضل هذا انفسح المجال لعبقريته في إبداع الشخصية، والمواقـف، والحوار لأنها كلها من خلقه وإبداعه.

هذا ما يمكن أن نفهمه من دراما مثل «مدام بوفاري» أو «أنا كارنينيا».

ويمكن أن يقال هذا على التراجيديا اليونانية التي تمثل صـراع الإنسـان ضـد القدر، فقد وضع مؤلفوها اليونانيون كهنة يمثلـون القـدر وبهـذا كـانوا أحـرارًا في تحريكهم وتقويلهم ما يشاءون.

وهذا كله لا يمكن أن يتحقق عندما يكون موضوع المسلسل هيئة معينـة لهـا فكر معين ويرأسها شخص تاريخي له وجوده الخاص ووخلائقه ومواهبه.. إلخ، إن المؤلف لا يمكن أن يكون حرًا، فإما أن يصورهم كمـا هم ويكـون عملاً تسـجيليًا، ليس فيـه فن أو درامـا، وإمـا أن يعرضـهم بصـورة مخالفـة لحقيقتهم ويعـرض رئيسها بصورة مناقضة، فهـذا تزييـف للتـاريخ، وهـو مرفـوض بكـل المعـايير، ولا يمكن الاعتذار عنه بأي ادعاء «درامي»، فليس من مهمة الكاتب الدرامي تزييف التاريخ وتضليل الأجيال.

كان باستطاعة السـيد وحيـد حامـد أن يخلـق هيئـة، وليطلـق عليهـا جماعـة المؤمنين، وليضع على رأسها رجلاً من إبداعه، ويرسم له الطريق الذي يسـلكه.. إلخ، في هذه الحالة لا يمكن الادعاء عليه بأنه زيـف التاريخ، لأنه إنمـا تحـدث عن شخصيات ليس لها وجود عملي، وإنما هي من إبداعه الخاص، ويدع للمشـاهدين حكمهم على مدى انطباق هذا على الإخوان.

بل إن السيد وحيد حامـد كـان يمكن أن يؤلـف درامـا حقيقيـة لـو أنـه صـور الصراع بين هيئة شـعبية جماهيريـة.. وبين السـلطة، ومـا حفـل بـه هـذا الصـراع طـوال ثمـانين عامًـا بأنبـاء من السـجون والاعتقـالات، ومـا أدى إلى تفجـيرات واغتيالات، وآثاره وانعكاساته على حاضر المجتمع ومستقبله، فهـل هنـاك مـا هـو أفضل من هذا لتصوير دراما ظلت لأكثر من ثمانين سنة ؟ ولكن هذا كان يتطلب «تولسـتوي» ليضـع «الحـرب والسـلام»، وليس ليؤلـف «الإرهـاب والكبـاب» أو «طيور الظلام».

وهكـذا يتضـح أن المسلسـل الـذي أذيـع في رمضـان، والـذي اسـتقبل من الصحافة استقبالاً كما لو كـان إنجـازًا، وسـيقت كلمـات المـديح للمؤلـف القـدير والأستاذ المتمكن وبُرهن على ذلك أنـه رزق أعظم مشـاهدة، ولكن فـات الـذين ذكـروا ذلـك أنـه لم يكن لسـواد عيـون المؤلـف.. والممثلين.. وأدائهم، ولكن لأن

موضوع المسلسل هو جماعة الإخوان المسلمين، ولأن بطلها هو حسن البنا، وكل المجتمع المصري معني بأن يعرف أي شيء عن الجماعة، خاصة وأن جماعة الإخوان المسلمين لم تستطع أن تعلن عن نفسها لأنها سلخت المدة من 1952م حتى الآن وهي «محظورة» محاربة.

لهذا كان شوق الناس عظيمًا لمعرفة هذا الموضوع الجديد، ولأن الناس إما مؤيد وإما معارض، وكل واحد يهمه أن يعرف كيف سيسلك المسلسل سبيله في هذا الوضع الحساس.

وأشهد الله إني لم أر فيما قدمه السيد وحيد حامد إلا مجموعة من الشبان المهوسين وكمية هائلة من الطرابيش رديئة الصنع، لا أدري من أي «كانتو» جمعوها، ويبدو أنه ليس لديهم فكرة عما كانت عليه الطرابيش، أو أنهم تعمدوا هذه الرداءة، كما تعمدوها أيضًا في صورة العمائم التي وضعوها على رؤوس بعض الإخوان وقد أقحم المؤلف وجهًا نسائيًا حتى يلين من جفاف المشاهد، ولكنه ما كان يمكن أن يقدمه بالصورة التي تكسب إعجابًا، وجاء تمثيل السيد أياد متكلفاً في الحركات والأقوال، للاتجاه الخسيس الذي أريد به إسقاط صورة حسن البنا إلى مستوى الابتذال السوقي، وظهر وهو يتحدث عن الملك، كما لو كان واعظاً من وعاظ الأوقاف، وصورت صلاته بالحكام كما لو كانت استجداء، كما ظهر منهارًا نادمًا بمجرد ظهور الحل، كما لو أن كل شيء قد انتهى(*).

* * *

هذا التفارق الشاسع بين الحقيقة وبين ما فاضت به الصحف وأجهزة الإعلام من ثناء ومدح جعلنا نتساءل أقلامنا بأيدي من ؟ فهذا هو ما يجلي الموقف.

- هناك «كتاب الحكومة» ويدخل فيهم معظم الذين يحررون الصحافة الحكومية، ومعظم الذين يهيمنون على الإذاعة والتليفزيون، فهؤلاء «موظفون» لدي الدولة، وطبيعي أن يمثلوا اتجاهاتها، ومن غير المعقول أن يمثلوا هيئة تعتبرها الحكومة ألد أعدائها، بصورة منصفة أو عادلة، فإذا كان الطرف ظرف انتخابات تتحفز فيها كل القوى لتحقيق التغيير، فلا يكون معنى لأن تشتري الحكومة المسلسل وتدفع فيه أكثر من عشرين مليوناً

(*) مما يدخل في التزييف ما ذكرته كاتبة في «الأهرام» (25/9/2010م) تحت عنوان إياد نصار: لم أقدم حسن البنا ولكني جسدت أفكاره، وكانت أجمل شهادة اعتراف من جمال البنا الشقيق الأصغر لحسن البنا الذي أشاد بجمال أداء إياد والذي قلته هو أن إياد كان في بعض المشاهد عندما يقف مبتهلاً وواضعًا الطربوش يبدو فيه بعض شبه من الإمام الشهيد، أما عندما خلع الطربوش فكان شخصًا آخر مختلف تمامًا، لأن الأمام البنا كان أصلع، بينما ظهر إياد بشعر كثيف كشعر شاب في العشرين.

وتذيعه أكثر من مرة كل يـوم، إلا أن الحكومـة أرادت أن تعلن حربًـا شـعواء على أقوى خصومها، ولعل الدكتور عبد المنعم سعيد أن يكون استثناءً بحكم ثقافته وتمكنه واعتزازه بنفسه، وعندما وضعته الدولة على رأس «الأهـرام» فإنها جعلته يؤدي دورًا «دراميًا» يحاول فيـه الحفـاظ على الأمانـة العلميـة، والحيلولة دون خيانة الكلمة أو تزييف الحقيقـة، ولكنـه في الـوقت نفسـه لا يمكن الجهـر بمـا يخـالف سياسـة الحكومـة، ولهـذا فإنـه في كتاباتـه عن «الجماعـة» تفـادى تمامًـا الحـديث عن الجماعـة وتحـدث عن الإخـوان المسلمين كهيئة ودورها في المجتمع ودور الـدعوات الإسـلامية في ماليزيـا وتركيا بالمقارنة وتصرفات المرشد العام (الأستاذ عاكف).. إلخ، بمعـنى أنـه تفادى بلباقـة الحـديث عن مسلسـل الجماعـة رغم أن عنـوان المقـال كـان حديث عن جماعة الإخوان المسلمين (23/8/2010م)، وعـاد مـرة أخـرى (20/9/2010م) للحديث عن التجربة الإسلامية في الحكم وركز حديثـه على مـا قالـه الـدكتور محمـد بـديع المرشـد العـام للجماعـة خلال حفـل الإطـار السنوي بمدينة طنطا في 17 أغسطس 2010م إن الجماعة تتمسك بشعار «الإسلام هو الحل» بعد أن فشلت الحكومة في تقديم البـديل وقـادت البلاد إلى الفساد والخراب، فيقول «بعيدًا عن الاستنتاج الذي توصل إليه المرشـد عن «خراب دولـة يوجـد في بنوكهـا 900 مليـار جنيـه، ولـديها من الاحتيـاط العام في بنكها قرابة 35 مليار دولار، ويحتفظ فقراءها في دفاتر البريـد مـا يتجاوز 68 مليار»، فهو هنا يذكر جانبًا حسـناً، ولكنـه يتغاضـى عن المـؤامرة على زراعة القمح الذي حاربت في سبيله الأستاذة سكينة فؤاد حربًا متصـلة وإعلانهـا مشـروع الـدكتورة زينب الـديب عن زرع التقـاوي المحسـنة الـتي تجعل الفدان يغـل 35 طنـاً، ويمكن تعميمـه في الصـحراء بأسـاليب علميـة تكفل إتاحة الكفاية من القمح، فلا نضطر لشـراء ملايين الأطنـان من القمح السيئ المغشوش أو الغالي أو بشروط عسيرة، ولا يتحـدث عن الخصخصـة الـتي أتت على مصـانع البلاد، فمـا أن تتم خصخصـة مصـنع حـتى يوقـف المستثمر الإنتاج ويسرح العمال ويـبيع أرض المصـنع باضـعاف مـا دفعـه، أو جريمـة المبيـدات المسـرطنة الـتي أصـابت الملايين بـأمراض الكلي والسرطان، أو وئـد مشروع تربية العجول لحساب مافيا استيراد اللحـوم، أو نهب أرض مصـر بـآلاف الفـدادين كمـا في «مـدينتي» وغيرهـا، أو الفسـاد والرشـاوي في كـل مرفـق، أو تهـاوي التعليم، أو اختلاط الصـرف الصـحي بمياه الشرب، أو إنحطاط الأجور إزاء الارتفاع المستمر للأسعار، أو البطالة المستشرية، أو الدين القومي والدين الأجنبي الذي جـاوز النسـبة المأمونـة، أو مؤامرة أصـحاب أعمـال يقيمـون المصـانع في دولـة خارجيـة فيصـرفون

عليها من مال مصر، ولكنهم يودعون أرباحها في البنوك الأجنبية لحسابهم، ولم يتحدث عن ارتفاع حالات الانتحار هربًا من الفقر، أو حالات الهجرة في قوارب إلى إيطاليا أو اليونان حتى وإن انتهى بالغرق، لأن الموت في البحر أفضل من الحياة في مصر، أو الاعتقالات والتعذيب التي في أقسام البوليس، كل هذه البلاوي التي «خربت» فعلاً البلد لا يذكرها محامي الحكومة الذكي»، بل يذكرنا بما في أيدي الرأسمالية أو البنوك من أموال الشعب الذي يعيش في المقابر والعشش ولا يجد قوت يومه.

فهذه هو حال أفضل وأذكى كتاب الحكومة، أما البقية فلا يعرفون إلا الزلفى والتملق للرئيس، والحديث عن الجنين الذي ينتخب الرئيس في بطن أمه.

- **ثانيًا**: اليساريون والاشتراكيون والعلمانيون وفلول الناصرية والقومية العربية، وهي قبيلة كبيرة تضم خريجي المدارس والجامعات الأمريكية أو البعثات إلى الدول الأوروبية، وكل الذين يستلهمون الثقافة الأوروبية ويعودون إليها ويحتكرون العمل في الصحافة والإذاعة والتليفزيون ومختلف وسائل التأثير في الرأي، وهؤلاء بصفة عامة إما أنهم أعداء للفكر الديني عامة وللفكر الإسلامي خاصة، وإما أنهم لا يعتقدون أصلاً بالدين لأنهم «دنيويون» وهي التسمية الصحيحة لتعبير «العلمانية»، وكل هؤلاء يضيقون بأي اتجاه إسلامي، فإذا كتبوا فإنهم يبرزون النواحي السلبية أو التقليدية.

وإذا كان فيهم ــ رغم هذا ــ من يؤمن بالإسلام فهو يؤمن به باعتباره عبادة وهو يصلي ويصوم ويحج لأنها شعائر الإسلام، أما المجتمع فهذا عالم آخر لا علاقة له بالإسلام.

إن معظم الأقلام هي في أيدي هذه القبيلة، كما أنها تهيمن على التليفزيون والإذاعة.

- **ثالثاً**: الكتاب الفنيون الذين يتحدثون عن السينما والمسرح والغناء والموسيقى، ومن الطبيعي أن يجامل هؤلاء زميلاً لهم متمكناً فهم زوج تليفزيونية بارزة وأب لمخرج وسيناريست لعدد من أبرز الأفلام مثل «الإرهاب والكباب»، و«طيور الظلام».. إلخ، خاصة وأنهم بحكم ميولهم وعملهم لا يضمرون حبًا أو تأييدًا لاتجاهات دينية.

* * *

وهكذا نفهم كيف أن معظم الصحف ــ باستثناء ــ الدستور التي ذكرت أن «الجماعة» هي الأقل مشاهدة، أخذت تكيل الثناء لوحيد حامد وترفع إلى عنان السماء المسلسل، فهذا هو ما توجبه الزمالة في المهنة.

ومع هذا فقد كتب الـدكتور رفيـق حـبيب تحليلاً منصـفاً للمسلسـل ونشـرتها «الدستور» (يوم 11/9/2010م)، ونحن نعيد نشـرها هنـا لأنهـا تحـدثت بصـراحة عن المسلسل:

[أثار مسلسل الجماعة جدلاً واسعًا، جعل جماعة الإخوان المسلمين حاضرة في المشهد السياسي قبيـل الانتخابـات البرلمانيـة بقـوة، وهـو حضـور اجتمـاعي وسياسي، بين مؤيد ومعارض لها، وككل التيارات الفاعلة والمؤثرة، نجد لجماعـة الإخـوان المسـلمين مؤيـدين لهـا ولمشـروعها، ومؤيـدين لمشـروعها دون تأييـد الجماعــة وتنظيمها، ومعارضــين لهــا ولمشــروعها، وهي حالــة تتســم بالحيويــة والطبيعية، تجعـل الجماعـة حركـة فاعلـة في الشـارع، لهـا إيجابيـات وسـلبيات، وتحقـق انتصـارات وإخفاقـات، هكـذا أصـبحت الجماعـة حاضـرة في مسلسـل رمضـاني، جعـل اسـم الجماعـة يـتردد في وسـائل الإعلام لتصبح مـادة النقـاش الرمضاني، وغاب اسم المحظورة، فالمسلسل جعل لجماعة الإخوان المسـلمين اسم شهرة جديدًا، وهو «الجماعة».

ولكن المسلسـل جـاء وسـط مشـهد سياسي، وفي قلب خصـومة سياسـية محتدمــة بين النظـام الحــاكم وجماعــة الإخــوان المسـلمين، أي الجماعة، وكـل الجدل المثار حول المسلسل، أوضح حقيقة أن المؤلف الأسـتاذ وحيـد حامد، لـه موقف من التيار الإسلامي، وهو موقف لم يخفه من قبل، ومن المتوقع أن يقـدم المسلسل من خلال موقفه الفكري، ولا يفترض أو يتوقع أن يقدم عملا موضوعيًا بعيدًا عن موقفه، يمكن أن ينتج صـورة تخـالف تصـوراته الشخصـية، أمـا عـرض المسلسـل علي شاشـات التليفزيـون الحكـومي، فقـد كـان كاشـفاً عن تحـيز المسلسـل ضـد الجماعـة وضـد حقيقتهـا التاريخية، لأن التليفزيـون الحكـومي لا يمكن أن يقــدم حقيقــة الجماعة، بعيدًا عن خصــومة النظــام الحــاكم معها، ولم نعرف عن خصم سياسي يقـدم معارضـيه بموضـوعية ويعـرض رؤيتهم وحقيقتهم للناس، ويتطوع بنشر حقيقة تاريخهم نيابـة عنهم، لـذا أصـبح تحـيز المؤلـف ضـد التيار الذي تنتمي له الجماعة، وتحـيز وسـيلة النشـر الأساسـية وهي التليفزيـون الحكومي ضد الجماعة، سببًا كافيًـا للقـول بـأن المسلسل جـاء لا ليعـرض تـاريخ الجماعة، بل ليعرض رؤية مخاصمة لها، تفسر تاريخها حسب تحيزها السياسي.

والمشـكلة الأولى في هـذا العمل، تتعلـق بمدى إمكانيـة وضـع التفسـيرات السياسية علي لسان أبطـال الحـدث التـاريخي، حتى يقـدم البطـل نفسـه دليـل إدانته التي يحتاج لهـا الخصـم السياسـي حـتى يثبت موقفـه منه، أو حـتى يحقـق انتصارات سياسية عليه، ففي المسلسل مشاهد من التاريخ، أضيفت لها تعبيرات

وكلمات لتدين صاحبها، وأعيد ترتيب الحدث أو تصويره حتى يحمل إدانة للجماعة من داخل تصرفات وكلمات قيادتها وأعضائها، فأصبح النقد الذي يراد توجيهه للجماعة، ينطق به البطل نفسه، أو حسن البنا مؤسس ومرشد الجماعة الأول، وغابت معايير مهمة في تناول التاريخ، فالحدث لا يخضع لرأي المؤلف، بل يخضع لما هو مسجل تاريخيًا، بعيدًا عن الآراء والمواقف السياسية، ولكن مسلسل الجماعة جاء كعمل سياسي في قالب فني، له أهداف سياسية واضحة.

والمشكلة الثانية في مسلسل الجماعة، هي غلبة استخدام الإعلام من النخبة الحاكمة والنخب العلمانية المعارضة للمشروع الإسلامي، بدرجة جعلت البعض يتصور أن الإعلام قادر على خلق الحقيقة أو تغييرها أو تشويهها، فأصبحت اللعبة السياسية هي لعبة إعلام في المقاوم الأول، وهو تصور خاطئ، لأنه يغلب ما يحدث في بيئات أخرى مثل الغرب، حيث يسود الإعلام ويخلق تصورات الناس، وحيث تغلب صورة المشاهد الجالس أمام التليفزيون مستسلمًا لما يشاهد، لدرجة تجعل الإعلام هو صانع الرأي العام الأول، ولكن الوضع في المجتمع المصري، مثل غالب المجتمعات العربية والإسلامية، يختلف عن ذلك، حيث إن صانع الحقيقة هو الواقع، وهو الرأي السائد بين الناس، ووسيلة الإعلام الأولى، والتي تحظي بأكبر درجة تأثير في المجتمعات العربية والإسلامية، أي المجتمعات التقليدية المحافظة، هي شبكة العلاقات الاجتماعية، فالرأي الذي ينبع من المعاشرة والمعرفة المباشرة، والذي يتم نقله بين الناس، من خلال شبكات العلاقات الاجتماعية والتي تستند علي قواعد الثقة، هو الذي يكتسب مصداقية بين الناس، والناس التي تعرف الجماعة وتعاشر أعضاءها وتتعامل معهم، تعرف حقيقتهم، سواء كانت تؤيدهم أو تعارضهم، ولا تحتاج لمن يقول لها ما الحقيقة، وهنا خطأ إعلامي يتكرر من قبل النخبة الحاكمة، لأنها تحاول صنع الواقع إعلاميًا بصورة تختلف عن الواقع الفعلي، وتتصور أن الناس يمكن أن تصدق هذا، وهذا الخطأ يتكرر مرة أخرى مع الجماعة، حيث يحاول المسلسل تقديم صورة لحسن البنا، تختلف عن الحقيقة بشهادة الشهود والتاريخ المسجل، بل ومعظم المراجع التي استخدمت في المسلسل أيضًا.

والمشكلة الثالثة هي الطريقة التي قدم بها حسن البنا، والكيفية التي أريد بها لصق تهم التطرف والعنف والانشغال بالزعامة والمكاسب السياسية، فهذا الأسلوب يعني أن الخصومة التاريخية بين النظام والجماعة، تتغلب حتى علي أهمية وضع شخصية بحجم حسن البنا في مكانها التاريخي المناسب لها، فحسن البنا يمثل علامة في التاريخ المصري، حيث جعل لمصر دورًا محوريًا في العالم الإسلامي، وأصبح من ضمن القوى الناعمة لمصر، التي ترفع وضعها الريادي،

في وقت غـاب التـأثير الريـادي لمصـر علي يـد النخبـة الحاكمة، ولكن خصـومة المؤلف والمسلسل لم تتوقف علي الجيل الـراهن، بـل امتـدت للتـاريخ، فجعلت التاريخ جزءً من خصومات السياسة، وهو عادة تكررت مع كل الأنظمـة الحاكمـة بعد ثورة يوليو، حيث بات التاريخ ضحية لخصومات النخبة الحاكمة.

والمشكلة الرابعة تتمثل في عدم القدرة علي تقديم الجماعة علي حقيقتهـا ونقـدها، وتلـك مشـكلة أساسـية في كـل الحملات الحكومية، أو حملات النخب العلمانية، صـحيح أن بعض السياسـة لا تعـرف الأخلاق، وتـبرر كـل الوسـائل في الخصومة السياسية، ولكن قدرة أي طرف على هزيمة خصم ترتبط بقدرته علي تقديم حقيقة هذا الخصم ونقدها، لأنه إذا نجح في تقديم صورة خصـمه الحقيقيـة وأقنــع الناس بالبعد عنه، عندئذ يكون قد حقق انتصارًا عليه، ولكن تشويه صورة الخصم ثم نقـده، يـؤدي إلى رفض بعض النـاس لتلـك الصـورة المشـوهة، ولكن موقفهم يتغـير بمجـرد معـرفتهم بالصـورة الحقيقية، كمـا أن معـرفتهم بالحقيقـة تظهر حقيقة من خـدعهم وشـوه صـورة خصـمه علي خلاف الواقع، وكمـا فشـل خصوم الجماعة في عرض صورتها بدون تزوير، وإقناع الناس بعدم تأييدها، اتضح أن صورة الجماعة في حد ذاتها جاذبة للجماهير، وأن خصـوم الجماعـة يشـوهون صورتها حتى لا تعرف الجماهير حقيقتهم ويقبل الكثير منهم علي تأييد الجماعة.

والمشـكلة الخامسـة تتمثـل في البـديل، ففي الهجـوم علي الجماعـة في الأعمال الفنية، نجد أحياناً هجومًا على النظام، فهو ليس البـديل المناسب، ولكن صورة البديل تظل حائرة في تلك الأعمال، فكـل عمـل سـوف يقـدم البـديل في رؤية إسلامية معتدلة، سوف يجـد نفسـه يـروج لمشـروع الجماعة، حـتى وإن لم يروج للجماعة نفسها، والغالب أن أي ترويج للمشروع الإسلامي، حـتى وإن كـان بتصورات تختلف عن تصـورات الجماعة، يُعـد ترويجًـا لمشـروع الجماعـة ضـمناً، وتقويـة لجمـاهير التيـار الإسـلامي، لـذا نجـد أن البـديل الـذي يظهـر خجلاً أمـام الصـورة المشـوهة للجماعـة ولكـل التيـار الإسـلامي، ليس إلا التحـرر بـالمعني الليبرالي، فتظهر الحرية الفردية، والتحـرر من قيـود التـدين الجامد، حـتى نصـل للرسالة الواضحة للبـديل، فنجـد أنـه التحـرر علي النمـط الغـربي، والخـروج من التقاليد وحكم الدين، ويصبح الفهم المستنير للدين، هو الفهم الذي لا يعيق حرية الفرد ويسمح له بكامل الحرية، فيصبح الدين شأنا فرديًا، وليس للمجتمـع علاقـة به، حتى يتحرر نظام المجتمع من الدين، وهنا تفشل كل رسائل تشويه الجماعة، عندما يتضح أن البديل هو الخروج من النمط الشـرقي المتـدين المحافظ، الـذي

ظل النموذج المميز للحضارة العربيـة الإسـلامية، فتصـبح الحريـة الشخصـية أولاً وقبل الدين] انتهى.

كمـا كتب قطب القضـاء المستشـار محمـود خضـيري كلمـة في «المصـري اليوم» (19/9/2010م) تحت عنوان «جماعة وحيد حامد»:

«كنت أتمنى مشاهدة جميع حلقات مسلسـل الجماعـة لا رغبـة في معرفـة تاريخها فإنى أعرف منه ما يكفي للحكم عليها سـواء عن طريـق القـراءة أو عن طريق معاشرة بعض رجالها أو عن طريق سماع بعض الروايات ممن أتيحت لهم فرصـة معاصـرة بعض الأحـداث أو رؤيـة ومجالسـة الإمـام حسـن البنـا من غـير الإخوان المسلمين، ومن هنا فإن عجبي الشديد من تصوير شخصـية حسـن البنـا فى المسلسل، فحسن البنا بكل المقاييس كان زعيمًا، لديه كل مؤهلات الزعامة الـتى تزيـد كثـيرًا عن مـؤهلات الكثـير ممن كـان يعاصـره من الـوزراء ورؤسـاء الوزارات الذين عاصرهم والذين أظهر المسلسـل وحلقاتـه الأخـيرة حسـن البنـا أمامهم على أنه أقل شخصية، فليس حسن البنا الذى يبكي كالأطفال أمام وزيـر الداخلية بعد قرار حل الجماعة ويحاول وزير الداخليـة تهدئتـه ومنعـه من البكـاء، وليس حسن البنا بالشخص التافه الذى يظل يضرب رأسـه في المنضـدة طـوال حلقة كاملة بعد تنفيذ قرار حل الجماعة والقبض على أعضائها، حسن البنـا الـذى أنشـأ جماعـة استعصـت على القضـاء عليهـا طـوال أكـثر من ثمـانين عامًـا رغم الضـربات الـتى تلقتها، والـتى تنهـار أمامهـا الـدول، ليس بالشـخص العـادي أو الضعيف الذى ينهار ويضرب رأسه في المنضدة، كما ظهر في المسلسل.

أمر آخر أظهره المسلسل أثار اسـتغرابى واسـتغراب الكثـيرين غـيري وهـو عدم إظهار نشاط الإخوان وبلائهم في حرب فلسـطين رغم أنـه نشـاط كفـاح لا يستطيع أحد مهمًا، كان عداؤه لهم، إنكـاره، والمسلسـل رغم أنـه لم يظهـر هـذا الكفاح حاول أن يشوه صورته بالادعاء على لسان أحـد أعضـاء الجماعـة أن هـذا الجهاد ضد اليهود في فلسطين لم يكن نابعًا عن حب الجهـاد، بـل كـان نابعًـا من محاولة لفت نظر الناس بعيدًا عن حادث مقتل القاضي الخازنـدار، فأحـد أعضـاء الجماعة نبه المرشد حسن البنا إلى أن رد الفعل الشـعبي ضـد مقتـل الخازنـدار يمكن القضاء عليـه عن طريـق إعلان الجهـاد ضـد اليهـود فى فلسـطين، وبـذلك ينشغل النـاس بهـذا ويبتعـدون عن مناقشـة قضـية قتـل الخازنـدار[1]، وهـذا فى الحقيقة ظلم للمجاهدين ما بعده ظلم، وهو على أي حـال ظلم دنيوي لأن جـزاء

---

1) كان مقتل الخازندار في مارس سنة 1948م، بينما بدأ الإخوان في الدعوة لفلسطين من سنة 1938م. (جمال البنا)

المجاهدين المتكفل به الله سبحانه وتعالى الذى يعلم السرائر ويجازي كل إنسان بقدر نيته.

وجهة نظر المباحث العامة أن من قام بتفجيرات المحال اليهودية مثل هانو وصيدناوي وعمر أفندي هم الإخوان انتقامًا من اليهود، وقد قتل فيها الكثير من المصريين، أما وجهة نظر بعض المؤرخين فهى أن من قام بهذه التفجيرات هم الإسرائيليون، لأن يهود مصر لم يُقبلوا على الهجرة إلى إسرائيل، فأراد بعض زعماء إسرائيل إرغامهم على ذلك، فقاموا بهذه التفجيرات حتى يعطوا اليهود المصريين انطباعًا بأنهم مستهدفون في مصر ويدفعوهم إلى الهجرة إلى إسرائيل، لا يوجد مصري عاقل يفكر في تفجير هذه الأماكن لأن ذلك يلحق أبلغ الضرر بالاقتصاد المصرى والشعب الذى سيكون الضحية الأولى لهذه التفجيرات، سلاح الإخوان لم يكن الهدف منه محاربة الحكومة حتى وإن كانت موالية للاستعمار، كما كان شأن أغلب الحكومات قبل الثورة، ولكن كان يستهدف جهتين: الأولى اليهود في فلسطين، والثانية الإنجليز فى القناة، وعدم الاعتراف بذلك كمن ينكر الشمس وقت طلوعها، وبلاء الإخوان فى الاثنين يعرفه الجميع، وبالتأكيد يعرفه الأستاذ وحيد حامد، ولكن صوّره على أنه محاولة للفت نظر الناس عن الأخطاء التى يرتكبها الإخوان لا حبًا فى الجهاد والتضحية، لأن هذا يرفع من شأن الإخوان ويمنع إذاعة المسلسل على القنوات التليفزيونية الحكومية، والكاتب والمنتج في أشد الحاجة لذلك.

في واقعة شهدتها بنفسي فى السنوات الأولى فى عمر الثورة وكان سني وقتها لا يتعدى الثالثة عشرة واصطحبني أحد أقاربي لسماع حديث الثلاثاء في المقر العام للإخوان المسلمين، كان المتحدث وقتها الأستاذ سعيد رمضان، وكان ـ رحمه الله ـ متحدثاً لبقاً مفوهًا، وكانت الثورة الجزائرية على أشدها، والكفاح المسلح فيها محتدمًا بين الجزائريين والفرنسيين، وفي آخر الخطبة دعا إلى تكوين كتيبة من مائة متطوع للذهاب للقتال في الجزائر وفور سماع هذا النداء توجه قريبي هذا لقيد اسمه مع المتطوعين، إلا أنه عاد بعد برهة حزيناً لأنه وجد أن قائمة المائة متطوع قد اكتملت وطُلب منه الانتظار حتى إعداد كتيبة أخرى، طبعًا لو أن أحد رجال المباحث العامة أراد أن يفسر ذلك لقال إن الكتيبة فى الحقيقة لم تكن للقتال فى الجزائر ولكنها كانت لقتال الحكومة المصرية.

التاريخ.. يا أخي الفاضل الأستاذ وحيد حامد، لا يؤخذ من وجهة نظر واحدة لأن فى ذلك الكثير من الظلم لمن تكتب عنه والتاريخ والأعمال التاريخية يجب أن تستقي من مصادر عدة.

إذا أخذنا بمعيار أن سلاح الإخوان موجه إلى الحكومة المصرية وليس إلى إسرائيل وإنجلترا، فإننا بنفس المعيار سنقول إن سلاح المقاومة الإسلامية حماس موجه إلى الجارة مصر وإلى منظمة التحرير وليس إلى إسرائيل، وهذا بالضبط ما تقوله أجهزة الإعلام الحكومية عندنا، كما أن سلاح حزب الله ليس موجهًا إلى إسرائيل ولكن للسيطرة على لبنان لحساب إيران، كما أن حماس وحزب الله لم ينتصرا فى حربهما على إسرائيل نظرًا للدمار الكبير الذى لحق بلبنان وغزة، وينسى هؤلاء أنه لا توجد حرب بلا خسائر بشرية ومادية، وأن العبرة في النهاية بتحقيق أهداف الحرب وهى بلا شك قد تحققت بدليل التحقيق الذى أجرته إسرائيل عقب حربها مع حزب الله وأداء قادة هذه الحرب، كما أن إسرائيل فى حربها على غزة كان هدفها الأول تحرير الجندي الأسير، وقد فشلت في تحقيق هذا الهدف الصغير.

عندما أستعرض تلاميذ حسن البنا لأتعرف على شخصيته ومدى تأثيره، وأعلم أن من بينهم من يعيشون بيننا ونعتز ونتفاخر بهم مثل الشيخ القرضاوي، ونترحم عليهم ونستفيد بعلمهم مثل الشيخ الغزالي والشيخ سيد سابق والأستاذ سيد قطب، ومن كنا نود أن يكونوا بيننا الآن ليعلمونا كيفية الكفاح والنضال ضد إسرائيل مثل الشيخ فرغلى بعبع الإنجليز، كل هؤلاء وغيرهم كثير من تلاميذ الإمام حسن البنا، لعرفنا مدى قامة وشخصية وعلم هذا الرجل الذى لم يكن ليبكي كالأطفال في حضرة وزير داخلية يستمد مكانته من الكرسي، أو يخبط رأسه على المنضدة كما يفعل المتخلفون، إن كان حسن البنا ساهم فى اغتيال الخازندار والنقراشي سواء كان هذا بأمر منه أو بعلمه أو لم يكن، إلا أنني لا أعتقد أنه قال إنه في قابل أيامه سيبتعد عن السياسة، لأن الدين الإسلامى دين ودولة وإلا أصبح الإخوان مثلهم مثل الطرق الصوفية لا هم لهم إلا العبادة على الطريقة التى تروق لهم، أو مثل الجماعات السلفية التي تبتعد عن الجهاد، وهذا بالضبط ما تريده النظم الحاكمة في كل البلاد الديكتاتورية حتى تكون فى مأمن من منازعتها على السلطة وتستريح الحكومات وتطمئن إلى بقائها أبد الدهر وتسعى في الأرض فسادًا، كما يحدث الآن.

لا عيب في السعي إلى السلطة مادمت تسعى إليها بالطرق الشرعية، وهو ما تفعله المعارضة الآن، ولكن العيب كل العيب في السعي إليها بطرق غير مشروعة، كما يفعل الحزب الوطني اليوم.

لا تعجبني فكرة محاربة الأعمال الفنية عن طريق اللجوء إلى المحاكم لعدم جدواها، ولأنها قد تعطي العمل الفني قيمة ليست له تلفت النظر إليه أكثر،

ولكني من أنصار الرد بعمل فني كبير وقيّم يُترك أمر إعداده ليس للإخوان المسلمين، ولكن لمؤرخين محايدين حتى لا يكون العمل رد فعل، وأن يراعى الحسنات والسيئات، لأنه لا يوجد بشر ليس له أخطاء، فهذا هو الرد الطبيعي على أي عمل فني، وأعتقد أنه فى الأعمال الفنية الحسن منها يطرد السيئ كما في العملة، وأذواق الناس وإحساسهم هو الحكم في النهاية وهو حكم لا يخطئ، ومطلوب من الإخوان عدم التعجل سواء فى الكتابة أو الإخراج لأن العمل كبير ومنتظروه كثيرون» انتهى.

وفي جريدة «الدستور» (27ـــ28/9/2020م) نشرت الكاتبة اللاذعة الأستاذة نوارة نجم:

أود أن أعبر عن صدمتي، وتحطم كل آمالي على صخرة واقع مسلسل الجماعة، أو مسمسم المجاعة، لقد كان أملي، كل أملي، أن نكتشف حقيقة كل ما حدث لنا من أهوال، وبيع للبنى التحتية، وهدم للأساسات الوطنية، وسرقات، وحرائق، وسوابق، وحزن ساكن فينا ليل نهار وأنه يعود لمؤامرة ضد مصر، أو لدسيسة، أو خيانة في صفوف، أي صفوف، المهم أن يتم تفسير هذا الخراب الهذياني الذي حل بنا، لكن كل هذه الخيالات انهارت بعد متابعتي مسلسل الجماعة، والذي تم تأليفه بتوكيل وتمويل من الدولة، والإشراف عليه من قبل أمن الدولة «الناس تحكي وتتحاكي في الوسط الفني عن الضباط الذين يحضرون المونتاج»، بهدف «فضح جماعة الإخوان المسلمين»، و«كشفها للجميع»، و«إظهار حسن البنا وتاريخه المخزي على حقيقته»، بالمختصر كده، الهدف كان الهجوم علي جماعة الإخوان المسلمين، وهدم أي صورة إيجابية قد تكون علقت بذهن أحد المواطنين عنها... لماذا ؟ لأن الدولة تكره الإخوان المسلمين.

ماذا لو كان صناع المسلسل يرغبون في تجنيد الشعب بأكمله للإخوان المسلمين ؟ لا والإخوان بيشتغلونا وعاملين نفسهم زعلانين لقد انبهر الناس بشخص حسن البنا، وانتشرت «مذكرات الدعوة والداعية» بين أيدي الناس وعلي كمبيوتراتهم، ولم تسفر مقالات الأستاذ وحيد حامد التي أنطق بها الممثل عزت العلايلي سوى عن الكركعة، حيث إن الجزءين المعاصر والتاريخي في المسلسل يتكاملان ليشكلا نموذجًا لـ «التضاد الساخر بين الحوار والصورة» الذي يستخدم عادة في الأفلام الكوميدية، يضع الكاتب هجومه علي جماعة الإخوان المسلمين على لسان القاضي الذي يقوم بدوره عزت العلايلي، ثم يعود

بالتاريخ ليدلل على صحة هذا التقييم، فـإذا بـالجزء التـاريخي الـذي يجسـد حيـاة حسن البنا يناقض تمامًا ما قيل عن الجماعة من عشرين ثانية بس.

«بيتاجروا بآلام الناس».. وألاقي لك حسن البنا قاعد ليـل نهـار مـع الفقـراء والفلاحين والمعـوزين، «حسـن البنـا زي حسـن الصـباح زعيم الحشاشـين».. ثم ينتقل إلى حسن البنا وهو يلقي موعظة تنضح بـالعلم والبشاشة، ومـا زاد الطين بلة، أن يقوم إياد نصار بدور حسن البنا ! الممثلون من نوعيـة إيـاد نصـار، وخالـد الصاوي من العرب، وجاك نيكلسون وآل باتشينو من العالميين، يحبون الشخصية التي يؤدونها ويغوصون في تقمصها، فتتلبسـهم مثـل الجن، ويتمكنـون من إقنـاع المشاهد بها ولو كان يجسد أحدهم الشـيطان، معـروف هـذا النـوع من الممثلين ومشخص، وغالبًا بيبقي مخهم مفوت شوية.

هكـذا يتصدى النظـام لعـدوه الأمضي، مـع الإخـوان في بيتها، المصـيبة أن النظام المصري «يعادي» إسرائيل بنفس الطريقة، وأنـا الآن أصـدقه حين يقـول إنه يعاديها، والدليل أنهم يعطونها غازنا، أيـوه، كي يأخـذوا من حسـنات إسـرائيل ويعطوها سيئاتهم فتفاجأ إسرائيل بأنها دخلت النار يـوم القيامة، وطلعـوا بيحبونا، أمـال خـراب الـبيوت ده كلـه مـنين ؟ ليتهم يكرهـون مصـر كلهـا كمـا يكرهـون الإخوان، وتاني مرة:

(1) يراعي اتساق الأحداث مع الحوار.

(2) لو حتعمله كوميدي نبه من الأول.

(3) لا تسـتعن بممثـل لديـه كاريزمـا إلا إذا كنت تنشـد تعـاطف المشـاهد.. الراجل أقنعنا بكل أفكار حسن البنا.

(4) وإنت نازل ابقي انزل على السلم ما تتزحلقش.

وكتب الأسـتاذ الـدكتور حلمي محمـد القـاعود تحت عنـوان «فكـرة لتجـار المسلسلات الأمنية»:

يجب على جماعـة الإخـوان المسـلمين أن توجـه الشـكر والعرفـان للنظـام المصـري على إنتـاج مسلسـل «الجماعة» وإذاعتـه على القنـوات الأرضـية والفضائية، الحكومية والتجارية ؛ في شهر رمضان الماضي 1431هـ (أغسـطس/ سبتمبر 2010م)، فلو أنفق الإخوان وبقية الجماعات الإسلامية، وجماعات حقوق الإنسـان مليـارات الـدولارات، للتعريـف بالإسـلام والإمـام الشـهيد حسـن البنا، وكشف وحشية النظام المصري الفاشل على مـدى 80 عامًا ؛ مـا اسـتطاعوا أن يحقِّقوا مـا حققـه المسلسـل البـائس، الـذي كتبـه مؤلف شـاطر ومـاهر وبـارع،

استطاع بكتابة المسلسلات الإذاعيـة والتليفزيونيـة والأفلام السـينمائية أن ينتقـل من مستوى إلى مستوى، ومن وضع إلى وضع ؛ حـتى فـاق أسـتاذه الـذي رعـاه، وقاد خطواته الأولى، حتى صار كاتبًـا محترفاً يكسـب الملايين، وتوجهـه السـلطة كي يصفي حساباتها، ويروج لبضاعتها الفاسدة.

ومـع أن هـذه السـلطة قهرتـه كي لا يتمـادى في تشـويه الإسـلام والـدعاة وجماعة الإخوان وبترت مسلسله وحـذفت منـه حلقـتين، كـان يفـترض أن يقـدم فيهما مشاهد المـؤامرة على الإمـام الشـهيد، ثم مصـرعه، وتواطـؤ الأجهـزة في النكوص عن إنقاذ حياته، ومشهد جنازته التي حضرها والـده والـزعيم المسـيحي مكرم عبيد ومجموعة من نساء الأسرة ؛ فإن المسئولين لن يسمحوا له بالعمـل في الجزء الثاني الذي قِيل أن سيُعرض لاحقاً.. ذلك أن تأثير ما أذيـع كـان خارقاً، اخترق كل البيوت التي تنطق العربية أو تفهمها، وعرفت مئـات الملايين وخاصـة الأطفال والشـباب في أرجـاء العـالم الإسـلامي بشـيء اسـمه الإسـلام والـدعوة الإسلامية، والإمام الشهيد حسن عبد الرحمن البنـا وجماعة الإخـوان المسـلمين، كما اخترق الذهنيـة الثقافيـة المهيمنـة على الحالـة الثقافية، والمعاديـة بطبيعتهـا للإسلام، وفرض عليها أن تقف لأول مرة موقف الدفاع عن النفس، بعد أن كانت تهاجم، ثم إن الاختراق الأهم كان توجيه الملايين لقراءة ما كتبه حسـن البنا، ومـا يتعلق بالـدعوة الإسـلامية والعقيـدة الإسـلامية، وهـذا فضـل من اللـه كبـير أعـاد الإسلام إلى دائرة الضوء، بوصفه هوية الأمة، ومستقبلها، وأملها المتجدد.

لن أناقش المسلسل من الناحيـة الفنيـة فهـذا يحتـاج إلى مجـال آخـر، ولن أتناول التشوهات التي صنعها كاتبه، فالمجال لا يُحتمل، ولكني أحب أن أقدِّم إليه فكرة لمسلسل جديد، سيكون مهمًّا للغاية ؛ لأنـه يعـني النخب الثقافية المهيمنة، ويتقاطع مع توجهاتها ونشاطاتها وماضيها وحاضرها ومسـتقبلها أيضًـا، ولكن قبـل أن أطرح الفكرة، أتساءل: ألم تكن لدى الكاتب فرصة ليلتقـط أنفاسـه، ويجعـل نهاية المسلسل الأمني المبتور معقولة ومقبولة بدلاً من هذا القطع الدامي ؟

إن المسلسل بدأ من العصر الراهن، ومن نقطة القصة الملفقـة لما يسـمى «العرض العسكري» الذي قدَّمه طلاب الإخوان في جامعة الأزهر عام 2006م ؛ تأييدًا للمقاومة الإسلامية في فلسطين المحتلة، وأخذ يتنـاول قصـة الإخـوان عن طريـق وكيل النيابـة ووالـد خطيبتـه (المستشـار)، وهـو الـذي يقـود خطـا الأول لمعرفة التاريخ الخاص بالجماعة، ويفترض أن يكون البناء الفني دائريًّا، أي يقـوم الكاتب بإعادة الأحـداث الماضـية إلى الوكيـل والمستشـار، وينتهي بهمـا لنعـرف رأيهما وما استقرَّا عليه تجاه الأحداث الماضية، ولكن البتر الإجباري جعل النهايـة

تنتهي في الماضي وليس في الحاضر.. بالطبع لا يشفع للمؤلف القول إن هناك جزءًا ثانيًا، فهذا الجزء الثاني لن يأتي أبدًا وهو يعرف ذلك للأسباب التي قلتها عاليه».

وختم مقاله بأن اقترح على المؤلف المحترم أن يضع مسلسلاً عن «هنري كورييل» اليهودي الغامض الذي اغتيل في باريس سنة 1987م وكان قبلها يقود الحركة الشيوعية المصرية حتى بعد تركها إلى الخارج، ولا جدال أن شخصية «هنري كورييل» شخصية تصلح تمامًا لدراما تاريخية حافلة بالأحداث والتقلبات والمتناقضات حتى ميتته الغامضة، ولكن فاته أن مؤلف مسلسل «الجماعة» لا يبحث عن موضوع صالح، وإنما أراد أن يقوم بمهمة معينة بعيدة كل البعد عن عالم الفن.

وفي جريدة «المصري اليوم» (18 أغسطس 2010م) عمود «أحوالنا» كتبت الأستاذة نعم الباز تحت عنوان «الخائفون من جثمان حسن البنا»: «مسلسل الجماعة أثار لديّ ذكريات كثيرة مليئة بالتناقضات من شجن وألم إلى كفاح ونضال.. أحداث عاصرتها ونقشها الزمن على جدار ذاكرتى، ولم تطمسها أى أحداث أخرى.. كنا فى الحلمية.. وكان سكان الحلمية فى أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات يعتبرون يوم الثلاثاء يومًا لمصر كلها وليس لهم، حيث تفترش الجماهير الشوارع المحيطة بالمركز العام للإخوان المسلمين حتى شارع محمد علي وعند المساء يتوقف الترام تمامًا لأن ناس مصر أغلقوا المكان وافترشوا الأرض، أتى الإخوان من كل مكان يستمعون إلى المرشد العام حسن البنا، ولم أكن أعلم أن الرجل فى الأربعينيات من العمر، فقد كانت صوره وقورة وعيناه نافذتين تتناغم فيهما القوة بالحنان.

وكان أبى صديقاً لمعظم أعضاء مكتب الإرشاد ولكنه لم يكن إخوانيًا فكان التزامه بالإسلام المستنير.. أبى علمنا أن تكون مصر هى الأساس حتى لا تأخذنا عصبية الالتزام بتنظيم معين أو حزب معين وتضيع طاقتنا فى الدفاع عن مبادئ الحزب أو التنظيم، فقط نلتزم بأخلاقيات الفرسان وتعميق حب الوطن ليس بالأغاني، ولكن بتهيئة أنفسنا لنشارك فى البنيان ونؤكد أننا أصحاب الوطن، ولأنه كان كذلك فقد اكتفى بصداقتهم ومساعدة أسرهم أثناء اعتقالهم.. لهذا كان فى بيتنا أيام الاعتقالات زوجات وأبناء الكثيرين من أقطاب الإخوان وأعضاء مكتب الإرشاد.

وكنت صغيرة فى الرابعة عشرة من عمـرى حينمـا اغتيـل حسـن البنـا وقـد وصل الخبر إلى بيتنا فور وصول جثمانه إلى منزله بالحلمية وفوجئنـا عنـد الفجـر بمجيء سيدة فاضلة هى حرم عضو مكتب الإرشاد الأستاذ عبد الحليم الوشـاحي جاءت تحمل رسالة من والـد حسـن البنـا إلى والدي، بالتوجـه فـورًا إلى مسـجد قيسون بشارع محمد علي حتى يجتمـع للصـلاة على جثمـان الشـيخ حسـن البنـا وحتى يكتمل العدد إلى عشرين رجلاً وهو الحد الأدنى لصـلاة الجنـازة وكـان هـذا عرفاً !

وأذكر أنها قالت ليلتهـا وهى تغـالب البكـاء والنحيب: لقـد جـاءوا بالجثـة إلى الـبيت وقـالوا لوالـده: «ادفنـه قبـل أن يظهـر النهـار !!!»، وتم غسـل الجثمـان بسـرعة ونزلـوا بالعربـة وأرسـل والـده بعض السـيدات ليخـبرن أعضـاء مكتب الإرشـاد الـذين بقـوا خـارج المعتقلات بحضـور صـلاة الجنـازة ونـزل أبي ومعـه شقيقاي جمال طالب الطب فى ذلك الحين ومأمون طالب الحقوق.

وبكت أمي وسألت هل يمكن أن تصلى النساء، ولكن الوالد رفض وقال لهـا اقـرئي يس والـرحمن والواقعة، وعـاد أبي بعـد الصـلاة مـع أخـوى على جثمـان الشهيد حسن البنا وحكى لنا كيف أن المسجد كان محاطاً بالجنود وكبار الضـباط وكأنهم مقبلون على معركة كبرى من معارك الأمن.

ترى هل يحقق مسلسل الجماعة هذه الجزئية ؟

لا أعتقد فمـازالت الجماعـة تحوي الهلـع للنظـام رغم افتقارهـا لرجـل مثـل حسن البنا الذى كان يمضـى الصـيف فى مدينـة دراو بأسـوان فى درجـة حـرارة تصل إلى خمسين درجة.

رجل اسـتطاع أن يحـدث تغيـيرًا من خلال التمسـك بالعقيـدة، واسـتطاع أن يكتشف بعيني جواهرجي مجموعة من الرجال كانت تقضي حياتها فى المعتقلات حتى الرمق الأخير.. رجل تعيش الجماعة على كفاحه وسيرته.

فكرت أن أحكي هذه الحكاية للكاتب العظيم وحيد حامـد ولكن مثـل حياتنـا كلنا الآن تضيع منا أهم التفاصيل فى تأمل أحوالنا التى تنحدر نحو مصب لا نعرفه ولكنه حتمًا مخيف.

* * *

وقـرأت في «الأهـرام» (الأثـنين 4 أكتـوبر 2010م) كلمـة الـدكتور جـابر عصفور بعنوان «مسلسل الجماعة»، ويبدو أنه سيواصل الكتابة لأنه أشار لمقاله

هذا برقم (1) مما ينبئ أن هناك ما بعده، على أن مقاله الأول أسفر عن روحه العامة، وهي الروح التي لا يمكن أن تتحرر من مربع الثقافة الأوروبية وأحد الخصائص البارزة فيها إغفال الدين، فتدرس الظواهر الاجتماعية والتطورات التاريخية.. إلخ، بعيدًا عن الدين وكانه ليس موجودًا، لأن الحضارة الأوروبية وثنية، ورثت الوثنية من المكونين الأصليين لها، وهما الحضارة الإثينية والحضارة الرومانية، وكلاهما وثني، وكل الدراسات الأوروبية امتداد لهما، ولم يستطع أحد من كتابنا المعاصرين التحرر من هذه التبعية، ولو جاز لكان يجب أن يكون جابر عصفور نفسه لأنه كاتب محقق ومطلع، ولأن تحقيقه واطلاعه لم يكن بحيث لا يجوز عليه ادعاءات مؤلف المسلسل فهو يقول عند حديثه عن الفترة الزمنية التي غطاها المسلسل «تبدأ من طفولة حسن البنا وتنتهي بموته المعنوي الذي يتمثل في انفضاض المجتمع من حوله»، فكيف انفض الجميع وقد كانوا أسرى الاعتقال، وحتى موته الفعلي «الاستشهاد الأسطوري» فإنه دفع الجماعة وأعطاها قوة، وقد كان اسم حسن البنا والاعتراف به ــ بعد الفترة الأولى ــ أعظم مما كان في الفترة الأولى وظل حتى الآن، وتحدث عن هذا الانفضاض كما لو «أجمع عليه الخصوم والأنصار وكان بمثابة حكم الإعدام المعنوي الذي سبق حادثة اغتياله»، فهو فاته أن الأوراق التي طويت في عهد الملك، فتحت أيام حركة 23 يوليو، وهل ينكر أن اغتيال حسن البنا كان أبرز العوامل التي هيأت الشعب لقبول حركة 23 يوليو، وهو ما قاله عبد الناصر وهو يقف على قبر الإمام الشهيد، إن كلام الكاتب المحقق الكبير قد أخذ بما كان ذائعًا في العهد وما ظهر زيفه وبطلانه للحكم الملكي.

وتحدث الكاتب الكبير والباحث النحرير عن العلاقة بسلطات الاحتلال البريطاني والدعم السعودي عن طريق الشيخ محمد رشيد رضا ومحب الدين الخطيب ورأى في هذا «وقائع تاريخية ثابتة»، فهل يعلم الدكتور جابر عصفور أن رشيد رضا رهن بيته بعد أن هدده أحد أصحاب الورق ببيع بيته، وإن كان في كل الأعداد الأخيرة يناشد القراء دفع الاشتراك، وهل يعرف أن محب الدين الخطيب لم يستطع أن يواصل إصدار مجلة «الفتح» الأسبوعية بجعلها نصف شهرية، وهل يعلم أن السعودية في هذه الفترة كانت دولة فقيرة، وأن وزرائها كانوا يعملون مطوفين، وأنها كانت تعيش على «التكية» المصرية في مكة والمدينة، لقد قرأت للأستاذ عبد الرحمن البنا في أحد أعداد مجلة الإخوان المسلمين مقالاً «كيف نأكل وسكان الرسول جياع»، وصورة واحد يحمل صندوقاً كتب عليه «تبرعوا لسكان المدينة المنورة»، وهل فاته وهو المؤرخ أن

الحكم الـديكتاتوري الـذي بـدأه النقراشـي بـإعلان الأحكـام العرفيـة، وأنهى بـه المرحلة الليبرالية هو المسئول عن كل حالات العنف، وأنه مـا أن يفـرض الحكم استبدادًا حتى تبدأ عمليات الاغتيال والتفجير.

أما كل ما ساقه د. جابر عصفور من تمجيد للمؤلـف، فليس إلا انسـياقاً مـع الكورس، أو قيامًا بواجب المجاملة للزملاء في الفكر والاتجاه.

وعاد د. جابر عصفور في في 11/10/2010م مـا بـدأ بـه في وأشـرنا إليـه، وحتى لا أظلمه فإني سأورد كلامه بنصه:

[بنى وحيد حامد البناء الـدرامي على خطين كتـوازيين خصوصًـا في النصـف الأول من المسلسـل، الخــط الأول خــاص بــالزمن المعاصــر، ويبــدأ بمظــاهرة استعراض القوة التي قام بها طلبة الإخوان في جامعة الأزهر، وذلك في السـياق الذي يقود أحد وكلاء النيابة الشباب إلى البحث والتقصي عن أصل هذه الجماعـة وظروف نشأتها، حتى يكون على علم وبينة بالخلفية التاريخية التي أسـهمت في تأسيس الجماعة، وأسـهمت في صـياغة أفكارهـا ومعتقـداتها والتـأويلات الدينيـة التي توراثتها أجيال الجماعة وولاة الأمر فيها ويوازي هـذا الخـط المعاصـر الخـط الدرامي الخاص بجسن البنا ابتداء من ظـروف ولادتـه ونشـأته وتكوينـه الأخلاقي والديني الموروث والمكتسب في إطاره الاعتقـادي والثقـافي الـذي تربـة فكريًـا على أصوله، وذلك على نحو باعد بينـه وأفكـار الفلاسـفة المسـلمين الـتي بعثهـا جمال الدين الأفغاني في القرن التاسع عشر وأفكـار المعتزلـة الـتي انحـاز إليهـا تلميذه الإمام محمد عبده.

وتتصاعد الدراما ما بين الخط الأول والخط الثـاني، ولكن على نحـو يواجهنـا فيه الخـط المعاصـر بتعريـة دراميـة عـبر شخصـيات ومواقـف وأحـداث لأسـباب الفساد الذي نعيش فيه، والتسلط الذي يأخـذ بخناقنـا، والتخلـف الـذي لا يفارقنـا وتتوجه الإدانة إلى الجميع، وذلك على نحـو يشـير في جسـارة دراميـة تتمـيز بهـا إبداعات وحيد حامد إلى أسباب ما نعانيه من ناحية، وما يعمل على زيادة دعوات الإسلام السياسي وانتشـارها بين الشـباب من ناحيـة موازيـة، ولـذلك نسـمع في الحوار الدرامي عبارات من قبيل «إن الحكومات تصنع آلام الشعوب، والأحــزاب والإخوان تتاجر بها»، و «إن فرار الفئران المتزايد علامة على الطاعون القادم».

وبقدر ما نتعرف على النماذج الاجتماعيـة المعاصـرة لعينـات الشـباب الـذي ينجذب إلى جماعات الإسلام السياسي، وعلى رأسها الإخـوان، على نحـو مباشـر يلقي اللوم دائمًا على أشكال الفساد المعاصـر والأزمـات الطاحنـة الـتي يعانيهـا

الشباب اجتماعيًا واقتصاديًا وثقافيًا وسياسيًا، فإن اللوم المضمر لا يفلت النظام التعليمي الثقافي وضعف المؤسسات الدينية الرسمية وانغلاق أفقها، والدعاة الجدد وتحولهم إلى ظاهرة هي في حد ذاتها علامة على انحدار المحيط الاجتماعي الثقافي الذي يؤدي إلى ظهورهم وإلى نجاحهم في تحويل الدعوة الدينية إلى تجارة رائجة توازي صناعتها صنلعة نجوم السينما والإعلام وننتقل ما بين الماضي والحاضر، في حالات كثيرة بواسطة القاضي المتقاعد عزت العلايلي الذي بدأ إخوانيًا ولكنه انصرف عن الجماعة عندما استبدلت بالمجادلة بالتي هي أحسن المجادلة بالتي هي أقمع، ولا غرابة أن تكون المصادر التي يقدمها ممثل عدالة الأمس إلى ممثل عدالة اليوم هي الزاد المعرفي الذي لابد أن يعرفه الجيل الجديد عن الجماعة التي صاغها مؤسسها حسن البنا الذي كان شخصية استثنائية بكل معنى الكلمة].

في هذا المقطع يحاول الدكتور جابر عصفور أن يشير إلى الفساد المستشري والأزمات الطاحنة التي يعانيها الشباب.. إلخ، محاولاً أن يبين «موضوعية» وحياد الأستاذ وحيد حامد، وأنه لم يخفي فساد المجتمع، بل اشار إليه، ولكن النقطة أنه جهز هذه الفرصة ليدس السم في الدسم فيربط ما بين هذا التخلف والإخوان المسلمين، وهو يؤدي هذا الدور بمهارة، لأن هذه هي المهمة الرئيسية في المسلسل، ويجب أن تكون في شكل مضمر حتى لا يتهم المؤلف بأنه يعادي الإخوان، وهو ما جاز أو ما تقبله مختارًا الدكتور جابر عصفور.

ينتقل الدكتور جابر عصفور بعرض أهم نقطة في المسلسل شخصية حسن البنا، فيقول بالحرف الواحد:

[وينجح وحيد حامد إلى حد كبير في صياغة شخصية حسن البنا دراميًا، وذلك بقدر كبير الصدق الفني الي جعل الكثيرين يزدادون إعجابًا بهذه الشخصية التاريخية الفريدة ويرجع ذلك إلى أنه لم يقع في فخ تقديم البنا على نحو نمطي أو كرتوني، بل على نحو لا يخلو من الإعجاب والتقدير والفهم العميق لدوافع الحركة في سلوكه ولحسن الحظ أجاد المخرج القدير محمد ياسين اختيار الطفل الذي قام بأداء دور حسن البنا الطفل وحسن البنا الكبير، وذلك إلى الدرجة التي قيل معها إن الممثل الأردني إياد نصار حبب إلى الناس شخصية حسن البنا ولم ينفرها منه، والواقع أن الهدف لم يكن إثارة الحب أو الكره، وإنما الفهم، فالبطل الدرامي في المسلسل كان ينطوي على حلم قرية إسلامية فاضلة طفلاً، ودولة إسلامية خيرة، تملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت جورًا، في أول

نضجه، وخلافه إسلامية تعيد العصر الذهبي للخلافة الإسلامية بعد أن اكتمل وعيه، ولكن الصراع كان يدور بداخله دائمًا حول أسلوب الدعوة: (الرحمة والموعظة الحسنة أم التخويف والعنف)، وواضح أن هذا الصراع هو الذي تكشفت عنه شخصية حسن البنا الداعية الصغير في قريته].

هنا أيضًا نجد نفس «التكتيك» أن يعرض صورة حسنة لحسن البنا عبر مواقف مشوهة، ويقول كلامًا لم يفعله ويفتعل حوادث لم تحدث كلها لتؤثر على ما اضطر إلى الاعتراف به لحسن البنا يصوره كطفل شرير، لا كطفل يريد تحطيم تمثال المرأة العارية وينذر صاحبها بالجحيم.. إلخ، في حين أن هذا لم يحدث، كما صورة والده وهو البعيد تمامًا عن عالم الدنيا، والعاكف على أوراقه ليل نهار بصورة سيئة سترد، ويكفي تصويره «لعالم الضياع والنهاية» و «الموت الأدبي»، وهذه كلها لا أصل لها، فكما قلنا إن الإمام الشهيد كتب ردًا مسهبًا فند فيها كل دعاوى عبد الرحمن عمار التي بنى على أساسها حل الجماعة، كما أنه عندما سألته جريدة «المصري» يوم 9/1/1949م عما إذا كانت الدول العربية ستعمل مثل مصر فتحل هيئات الإخوان بها ؟ استبعد هذا تمامًا، بل إنه ذكر أن العوامل الخاصة هي التي أدت إلى الحل، وسيعود كل شيء إلى ما كان عليه.

إن عبقرية وحيد حامد هي أنه أعطى المشاهد صورة مضادة تمامًا لما حدث بحكم ما قدم لها من مشاهد مفتعلة، وأنه في إثر كل مشهد حسن كان يحيطه بمشاهد يفصلها ليمحو الأثر الحسن، أو وليؤوله تأويلاً سيئاً، ورغم أنه نجح في أن يؤثر على جابر عصفور فإنه لم يستطع أن يؤثر على رجل الشارع الذي يعرف حسن البنا حق المعرفة، ولا ينطلي عليه تحايلات وحيد حامد.

* * *

وتقصى د. إبراهيم البيومي غانم بعض تزييفات المسلسل في مقاله لجريدة «الشروق» (11/10/2010م، ص 6، فذكر أن البنا قال:

«من يفشى سرًا من أسرار النظام الخاص يحل قتله، وأنه لا مكان لوجود خائن فى صفوف التنظيم الخاص.. الخائن يقتل، وقتله مباح شرعًا» (الحلقة رقم 20 من المسلسل).

وإظهار الشيخ البنا فى المسلسل فرحًا راضيًا عن مقتل الخازندار والنقراشى، وإلصاق تهمة اغتيال أحمد ماهر إلى الجهاز الخاص بإيماءات بين البنا والسندي تشير بإصبع الاتهام إلى توجيه البنا له باغتياله (الحلقة رقم 24)، ثم بنسبة قاتله سرًا للجهاز الخاص، وللحزب الوطنى علنا، واختلاق رواية تقول

إن محمود عساف مستشار النظام الخاص هـو الـذى اقـترح على الشـيخ توجيـه أعمال النظام سنة 1948م ضد الإنجليز والصهاينة بعيدًا عن القتل الــداخلي (!)، وكأن النظام قام ليقتل المصريين، لا الإنجليز والصهاينة أصلاً (الحلقة 25).

وتصوير قرار حل الجماعة فى ديسمبر 1948م على أنـه رد فعـل حكـومي على أعمال عنف للجماعـة واكتشـاف السـلاح المخبـأ فى عزبـة الشـيخ فـرغلي (الحلقة 26)، وليس اسـتجابة لضـغوط الاحتلال الإنجلـيزي والتـدخلات الأمريكيـة والفرنسية، تلك الدوائر التى أزعجتهـا أخبـار قـوة متطـوعي الجماعـة فى حـرب فلسطين، وضغطوا على النقراشى لقبول الهدنة التى رفضها الإخوان، ثم تصوير البنا وهو يخبط رأسـه فى المكتب ويبكي بعـد سـماع قـرار الحـل (الحلقـة 27)، ويعترف بأن جماعته ملأت البلد بالعنف (الحلقة 28)، وكل ذلك لا أساس لــه فى مصـادر التـاريخ ووثـائق تلـك المرحلة، وهى مشـاهد من صـنع مؤلـف السـيناريو اعتمادًا على تهويمات رفعت السعيد وعبدالعظيم رمضان أساسًا».

ماذا قال الشارع ؟

من رحمة الله، ومن نعم العصر الحديث أن وسائل التعبير لم تقتصر على الكتابة في الصحف، أو الحديث عبر الإذاعة، أو الظهور على شاشة التليفزيون، فهذه وسائل يمكن أن تضيق برجل الشارع، ولكنها امتدت إلى «الإنترنت»، وهي شاشة مفتوحة يمكن للجميع إبداعها وفتحها لمن شاء أن يعبر عن نفسه وبلغته سواء كانت عامية أو عربية.

ومن الطبيعي أن تكون هذه الأداة تمثيلاً صادقاً لرجل الشارع وما يحفل به من مفارقات تكشف تناقضات المجتمع المصري، كما يمكن أن نعثر فيه على لمحات ذكية، كما لا نعدم سقطات مزرية، فهذا هو المجتمع المصري، وهو ما يعطي صورة صادقة عنه.

ولما كان موضوع «الجماعة» من الموضوعات المثيرة شعبيًا، فإنه شغل صفحات عديدة من بعض المدونات وأبرز هذه المدونات هي:

(1) موقع مصريات (2) مدونة العدل والحرية
(3) موقع الأخبار (4) موقع الحياة الإسلامي
(5) موقع قنطرة حول العالم، بالإضافة إلى تعليقات أحادية.

واستأثر موقع «مصريات» بأكبر عدد من التعليقات وصل إلى 191 تعليقاً، استأثر بمعظمها مجموعة أثرت فيها أكاذيب وحيد حامد، بل وتغلغلت فيها بحيث أصبحت إيماناً وعلمًا، وأن الإخوان سذج تسيطر عليهم الغفلة والأنانية والجهالة والرغبة في الاغتيال، وفي جعل مرشدهم نبيًا كالبهائيين.. إلخ، وإن لم تعدم تعليقات عاقلة هادئة.

التعليق الأول كان من قريب وحيد حامد، وجاء ردًا على تعليق سابق نشره الموقع بعد ذكر عدد كبير من التعليقات وجاء به:

إلى صاحب التعليق «وحيد حاض» الذى يقصد كلمة حامض احب اقولك انا قريبه جدا وبلدياته وبتقابل معاه على الأقل مرتين فى السنه هذا الرجل فلاح واخلاقه مصرى صميم أحسن بكثير من اخلاقك يا من تدعى الأسلام يا تابع للأخوان الذين يدعوا انهم مسلمين ووحيد حامد كل مؤلفاته وكتاباته ما كانت

تكون ابدا الا لمصلحة مصر ومصلحة الشعب المصـرى وليس لمصـلحه أمنيـه او حزبيه كما يدعى تخلفكم الفكرى .

ولولا أنك إنسان تافه ولا وزن لك فى عقلي ولا ضـميري لكنت قـد تحـاورت معك بالتي هي أحسن لكن مجرد أن كلماتـك الوضـيعة مثـل وحيـد حـامض مـره وتدعيه بالعجل مرة أخرى ثم تتهمه بالغباء فإني أستنتجت أنها عنـوان شخصـيتك المتدنية والغبية والتى كان من الممكن النزول لمستواك والرد عليـك مثلا بكيـف تعرف أنه عجل إلا إذا كان فى عائلتك عجل ؟ وكان من الممكن التريقة والتهكم على حسـن البنـا ونسـميه مثلا حسـن الحـداد ولا العجلاتي ولا السـمكري، يعني سكة أبو زيد كلها مسالك، فعيب عليك طولك وعرضك وخليك مؤدب، دا لو كـان فيه حد حاول يربيك !

تحت عنوان «موعدنا يوم القيامة» نجد تعليقاً موجهًا لأحمـد سـلامة يحتمل أن يكون هو التعليق الذي أثار أحمد سلامة وأوردناه آنفاً، مع أنه كما هو واضح لا يثير بالضرورة هذا الغضب إلا إذا كـان قلبـه قـد تشرب تمامًا بأكاذيب وحيد حامد، أو كـان هـو نفسـه أحـد الكـارهين للإسلام الذين يضيقون به وبأي كلام عنه:

(بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله.. أما بعد.. لقـد اختلفنـا كثـيرًا وتبادلنا التهم والتشـويه ولم يحسـم الأمـر بعـد لأنكم ليس لـديكم أي اسـتعداد لقبول الآخر أو الانصياع للحق، فأنتم لا ترون الحـق إلا معكم وأمـا غـيركم فأهـل تكفير وأهل فساد، وكأنكم اتفقتم فيما بينكم علي الجمود و صد أي دعوة للحوار البناء الذي يبحث فيه جميع الأطراف على نقط الالتقاء، لقد دعوناكم لبـدء حـوار محترم يليق بسنكم ومراكزكم ووضعكم الثقافي، ولكنكم رفضتم وأخذتم تكيلون التهم وترمون الشبهات دون أي دليل، أسلوبكم للأسف لا يليق بالوضع الذي أنتم فيه من سن ومركز ووضع اجتماعي مرموق على حد قولكم، بالله عليكم ترفعوا عن هذا الأسلوب في الحوار وابحثوا عن الحـق لمجـرد الحـق لا تبحث عن نصـر لموقفك والله والله ثم والله لو كان الحـق معكم لاتبعنـاكم وسـرنا علي خطـاكم ولكن للأسف لا تملكون إلا الشـبهات وترديـد الكلام، وأخـيرًا خـير الكلام مـا قـل ودل موعدنا يوم القيامه بين يدي الله ولا تنسى يا أستاذ احمد سـلامه أنت لعنت الإخوان المسلمين، وكأنك توزع لعنات الله وتقسمها، فـأتق اللـه فيمـا تقـول ولا تتكبر على مراجعه نفسك إذا أخطئت فاللعنة أمر ليس بالهين، تحياتي من جديـد لكل من شارك في هذا الحوار دون تجريح او استهزاء).

يأتينا رد د. أحمد سلامة:

(اخرس قطع لسانك أنت وجماعة الإخوان الملاعين بتوعك، كلامك هايف ومرفوض، ومش أنت ياللي لسه بتعملها على روحك جاى تفهمني القيامة واللعن، وما أدراك ما اللعن، لعنة الله عليكم ناس قتله.

انصح نفسك وبس يا إخواني صعلوك، وخليك فى حالك يا درويش إخواني، ومره تانية هقولك: يا قلم ياللي بتبني أمم وبتزلزل عروش بلاش تشكي الرمم من سكان القبور والتوابيت والنعوش عشان هما موتى ما بيسمعوش، ولو كانوا أحياء هى هى برضه ما بيفهموش) .

يدخل الخط سيدة مهندسة تدعى إيثار مرتجي هي سيدة الحلبة و«كابتن» الفريق في «ماتش الكورة»، ويبدو أن أحد الميالين للإخوان كتب اسمعها مغلوطاً وبطريقة ساخرة، وأنه ذكرها أنه امرأة، فجن جنونها وعلقت:

(أمر غريب جدًا فى هذه الجماعة المنبوذة والكومبارس التابعين ليها ، الناس دى يا إما عبيطة يا إما بتستعبط.. يا إما مجانين يا إما مجاااااااانيييين ، مش عارفه والله إيه حكايتهم بالضبط ؟ أنا والله كل ما بقرأ كلامهم ده بموت على روحي من الضحك لأني بحس إن بشوف ناس عايشين فى جزر لسه ما نزلتش على الخريطه ! أنا مش فاهمه إيه اللى كتبه الأفندي ده في رسالة موجهه ضدى، ثم رسالة نفاق واستجداء للآخرين ؟ فعلا الناس دي لو أنا كنت مبالغة فى أنهم مجانين ولا بيستعبطوا وغالبًا ما أكون أنا على حق، فعلى الأقل أو أقل ما يقيل أنهم بالفعل مرضى بالفصام وحينها يمكن إلتماس العذر ليهم ، لكن يبقى السؤال هل هذا هو آخر المطاف ؟ هل مفيش عذر ليهم تاني ؟ لا طبعا فيه !

العذر الأخير بقى ليهم إن يكونوا مستوردين فكرهم من قبائل المتخلفين الطالبانيين فى أفغانستان، وأعتقد أن ذلك هو الأرجح لأن بالفعل عقليتهم عليها صداء وجنزرة تحتاج الى جهاز إزالة الصداء من أطنان الحديد اللى معانا فى الشغل هنا وإن كنت واثقه أنه سيعجز عن إزالة الصداء من عقولهم ، فماذا يقول عنى ذلك المخبول ؟

أولاً: أنه لم يجد تهمة يدافع بها عن نفسه كي يرد عليها.. لول، وأقول له هو فيه تهمة أكبر من كونك إخواني ؟ هىء هىء هىء.. فلا تقل أن ليس لديك تهمة، بل قل إن من حسرتك على غباء فكركم لم يعد أمامك سوى الدفاع عن الغباء والتخلف، وهذا أمرًا غير معقول بالطبع، ثم ماذا يقول سيدنا الحكيم أفندي ؟

ثانيًا: بيقول لم أجد غير السب والقذف والا ستهزاء.. (يقصد مني أنا)، إذن لما كتب عني بدلاً من الباشمهندسه كلمة الباشمئذه.. ما بقاش ده سب ولا قذف ولا استهزاء ؟ ولما كتب عني بدلاً من إيثار مرتشي بدلاً إيثار مرتجي مضيفاً هنا معنى أبعد من القذارة والحقارة اتهامًا بالرشوة)، بالطبع يقصد كما قالوا لآخرين إني مرشية من الحكومة).. ما بقاش ده سب ولا قذف ولا استهزاء ؟ لكن لما رديت عليه بأسلوبي اللى أنا حرة فيه زي ما كان حر فى أسلوبه.. بقى كده أنا كلامي سب وقذف واستهزاء ! وعجبى ! وأنا آسفة جدًا إنى أعطي لمثل هذا المجهول أى اهتمام، وربما يلومني أحد بأني نزلت إلى مستواه، لكن أود التنبيه بأن الأمر ليس كذلك وليس متعلق بشخصه النكرة وإنما فقط كي أؤكد للجميع إن هذه جماعة إرهاب فكري دون أدنى شك تريد أن تسود وحدها بفكرها الوضيع وتضع الحذاء فى فم كل من حولها، وبقول لهم دا بعدكم يا غجر.

نيجي بقى للنقطة الأهم جدًا جدًا، وماذا يقول لي هذا المخبول ؟

ثالثًا: يقول لي للمرة الثانية: لا تنسي انك امرأة ألفاظك يا استاذة، أيواااااا أنا إمرأة.. وليا الشرف أن أكون إمرأة.. بس إمرأة بستين راجل من بتوع زمان مش من اللي زيك بتوع النهاردة يا فافي وأشك إن أمثالك عندهم ذره من الرجوله ،أنا إمرأة مهندسة معمارية معايا 2 دكتوراه وماجستير ودبلومة وعندى 52 سنة.. وعندى أولاد ضباط وبنات شهادات عليا وزوجى منصب كبير جدًا فى القوات المسلحه.

أنا إمرأة أتعودت على الرجولة والجدية والحياة القاسية وربيت أولادي على كده وبشتغل ليل نهار.. طول الليل سهرانة مع رسومات التصاميم وبالنهار من طلعة الشمس لحاد الغروب واقفة مع العمال والمهندسين لابسة خوذة على رأسي زيى زيهم مش زيك يا عاطل بالوراثة الإخوانية، تلاقيك دلوقتي قاعد يا ولداك في الجامع مع شلة عاطلين زيك فى غير أوقات الصلاه تفأروا وتقولوا الله حي مدد يا ستنا أم هاشم زي اللى بيحصل فى السيدة والحسين، طبعًا هنا أنا عارفة هتقول عليا إيه ؟ هتقول دى مش مسلمة وعلمانية وكافرة ووو.. إلخ، من كلامكوا السفيه إياه ده، قول اللي انتوا عايزينه ! بس بقولك طظظظظظظظظظ فيك وفي جماعتك .

وبقولك حاجة تانية كمان.. إنت عارف لو مجرد الفكرة دي جت فى دماغك ولا دماغ غيرك أنا بقولها أهه وبالفم العريض: يبقى لعنة الله عليك وعلى جماعة الإخوان المتأسلمين بتاعتك دي فى آن واحد وربنا ياخدكم عزيز مقتدر ويجحمكم

فى نار جهنم لأني أنا المسلمة الحق اللي ولله الحمد حاجه بيت الله ومتممة ديني على أكمل وجه.. بس للأسف ما فيش معايا سيف ولا خنجر وهى دي الحاجه الوحيده اللى ناقصاني.

وأخيرًا.. اسمع .... أنا بقولك أهه.. لست أنا من يستساغ لحمها.. إبعد عنى خالص واحترم نفسك معايا لأني والله وإلا.. و3! إننى أحذرك.. لو عذت أوصلك هوصلك فإبعد يابني أحسن ومالاكش دعوة بيا خالص عشان وقتي اللى ضيعته في الرد عليك ده ثمين جدًا وساعتها والله العظيم ما أنا متنازلة إلا ما هاخدوا منك أضعاف مضاعفة يا محظور أفندي وقد أعذر من أنذر).

وليس هذا هو كل ردها، لأن الرد استغرق ثلاث صفحات، وإنما هو أبرز ما فيه، وسترد مرة ثانية وثالثة كل مرة في عدد من الصفحات وبالمعاني السابقة.

ووسط حرارة المعركة التي جعلها نوعًا من الردح نجد تعليقاً هادئاً عاقلاً يقول:

(السلام عليكم جميعًا بمختلف توجهاتكم.. الشيخ حسن البنا مهما اختلفنا حوله يظل أحد أعلام هذه الأمة خلال العصر الحديث حيث نجح فى تكوين أكبر جماعة إسلامية كنا معها أو ضدها إلا إن الثابت أن هذه الجماعة كان لها كبير الأثر فى التكوين الفكري والعقدي إن لم يكن لكل الشباب العربى فلأغلبهم وإن حادت الجماعة عن الطريق قليلاً أو كثيرًا، كما يعتقد البعض فإن فى تعامل الطرف الآخر معها سبب مباشر فى توجيهها نحو العنف والتكفير، فهذا النوع من الأفكار دخل على الجماعة بعد التعذيب والتنكيل الذى وجدته الجماعة من أعداءها ولكم مني جميعًا السلام).

ويتلوه تعليق يماثله:

(إلى كل من شارك في هذا الحوار.. السلام عليكم ورحمه الله وبركاته السادة المحترمين الأخوة الأفاضل.. دعونا نرقى بحوارنا ولنترك السب والشتائم لغيرنا فجميعنا لسنا أهلا لها إن شاء الله تعالو نتحاور دون كراهية أو حقد فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الجدال العقيم الذي يعقبه كراهية وإفساد بين المسلمين ولنترك ما مضى من مناقشات كانت أشبه بساحة القتال، هيا نتحاور ولكن «بشرطان» أو إن شئتم طلبان الأول[1] ألا يسخر واحدًا من الآخر أو يستهزء به، الثاني ألا يتحدث أحدنا بتهمة إلا بدليل أو برهان إذا اتفقنا، فعلى بركه الله نبدأ، وإن لم نتفق فجزاكم الله خيرًا.. تحياتي).

---

(1) أوردنا النص بأخطائه النحوية.

إلى الأخ مجهول الذى يوجه إلى شخصي رسالة :

من أنت حتى تسدي إليَّ هذه النصائح ؟ ولصالح من ؟ بدلاً من أن يزعم أنـه من جماعة ما أنزل الله بها من سـلطان.. جماعـة على رأي واحـد آل عملت من حسن البنا زي البهائيين بالضبط.

أولاً : كـل مـا لـك عنـدى فقـط أن أقـول لـك وعليكم السـلام ورحمـة اللـه وبركاته.

ثانيًا: أنا لم أوجه لك كلام حـتى تتكلم معي فى موضـوع أنـا قلت أنني بحـل من مجرد أن أشغل به عقلى .

ثالثاً: من أنت حـتى تسدي إلى هـذه النصـائح ؟ ونصـائح على إيـه ؟ فين الغلط عندي عشان سعادتك توجه لي هذا الكلام ؟ والله إن كنت شايف حضرتك إن فيه غلط يبقى شيل من أدامك المراية اللى أنت حاططهـا مش هتلاقى غلـط تانى ، المسلم الحق لا يخطىء أبدًا ياللي بتنصحني وإن أخطاء فـيرفع من شـأنه أن يعترف بخطأوه بدلاً ان يزعم أنه من جماعة مـا أنـزل اللـه بهـا من سـلطان، جماعة على رأي واحـد آل عملت من حسـن البنـا نبي زي البهـائيين بالضـبط لما عملوا من بهاء نبي، وقالوا دين جديد وشوية شـوية هيعـدلوا فى الإسـلام حسـب هواهم .

أنا بكرر وأؤكد إنني لم أعرفكم على حقيقتكم إلا فى هذه الأيـام فقـط ومـا كنت يومًا ما أشغل بالى بيكم رغم أننى نادرًا مـا أسـمع أي تأييـد ليكم فى شـتى المجالات، بل رفض شعبي جارف وتخوف من أن يأتى يـوم تمسـكوا فيـه الحكم ساعتها هتحصل حرب أهلية وهتبقوا بغبائكم العتيق ده انتوا السبب.

انتوا للأسف مش فاهمين دنيا ولا دين انتوا بس زى الأطفـال اللى ماسـكين الكبريت وبتلعبوا بيه وآخرتها هتحرقوا نفسكم وهتحرقونـا معـاكم وسـاعتها مش هنسيبكم والله العظيم، بل هنقطعكم تقطيع، لأننا من الآن وفيه ناس بتقـول من زمان أنكم شوية عيال طايشة.

وبعدين كيف تنتقد المهندسه وتتهمها بسلاطة اللسان وأنتم موجودين ؟

مش كفايه انتوا ؟

أمـا أنتم فهـذه طـبيعتكم تريـدون أن تفرضـوا أفكـاركم علينـا فهـو لعن المسلمين وعمل كذا وكذا وانتوا الملائكة المنزلين وأنا عمومًا لست مأمورًا بـأن

أكون نائبًا عنه هو يدافع عن نفسه كيفما شاء وأنا بحييه على رباطة جاشه وقـوة أعصابه .

وأكرر أخيرًا أنني أرفض التعامل مع أمثالكم حتى تصبحوا مسلمين على حق لا متأسلمين ورجائى ما تتكلمش معايا تاني من فضلك انتهى) .

تعود المهندسة إيثار لتبدأ وصلة «ردح»:

(من الباشمئذه إيثار إلى الباشـمهزاء.. صـاحب أو صـاحبة التعليقـات بإسـم الباشمئذه إيثار.

ألف سلامة على عقلك المحتـاس وشـرف جماعتـك المنـداس.. ألـف تحيـة للجماعة الربانية المباركة ولكل مسلم غيور على دينه لا يسب ولا يشتم ولا يلعن ولا يلمز هذا بالكافر وتلك بالعلمانية فإن ذلك من فراغ العقول .

أما الكلام عن وحيد حامد وكلام الحـواري والأزقـة والنواصـي بتـاع الجماعـة المهدور شرفها وكرامتها عـبر كل العصـور جـزاءً لمـا ارتكبتـه أيـديها من جـرائم وآثـام فى حـق المسـلمين، فأنـا ليس لدي وقتاً أضـيعه مع العبيـط من أفكـاركم والتافه من كلامكم الذى تصـبغونه بصـبغة دينيـة كعـادتكم دائمًـا لا تجـوز إلا على قوم من السذج والدراويش كأمثالكم فإن خالف فكـركم أحـد أصـبح فى نظـركم كافرًا وأود أن أقول لكم أيها البلهاء مرة أخرى وخاصة الموتور عقليًا محمــد أنتم منبذون فى الأرض وإن إعتقدتم أن هناك الكثير ممن يلتف حولكم فالذباب دائمًا لا يجتمع الا على القيح من أمثـالكم، ومـا تـدنى الحـوار إلا ظلكم حيث أنكم فعلا زلنطحية.. (ياختى عليهم آل مش عارفين يعنى ايه كلمة زلنطحية.. يـا حـراااام ! أصلكم رقـة ولا ولاد ذوات) انتـوا بس بتعرفـوا كلمـة قتلنجيـة انتـوا تعرفـوا ازاي تقتلوا إزاي تنسفوا إزاى تخربوا إزاى تعملوا فتن فى البلد إزاى تغتالوا شخصيات سياسية بــدم بارد تحت مسـمى الجهـــاد.. عيب عليكم يـا إرهـابيو المجتمـع دا اللباختشوا ماتوا .

أما ما سخسنى من الضحك (حلوه سخسخني دي ؟ يا تـرى هتفهموهـا دى كمان ولا هتعملوا عبط زى عادتكم) هذه الجملة العبيطه مثـل اللى كاتبهـا والـتى وردت فى قسم الباشمئذه مرتشي (وتستهذئي بها وبالجماعة المباركة) .

هىء هىء هىء هىء.. يــا.. سسسسسسســلالالام.. مباركـــة.. !!!!!!!!.. لــــــــول !.. لا والله فعلا مباركة .

يالا بقى بلا هيافة أنا مش فاضـيالكم عشـان أرد معـاكم، أنـا مشـــاركة فى مشروع بناء مدينــة سكنية عشان الناس تســكن فيها وبنحل أزمة إسـكان، وأنـا

آســفة جدًا إنى بليدة أوى وما بعـرفش إزاي أعمـل قنبلـة ولا أسـتخدم مسـدس عشــان ابقى زيكم ، وآسفة جدًا إني مش فاضية ءألــف وألفــق تهم لهــذا وذاك وأقول دا مسلسل أمني مرة وأقول دا عذبني مره أخرى، أنا مــا بعــرفش الكلام الخايب بتاعكم ده.

تحياتى للأستاذ العظيم وحيد حامد على مجهـوده المشـرف ضـد الرجعـيين والمتخلفين والإرهابيين .

موتوا بغيظكم يا إخوان .

أنا كده شـربت الشـاى خلاص.. عن إذنكم بقى أقـوم عشـان أكمـل شـغلي اللى بيفيد الناس مش بيقتلها).

وأخيرًا يأتي التعليق الذي جاء أول التعليقـات ردً عليـه وهـو بعنـوان «شكرًا وحيد حاض»:

(أستاذ عبد الله شكرًا على تعليقك بس حابه أقولك إن أنا مش حاقولــك إن أنا بفهم أكتر من أي حد لا أكون كذابة بس يا أستاذ هذا المسلسل مش هـايف لا دا جريمة في حقي وفي حقـك وفي حـق كـل المصـريين الشـرفاء ممن يحبـون بلدهم وواضح أنك ما شفتش المسلسل لأنك لو شفته ما كنتش دافعت عنه كـدا فأنا بانصحك أنك تشوفه كويس لأن هذا المسلسل ليس يعيب فقط في الإخوان ولكن يعيب في شئ اختلف فيه العلمـاء وهـو النقـاب وجـايب المنقبـات بصـورة ساخرة هزلية لا يصح لبلد مثل بلد الأزهر ان يكون فيها مثـل هـذا الهـراء والعبث في الســنن النبويــة بـل وجـايب أن الخدامات بس همــا اللي لابسـين النقابـات واللصوص يرتدون النقابات وهذ خطـأ فـادح وقـع فيـه المؤلـف المغمـور لأن من يرتدي النقاب ليسو لصوصًا أو شغالات أو بنات ليل، وأحب أوضـح أن المسلسـل لو حضرتك كنت شفته جايب الـدكتور عمـرو خالـد بأسـلوب إنسـان لا يفقـه في الدين وأنه إنسان ليس له مبدأ وأنه إنسـان كـذاب ولا يخـدم الـدين ولكن يخـدم أهواءه الشخصية ونزواتـه من حب للمـال وحب للشـهرة وحب لذاتـه وليس حبًـا في الإسلام وهذا خطأ فادح وقع فيه المؤلـف الكبـير بس هو مـا سـماش عمـرو خالد باسمه ولكن سماه الشيخ عاطف هههههههههه بس ذكر الإمام حســن البنا باسمه وشخصه ووصفه تعرف تقولي ليه هو عمل كدا يا أستاذ عبد الله أنــا مش بفهم زي أي حد ولكن اللي يشوف المسلسل وما يقولش كده ويلاحظ كيف هذا المؤلف كذب وافترى على الناس وعلى سُـنن ربنا سبحانه، بل واستخف بعقــول ملايين المصــريين البســطاء وضــحك عليهم ومبســوط من المسلســل يبقى دا محتاج يراجع نفسه ويفهم شويتين كمان وشكرًا وأرجو أن تعذرني).

وجاء تعليق موجز في سطرين من «هند»:

أنا مش عارفة الناس بتعمل كده.. هما عايزينا إزاي عايزينا نترك الدين الحق.. ونمشي ورا وحيد حامد وشلته المخمورين ولا إيه.

وسرعان ما جاء الرد من المهندسة دكتوراه «الردح»:

(الحاجة هند اللى هى باين عليها هتشتغل لنا زينب غزالي جديدة باين عليها لا حول لها ولا قوة الا بالله معندهاش فكرة عن أى شيء فى الدنيا عكس ما هى بتقول.. تعالوا نشوف بتقول ايه ؟

الست حضرة جنابها بتقول يا جماعة أنا نفسي اللي يتكلم ويسب في الإخوان يتكلم عن واقع من كتب محترمة وياريت ما يسمعش أي كلام من أي حد أو من وحي خياله ويقعد ويتخيل اشياء فى فكره وييجي ويكتبها .

أنا بس عايزه قبل ما أرد أقول للست هند كرم الله وجهها.. يا ست هند انا مش شايفة حد هنا بيسب فى الإخوان بمعنى السب لكن اللي موجود على الطبيعة أن الإخوان بيهاجموا بطولة لسان وبيترد عليهم بنفس أسلوبهم أو زياده شوية وده من حق اللى بيردوا مش أكتر.. يعني ده كلام افتراء .

لكن عمومًا كويس أوي يا ست هند، لا والله أتحفتينا حضرتك وجبتى التايهه.. يا ناس هذا نداء من حضرتها بأن ياجماعة يبقوا اقرأوا كتب الإخوان فقط لاغير.. هى دى الكتب المحترمة وبس.. لكن أى حد ضدهم يبقى غير محترم .

والنبى شايفين يا ناس ؟ شايفين يا عالم يا هوووووووو عقدة الإخوان يا ناس ياللى بتفهموا ؟ أهى أدامكوا واضحه زي الشمس بس للى بيفهم اللى بين السطور وبس.. عايزة تقول لكم ما تسمعوش كلام حد غير الإخوان وبس.. هو ده أسلوبهم اللى هما عودوها ودربوها عليه واللى ناويين يفرضوه من فكرهم الدكتاتوري الرجعي المتخلف.. بل وقل ربما الدموي كمان على رقبة شعب مصر لو وصلوا للحكم زى ما بعض الأخوة ما وصف .

هى نفسها مقدرتش تخفي هذه الصفة من عقلها اللي فكر ولا إيدها اللى كتبت .

والدليل على كده انها اعتبرت إن اللى يخالف الإخوان يبقى مش عايز دين.. وده فى آخر تعليق قالته فوق خالص.. وهو ده اللي بينادوا بيه منذ نشأتهم وحتى اليوم .

ووصـفت مسلسـل وحيـد سـيف بالهـايف.. يعـنى كلامهـا هى والإخـوان وافترائتهم على عبد الناصر والثورة والسادات ومبارك هـو اللي مليـان ! يـا حبـة عينى.. لا والله فكر جميل تريد أن تزرعه فينا الست هند .

وبعدين لما وحيد حامد كلامه هايف زي ما هى بتقـول، ومفـتري وكـذاب زي ما البعض ما بيقول.. أمال الإخوان لما يتهمـوا عبـد الناصـر ولا السـادات ولا في عهد مبارك أنهم اتعذبوا يبقى كلامهم صدق ؟

طبعا هتقولى آآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآه .

ماشى بس اشـمعنى بقى ؟ إيـه دليلـك ؟ يـاترى كتبهم ؟ هتقـولي لي كتبهم محترمهة ؟ على الأقـل وحيـد فضـح الإخـوان وعنـده الأدلـة من المراجع والكتب اللى معروفه فى السوق وما جابش حاجة من أمريكا اللى هما على اتصال بيها.. وبيتحـدى بـأن الإخـوان كـذابون ومفـترون، وقـال على سـبيل المثـال إن عصـام العريان قال على شاشات التليفزيـون أنـه مشـافش المسلسـل خـالص وبعـدين بينتقده.. طيب ازاى بينتقد حاجه وهو ما شافهاش ؟

ووحيد حامد أكد أنـه مسـتعد لمـواجهتهم، لأن كل كلمـة في المسلسـل من داخل المراجع ومنها من مراجع الإخوان أنفسـهم وعلى رأسـهم مـذكرات حسـن البنا نفسه.. وقال وأنا معاه بـأن المسلسـل كشـف حقيقتهم اليـوم أكـثر من ذي قبل.. وده اللي مخلياهم على فوهة بركان .

وأخيرًا أنا هثبت لكم افتراء الإخوان المسلمون:

فعلى سبيل كتبوا فى كتاب مذبحة الأخوان فى ليمان طرة وقـالوا فيـه بـأن العساكر ضربوهم بالنار جوه السجن وقتلوا منهم عدد كتير.

ماشي.. طبعًا على طول أي إخوانى هيهيج ويثور ويقول أيوه ده حصل .

هقله ماشي.. بس الكتب اللى ردت على الكلام ده قالت الواقعة دي مبـالغ فيها لكن الحدث وقع لأن الإخوان هجموا على العسكرى السـجان وخطفـوا منـه مفتاح العنبر وخرجوا وكان لابـد من مـواجهتهم وولـولا إطلاق الرصـاص مـا كـان سيتم السيطرة عليهم. وعلى فكرة هناك اعتراف فى بعض كتب الإخـوان بـأنهم فعلا سرقوا مفتاح العنبر من السجان .

حرى إيه يا ست هند.. ما تتكلمي مظبوط يا أبلة.. إن كنتي مسـلمة بصـحيح قولي اللي عليكي زي اللى ليكي .

لكن اوعى تصدقى نفسك إن انتى مثقفه واحنا جهله .

صدقينى يا ست هانم غالبية الناس بتكرههم كره العمى ومش طيقاهم.

معظم الناس والله لديها النية بمقاومتهم لو شعروا بس بـأنهم سيصـلوا الى الحكم .

بلاش تنخدعي وتصدقي كلام الناس السـذج البسـطاء اللي بيوحـوا لأمثالـك أنهم فى صف الإخوان.. طبعًا أصلهم غلابة.. بس فى مخهم حتى لو كـان معـاهم ميت شهاده.. لأن فيه فرق بين الشهادة والعقل المفكر .

أنا مش عايزه أدخـل هنـا فى صـراعات مـع حـد لكن انـا هختم بـآخر عبـاره وليقرأها جميع الإخوان.

اعلمـوا أننـا كلنـا مسـلمون بـدون إضـافات ولا اختراعـات.. أي لا إخـوان مسلمون.. ولا أصدقاء مسلمون.. ولا جيران مسـلمون.. ولا أي كلمـة قبـل كلمة مسلمون، ولن نقبل بمثل هذا، نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأفضل السلام مـا قالش اعملوا كده خالص، لأن كـده يبقى انتـوا عملتـوا حسـن البنـا نبي الإسـلام الجديد زي البهائيين كده لما طالعونا بنبيهم اللى بيعبدوه ده ولا مش عارفة بيـبيع إيه.. يا ريت بس يا ياللي بتسموا نفسكم إخوان تبطلوا تأليف دين جديد وتخليكم على أد نفسكم وعلى أد الجحور السرية اللي مليانـة غـل وحقـد وسـلاح وقنابـل بتـاعتكم دى اللى تحت الارض، ويـا ريت مـا لكمش دعوة بالشـعب الكـادح الغلبان.. خليكم فى حـالكم وبس.. إحنـا دينا عارفينـه صـحححح، إحنـا عارفينـه كويس جدًا وأحسن منكم كمان، انتوا لو حتى منتمين لدين بهائي ولا حتى يهودي والله ما كنتم عملتم جرائم القتل اللى إيديكم مخضبة بدماء الأبرياء فى تاريخكم الأسود المجيد.. بس .

صحيح أنـا مش بعـرف أتكلم ولا ليـا فى النفـاق ولا الكـذب ولا الافـتراء زي الإخـوانى بتـاعكم ده بس أنـا صـحيح منفعلـه بس بتكلم على سـجيتي وببسـاطة شديدة لأن بصراحة واضح كده من تعليقات المناصرين للإخوان هنا أنها تعليقـات زلنطحية وعايزة تقف عند حدها ولازم ليهـا من اللى يـرد عليهـا.. سـلام يا أبلـتى الفهيمة هند.. إلخ) .

ولأن تعليق المهندسة المتشنجة يأخـذ صـفحتين اكتفينـا بمـا أوردنـاه رحمـة بالقراء.

وهناك تعليق من عبد الله العجمي:

(كنت عايز أقول للأسـتاذ محمـد حـامى حمـا الإخـوان، إذا كنت بتكـذب الأخ أحمد سلامة في كلامه فهذا من حقك إن كان لديك دليل على تكذيب ما يقول .

أما أنا فهل تكذبني إن قلت لك أن ثلاثاً من ماركة الإخوان الله أعلم هل هم إخوان أم لا لكن أوصافهم تقول أنهم إخوان مسلمين حيث اللحية طولها شبرين، والزبيبة على القورة أد البريزه الفضة، والجلابية البيضة، وأقوال من قال الله وقال الرسول لا تحصى ولا تعد والصلاة فى المسجد كل فرض، والتعصب للإسلام وهكذا من هذه العلامات التى تدل على تعاظم الوجهة الدينية عندهم .

ما أقوله كان حدث تقريبًا فى منتصف عهد السادات.

التلاتة كانوا شركاء فى مكتبة لبيع الأدوات المدرسية وخلافه

وفى يوم لقينا البوليس لما كان بوليس أيام السادات الله يرحمه طب فجأه وحاصر المكان واقتحموا المكتبة .

إيه بقى الموضوووع يا سيد محمد يا إخوانسى؟ كان فى الوقت ده كان فيه أزمة سكر، أصل تمن السكر كان ب 70 قرش، ولما بدأت التجار تخبيه وبيعوه فى السوق السوده كانوا بيبيعوه ب 160 قرش، اتضح من خلال تحليل الحدث وقتها والله أعلم إن كان فيه واحد متابع التلاتة الإخوانيين دول، وشاف عندهم مخزن خلف المكتبة لجوه خالص مقفول بأرفف المكتبة بطريقة سحرية ومخزنين فيه أشولة كتير من السكر وبيطلعوا الكيلو بكاااام يا عم الإخوانى محماااااااد ؟ 2 جنيه للكيلو واللى مش عاجبه يضرب رأسه فى الحيط .

راح مبلغ مباحث التموين فى الحرامية الإخوانيين دول، فجم مسكوهم وقبضوا عليهم وصادروا كل أطنان السكر اللى كان فى المخزن .

طيب إيه رايك فى قصتي دي ؟

برضو هتقول مفتري ؟

لو قلت كده تبقى انت بقى اللى بتفتري على خلق ربنا.. سلام يا حمادة .

وبتقولى إخوان ؟ يا عم العب غيرها بقى .

أعقبه تعليق من شيماء:

(الخطاء الوحيد الذى وقع فيه وحيد حامد بارك الله فيه وفي أمثاله هو تسمية المسلسل، فقد كان عليه أن يسميه مسلسل الخونة بدلاً من الجماعة، ولا أدري كيف أرى هنا من يدافعون عنهم إلا إذا كانت على قلوبهم غشاوة أو على الأقل لديهم عقدة تعاطف الجاهلية الأولى، أولئك هم لا يفكرون ولا يقرأون ولا يعقلون ولا يعرفون هم فقط كالأنعام يأكلون ويشربون ويتغوطون ثم ربما إذا جاءوا يفترسون.. رحمتك يا رب) .

وأسوأ من هذا ما جاد به الدكتور مصطفى العيسوي:

(أنا مش فاهم انتوا عاملين أهمية للإخوان بهذا الشكل ليه ؟

إيه يعنى الإخوان ؟ ما تقربـوا منهم هتلاقـوهم نـاس مسيسـين من الخـارج، وبيتلعب بيهم الكورة من أيام الملك فـاروق وانضـربوا بالجزمـة فى عهـده، وفى عهد عبد الناصر وحطهم فى السجون وذلهم، والسـادات اسـتغلهم للهجـوم على عبد الناصر وفى الآخر عمل فيهم زي عبد الناصر، وبعدين جه مبـارك وقالهـا فى أكثر من خطاب أنهم سبب الإرهاب فى مصر .

أنا مش فاهم انتوا بتقعـوا فى بعض عشـان حزمـه قليلـة من الحثالـة يلتـف حولها الآف من الجهلة .

والله انتوا عالم تافهة.. بلا إخوان بلا زفت.. هو احنا ناقصـين فتنـه.. اتكلمـوا فى مشاكل البلد أهم) .

وهناك تعليق موجز من هاني أحمد:

(أنا ما أعرفش كتير عن الإخوان المسـلمين بصـراحة مش مهتم بيهم أصـلا لكن أنا مش مصدق أي شيء جه فى المسلسل والسبب واضح أنه وحيـد حامـد طلع رجالة أمن الدولة بصورة ملايكة دى غلطـة وحيـد حامـد اللى مـا يعملهـاش عيل فى ابتدائى).

وهناك ردود مطولة من الأخ محمـد كـان يجب أن تـذكر أولاً، ولكنهـا ذكـرت أخيرًا، وهي وإن كانت دفاعًا عن الإخوان فإن كاتبها نزل إلى مستوى ما نزل إليه خصومه، من مستوى متدني.

* * *

إنه لأمر محزن أن ينزل السـجال إلى هـذا الـدرك من السـطحية والفجاجـة والسب والشتم والسخرية، فيقال عن وحيد حامـد «العجـل»، و«وحيـد القـرن»، ويقال عن الإخوان أنهم «حثالة انضربت بالجزمة».

إن هذا النزول يوضح أن هـدم القيم الـذي بـدأ من سـنة 1952م مـع الحكم العسكري، وأذل الحرية والكرامة الإنسانية والعدالة.. إلخ، هبط بالمستوى العـام للأمة كلها، كما أصاب شريحة كبيرة منهـا بـالإنحراف الـذي وصـل إلى الأعمـاق، وأن الانسياق الأعمى للأكاذيب والسموم والشهوات والأنانيـات وصـل إلى درجـة حـالت دون التلاقي العقلاني السـلمي المنطقي وأصـبح التعصـب الأعمى هـو السيد، وقد دهشت لـروح الاسـتعلاء الـذي تملـك المجموعـة المضـادة للإخـوان،

وأنهم ينظرون إلى الإخوان كمواطـنين درجـة ثانيـة أو ثالثـة، وليس لهم عقـل أو فكر، في حين أن من المعلوم أن الإخوان أخرجت عددًا كبيرًا من أفضل الأطبـاء والعلماء وأساتذة الجامعات.. إلخ، وأن معلومات السـادة المعارضـين في غايـة السطحية والركاكة، فمن حق المهندسة ذات الدكتورهات الثلاث والعمل الـدائب أن تفخر بذلك، ولكن هذا لا يعطيهـا الحـق في «التريقـة» والسـخرية بـالآخرين، خاصة إذا لم تكن تعرف عن الإخوان إلا ما قدمه المسلسل، وقد أرادت أن تفنـد ما ذكره الإخـوان عن مذبحـة طـرة، بـأن أحـد الإخـوان انـتزع مفتـاح العنـبر من العسكري، وهي رواية تغلب أن تكون قد جاءت من أحد ضباط أمن الدولة، وهي بعيدة عن الحقيقة، وأن الحقيقة أن الإخـوان اعتصـموا داخـل الزنـازين ورفضـوا الخروج منها لتحطيم الصخور في الجبل وهي الأشـغال الشـاقة الـتي يحكم بهـا على المجرمين، وليس على المعتقلين، ولما رفضوا الخروج ضربهم العسكر في الزنزانات وهذا ما سبب كثرة عدد القتلى، فقصة مفتاح العتبر لا مكان لهـا، كمـا أن الأخ الذي تحدث عن ثلاثة من ذوي الذقون الطويلة والزبيبة مثل ريال الفضـة والجلباب القصير، فهذا زي السلفيين الوهابيين أو من هاجر إلى السعودية وتـأثر بهم، ولم يحدث أن ارتدى أحد الإخوان قميصًا قصيرًا، فهم يلبسون زي الجوالـة، وعلى هذا فإن الحادث لا ينطبق على الإخوان، وهو على كل حال لم يقطع بأنهم من الإخوان، ولكن تصور أنهم كذلك لقلة معلوماته عن الإخوان.

* * *

لنسـرع بطي تلـك الصـفحات «المقرفـة» لنفتح صـفحات أخـرى عسـى أن تكون أفضل من موقع «بصريات» المنكوب.

فهذا موقـع «اسـتوديو القـاهرة».. وهـو يبـدأ بكلمـة عن المسلسـل وحـذف مشهد اغتيال الإمام الشهيد، وما ذكـره بعض الكتـاب وتـأتي التعليقـات في 118 تعليقاً، وبقدر ما اتصفت تعليقات الموقع السـابق بالإسـهاب وأنهـا «وصـلة ردح» حقيقي، بقدر ما اتصـفت تعليقـات هـذا الموقـع بالإيجـاز، فـالتعليق في سـطر أو اثنين، وأكبر تعليق لا يتعدى خمسة أو سبعة أسطر.

أول هذه التعليقات من كازانوفا مصر (عضو مسجل):

تم حـذف مشـهد اغتيـال حسـن البنـا بالفعـل وقـامت الحكومـة المصـرية باستدعاء وحيد حامد ووزير الاعلام وغيرهم فى اجتماع لمناقشـة الأثـر العكسـي لمسلسل الإخوان على المصريين، وكيف كسب البنا تعاطف المصـريين ومـا هـو السبيل للخروج من ذلـك المـأزق.. إلى الأمـام يـا إخـوان لسـت إخـواني ولكـني إسلامي ومتعاطف.

وتعليق إفي مزراحي:

إن تاريخهم الأسود هو منذ أن تشكلت الى هذا التاريخ هم جماعة مظهـرهم يتكلم وباطنهم يتكلم والمعروف عنهم جماعة لم يعرفون الرحمة فى معتقدهم.. أنهم جماعة أسست لقلب أنظمـة الحكم فى البلـدان العربيـة وأسسـت أحزابهـا فى دول الـدول العربيـة وضـمت.. النـاس وهـو الـدكتور النفيسـى... الـذى يتنبـأ بالانقلابات على الحكام ويحرض الناس على القتل لك يعوم هو بالبحر لوحده.

وعلق مروان المصري:

إذا أردت معرفـة عظمـة الشـخص فـابحث عن أحبابـه ومريديـه، فكمـا أن مريديك يا حيد حامد مروان بك حامد مخرج فيلم عمـارة يعقوبيـان فـإن للشـهيد حسن البنا رفقاء درب ومريدين مثل الشيخ محمد الغزالي والشيخ منير الغضبان بسوريا والشيخ فتحي يكن بلبنان والشيخ وجـدي غـنيم بمصـر، بـل وأقولهـا بكـل حيادية إن أغلب الكتب الإسـلامية الـتي خـرجت في القـرن العشـرين كـانت من مدرسة الإخوان والتي تعلم منها كل واحد فينا سواء مباشر أو غـير مباشـر مثـل فقه السُـنة لسيد سابق وكتب محمد الغزالي والمناهج الحركيـة للسـيرة النبويـة لمنير الغضبان الإخوان يا أخي مدرسة ضخمة لن تستطيع بعقل الصغير تدراكها.

وتساءل من رمزي سوريا:

المسلسل أكثر من رائع وخاصة الفنان الاردني الفلسطيني الأصل إياد نصار له مستقبل باهر.

وتساءلت أميرة الصحراء:

ما الذي يجعل كاتب نصراني يهتم بالكتابة عن جماعة المفـروض أنهـا تنتمي إلى التيار الإسلامي ؟! هل هو إعجاب بها ؟ هل هـو حب في الإسـلام ؟ هـل هـو أسلوب جديد للبحث عن الشهرة مع أن الكاتب لا ينقصه ذلك.

وردت على ذلك الملكة نفرتاري (عضو مسجل):

وحيد حامد مسلم سني يا أميرة هانم هههههههههههههههه.

وشغلت هذه القضية هل وحيد حامد مسلم ؟ وما هي عقيدته ؟ المشاهدين.

وعلقت مصرية فرعونية (عضو مسجل):

وحيد حامد مسـلم وزوج السـيدة زينب سـويدان رئيس التليفزيـون السـابق وأشهر من قدمت نشرة الأخبار في التليفزيـون المصـري وابنه المخـرج الشـاب مروان حامـد، وهو سيناريست رائع كل أعماله ناجحة ورائعـة.. مثل أحلام الفـتى

الطــائر والعائلة ويكفيه فقط فيلم العبقــري الراحل احمد زكي الــبريء.. وفيلم الإرهــاب والكبــاب الــذي ينتقد فيه النظــام بكل جــرأة..ولا أعــرف هل العلمانية أصــبحت مرادفــاً للكفر لــدى بعضــكم.. أســتاذنا العبقــري وحيد حامد مسلسل الجماعة هو أفضل عمل درامي شــاهدته منذ ســنوات طويلــة.. فهو يكشف خبايا هــذا التنظيم الــذي انخــدع الكثــيرون بشــعاراته البراقة أعــترف كنت واحــدة من هؤلاء.

وأكمل معلق آخر محمد البكري (عضو مسجل):

وحيد حامد مسلم وكما قالت الأخت مصرية فرعونية هو زوج الســيدة زينب سويدان رئيس التيلفزيون المصري الأســبق.. وإصــرار الكــاتب وحيــد حامــد على خروج العمل الدرامي الضخم الذي يتحدث عن جماعة الإخــوان المســلمين الــتي أثرت في تاريخ مصر منذ نشأتها على يد مؤسسها حســن البنــا هــو إنجــاز ســوف يسجله له التاريخ.. ويوجد أصوات كثيرة كانت ضد مسلســل الجماعــة ومعظمهــا بالطبع من الإخوان المسلمين أنفسهم والتي حــاولت تصــوير مسلســل الجماعــة على أنه إساءة للدين الاسلامي ككل وليس فقط محاولة إعطاء نظرة موضوعية عن نشأة الجماعة وتأثيرها في المجتمع المصري خاصة والعربي عامة.

وعلقت أميرة الصحراء (عضو مسجل):

وحيد حامد لم يهــاجم الإخــوان لأنه يكــره منهجهم، بل هو يــرى أن الإخــوان يمثلون الإسلام، فهجومه عليهم هو نابع من كرهه لكل ما هو إسلامي وخوفه من أن يأتي يوم يرى مصر دولة تحكم بشرع الله وهذه عقيدة كل علمــاني، وعقيــدة الإخـــوان واضـــحة ومكشـــوفة للجميع في كتبهم وكتب من انتقـــدهم فلا داعي للإشـــادة بوحيد ومن هم على شـــاكلة وحيد لمجـــرد أنه تكلم على الإخـــوان في ســيناريو مسلسل أي تمثيليــة، وبــدعوى أنه كشــفهم، إذا كــان كل شــخص انتظر فيلمًا أو مسلســلاً لكشف حقيقة النــاس فلنــودع إذا المصــداقية في الحكم على الآخرين، محمد البكري أنا لست فيلسوفة، ولكن إن كنت تــراني كــذلك فلا مــانع عندي.

وردت عليها مصرية فرعونية (عضو مسجل):

هل هناك مسلم يكره الإسلام هلا شققتيٍ عن قلبه وعرفتي أنه يكـره ما هو إسلامي ؟ هل هو سطحي لتلك الدرجة لكي يرى أن جماعة الإخوان هي الإسلام ؟ أراكِ تـدلين برأيك في أشـياء تجهلينهـا.. فـأنتِ لم تكـوني تعلمين أن الرجل مسلم، وعنـدما علمـتي أنه مسـلم وجـدتي مـبررًا لهجومك عليه أنه علمـاني، ثم اتهمتيه أنه يكـــره ما هو إســـلامي، فهل كل من لا يؤيـد الجماعة يكـــره ما هو إسلامي كنت معجبة بعقلك وطريقة تفكيرك لكنك لا أعرف أصبحتي تتحدثين في أمور تجهيلينها فقط لإثبات أن وجهة نظرك صحيحة !

وعلق إسماعيل شحاته:

هل يعرف أحدكم الشيخ أحمد ياسين فهو أحد تلاميذ البنـا.. ومراكز الإسـلام فى أوروبا صنيعة الإخوان بفضل الله أن تلك الشجرة المباركة التى زرعها الإمام الشـهيد تعطى ثمارها فى كل وقت وحين بـدماء مؤسسـها ومن بعـده قادتها ولا يزالون يضحون بوقتهم وأموالهم ويضطهدون ويعتقلون وتصادر أموالهم من أجل رفعة الإسلام والأمة جمعاء.

وعلق عبد الله سعيد (زائر):

حسن البنا رحمه الله يُعد فخرًا لكل مصري.

وعلق الكتكوت الشرس (عضو مسجل):

أنا شايف المسلسل متفبرك ومتفصل.

وجاء رد إيهاب المصري:

لا شك في أن المسلسل قد آتى أكُلـــــــــــه.. وإن أبلغ دليل على نجاحه ومصداقية أحداثه هو رد فعل الإخوان أنفسـهم تجـاه المسلسـل.. ومن الطـبيعي أن يشـير الإخـوان إلى أن المسلسل الـذي هتك أسـتارهم وفضـح.. أمـام العامة والخاصة يشكل نصرًا مبيناً لهم.. فلنا في فرع الإخوان المسـلمين في فلسـطين (حركة حماس) مثال حي في تسمية الهزائم انتصارات وتسمية مجـازر الصـهاينة فتحًا مبيناً.. الصـراخ على قـدر الألم، وشـكرًا لوحيد حامد كشف السـتار عن تلك الطائفة.

ومن التعليقات الذكية:

الديموقراطية الســـبيل الوحيد للحرية والإصـــلاح الاقتصـــادي والعـــدل الاجتماعي.

وجاء تعليق من قنديل (زائر):

أنا لست من الإخوان، وهي ليست تهمة أدفعها عني ولكنها الحقيقة، ولكـني احترمت كثيرًا الشهيد حسن البنا بعـد مسلسـل الجماعـة، وشـكرًا وحيـد حامـد، وحرام الافتراء على من بذل حياته مدافعًا عن الإسلام.

وهناك تعليق لافت جاء من (عضو مسجل):

حسن البنا ليس فقط للمصريين.. لذا يجب أن يحذر صناع الدراما من تأجيج الكره ضدهم، فالعالمين العـربي والإسـلامي يحـوي الكثـير من مؤيـدي الإخـوان، وحينها سـتكون حـرب أطـراف بين مؤيـدي أيديولوجية واضـحة كـالإخوان.. وبين متاجرين بالقضايا.

وهناك تعليق من المصري الأصيل:

بعد أن اتضح الغـرض الحقيقى لهـذا المسلسل وهو تشـويه صـورة الإخـوان المسلمين بغرض التأثير على الناخب المصري فى المرحلة القادمة.. إذن غـرض المسلسل (غــير شــريف أو محايــد) خاصة مع اختيــار وحيد حامد الــذى يميل للعلمانيه لتأليف المسلسل دون أن يرجع لأسرة مؤسس الجماعه الشـهيد حسن البنا وأعطى الحق لنفسه لتشويه صورتهم حسب خياله هو.. إلا أن المسلسل قد سلط الضوء على هذه الجماعه التى تحاربها الحكومة بمقتضى قانون الطوارئ.. شعبية الإخوان زادت رغم أنف المؤلف والمنتج.. وأعداء الإخـوان من العلمـانيين وغيرهم بدأوا فى بث سمومهم ضد الإخوان ولكن دون جدوى.

وعلق عمر (زائر):

كل إنسان له ما له وعليه ما عليه.. معروف علي الأقل بالنسـبة لي أن فكر حسن البنا الله يرحمه تنفيذه فشل وأدى إلى كوارث وفوضى وفساد في الأرض عند تطبيقه ومع أن حسن البنا كإنسـان وكفكر يحـترم لكن عند الخـوض العملي كـــانت الكارثة مما جعل من مراجعه الأخـــوان أمر مهم ومصـــيري ! ثم أن أول الناس الذين خذلوا البنا هم الإخـوان نفسـهم عنـدما قتلـوا وأفسـدوا دون علم أو أمر منه وأيضًـا هو نفسه أصـدر أوامر بقتل المصـريين ثم عـاد واسـتنكر، كما أن الرأي القائل بأن أعترافات القتلة كانت بالإكراه يجـوز لكن لا يجـوز أن نقـول أن تجربة الإخوان تنجح في بلادنا بل بالعكس فتنة كبـيرة والله أعلم.. والخلاصة في العنوان.

وتحت عنوان (تحليل) كتب كوكو (زائر):

المسلسل به نقطتين ساعدت الناس في عدم تصديقه، أولاً: مشهد الإساءة لعمرو خالد الملئ بالكذب جعلت الناس تفكر أنه قد تم الكذب في مواضع أخرى في المسلسل.. شعبية عمرو خالد جارفة ووحيد حامد اتمسح أمامها، ثانيًا: جايبين في المسلسل ممثلين من أمثال يسرى اللوزي ومنة شلبي وعزت العلايلي وحسن الرداد يعطونا مواعظ ومحاضرات.

وهناك تعليقان ينددان بالإخوان:

فعلق مصري حقيقي (عضو مسجل):

نماذج من العمليات الإخوانية الإرهابية والتي قام بها التنظيم السري لهم كما ذكر ذلك قادتهم وهم بعيدون فى ذلك عن أي عوامل إكراه أو تهديد أو اعتقال: مقتل المستشار القاضي «الخازندار» ص 255 وما بعدها من كتاب حقيقة التنظيم الخاص لمحمود الصباغ، وكذلك محمود عساف ص 147-157 من كتابه «الإمام الشهيد حسن البنا»، مقتل رئيس الوزراء «محمود فهمي النقراشى» ص 312 نفس المصدر السابق، محاولة قتل «إبراهيم عبد الهادي باشا» ص 314 نفس المصدر السابق، تفجير قنابل فى جميع أقسام البوليس فى القاهرة يوم 3/12/1946 ص 278 نفس المصدر السابق.

وبعدها مباشرة تعليق للمصري الحقيقي (عضو مسجل) يبدو أنه تكملة لتعليقه الأول:

بذمتكم هل يصدق أي إنسان عنده ذرة من العقل.. أن حسن البنا صاحب اليد الحديدية ومؤسس الإخوان المسلمين بنظام البيعة الإسلامية المقدسة والقسم بالقرآن والسلاح ويمين الطاعة العمياء والولاء حتى الموت والأدهي أنه بنفسه يختار الصفوة من المخلصين والأتباع للتنظيم السري الخاص ويدربهم تدريب عسكري سري و مميز.. وبعد كل ذلك يقتلون الأبرياء المعارضين ويفجرون القنابل في الشوارع بين الآمنين من الشعب المسالم ليسقط الضحايا من الأبرياء.. هل يصدق أحد أن كل هذا الشر والإرهاب دون علمه وتعليماته وهو المرشد والخليفة والذي رباهم ودربهم بنفسه.

وقسم تعليق المصريين إلى خمسة طوائف، الأولى: السلفيين أحسن فكر تعبدي والأصوب بالسُنة، ولكن ينقصه الشجاعة بالسياسة، الثانية: الصوفيين وهم لا تعبد ولا سياسة، والثالثة: العامة مذبذبين لا إلى هؤلاء ولا هؤلاء، الرابعة:

المنحطين أخلاقيًا من سـرقة ونهب وقتل وسـفك وغش وهـؤلاء منهم سياسـيون ناجحون ولكن لايوجد دين ولا تعبد، الإخوان أقل بكثير من الفكر السلفي كعبــادة ولكنهم سياسيون.. طـبيعي كل طائفه لها بجهة وعليها بجهة أخـرى الإخـوان لهم بـالطريقين ولكن بنسب أقل من الفئة الأولى بالعبـادة.. والرابعة بالسياسة لأنهم يحاربون داخليًا وخارجيًا وإعلاميًا لست منهم ولكنها كلمة حق لصائم يخشى الله.

وعلق عبد الله سفيان:

بغض النظر عن موقف العلمانيين والفرعونـيين وكل المغـربين والمشـرقين كان يجب أن يحذف المشهد الأخير لاغتيال البنا وفيه تفاصيل مشوقة لنهاية رجل شـجاع لأن عرضه كـان كفيلاً بـأن يعلم الجميع حجم المـؤامرة الـتى تعـرض لها الشـيخ وجماعته لأن شـجاعة الشـيخ فى الـدفاع عن نفسه ضد مهاجميه بـالرغم من عـدة رصاصـات أصـابته فى أنحـاء مختلفة من جسـده، بل وقيامه بمطـاردة قاتليه بنفسه لدرجة أنه قام فى المستشفى بنقل نفسه بنفسه عن الحمالة التى كان محمولاً عليها إلا أن الأطباء تركوه ينزف حـتى مـات دون علاج إلا أننا أمة لا تقرأ وتكتفى بالمسلسلات مرجعًا لحقائق كتاب السلطات.

وعلق مصري (زائر):

الشعب المصري متخلف وبينضحك عليه بسهولة.. شعب أهبل.

وأفادنا أحمد صلاح الدين (زائر) في تعليقه بشـيء عن أسـرة وحيـد حامد:

وحيد حامد ليس قبطي وإنما علمانى وليس ليبرالي، وزوجته زينب سـويدان كانت رئيس التليفزيون وضربت مذيعة بالقلم على وجهها، لأنها طلبت أن ترتـدي الحجاب ونشر هذا بالصحف وقتها.

وعلق د0 أبو زيد زائر):

الأخ محمد بكري تاعب نفسه في بيـان وحيد حامد رجل ليـبرالي.. الليبرالية لا تبرر لوحيد حامد الكذب ادعى أن الشـيخ رشـيد رضا قـال لحسن البنا أن يحج ليأخذ من عطايا الملك عبد العزيـز، مع إن رشـيد رضا مـات قبل حج حسن البنا بسنة كاملـة، أليس هـذا كـذب يا وحيد ؟ الليـبرالي يا محمد بكـري عليه أن يهتم بالحقــائق وليس الانطباعــات، من أين علم وحيد حامد باللقــاءات الــتي تتم بين رشيد رضا والبنـا، وأن رشـيد رضا كـان منهـارًا للهجـوم عليـه، ولكن البنا نصـحه

وقـال له مخرجًا لأزمتـه.. يا محمد بكـري ويا وحيد حامد العـاملون لـدين الله لا ينهارون عند الشدائد.

وآخـر التعليقـات وأكثرهـا طرافـة من وليـد (زائـر) تحت عنـوان (عاوزين فلوسنا):

هو المسلسل ده من إنتـاج التلفزيـون المصـرى ؟ يعـنى من فلوسـنا ؟ لو الكلام ده صحيح يبقى مفيش غير إني اقول حسبي الله ونعم الوكيل.

* * *

وجاء في شـبكة ومنتـديات الجمـيزة، وهي مؤسسـة إخوانيـة معالجـة لأبـرز النقط في مسلسل «الجماعة» مثل:

<u>أولاً</u>: جماعة الإخوان جماعـة محظـورة، وقـد ردت بـأن لهـا 80 عضـوًا في مجلس الشعب.. إلخ.

<u>وثانيًا</u>: أن هناك أفرادًا داخل الجماعـة لا يعرفـون مـا هي أهـداف الجماعـة ووسـائلها «مطيبـون»، والـرد الأهـداف والوسـائل مكتوبـة في عشـرات رسـائل الإخوان.

<u>وثالثاً</u>: إظهار الإمام البنا كأنـه شـخص متشـدد منـذ صـغره والتشـكيك في بعض المواقف الـتي قـام بهـا الإمـام في طفولتـه من أمـر بـالمعروف ونهي عن المنكر، وجاء الرد «هذا الرجل مهما كتبت عنه لن توفوه حقه، فلن تستطيع الرد من اساسه سطر أو سطرين أو حتى مقالاً كاملاً، ولهذا أحول القـارئ إلى رابـط فيه بعض ما قيل عن الإمام البنا:

<u>http://www.ikhwanonline.com/data/info/banaa/5.htm</u>

<u>ورابعًا</u>: أن الجماعة خطر على أمن الوطـن وتتاجر بآلام الناس، وجاء الرد: فعلاً جماعة الإخوان خطر على أمن الوطن، أصل الإخوان هم بتوع الـدم الفاسـد وعبارة الموت وقطر الصعيد وتصدير الغاز لليهود وسـوزان تيميم وسـرقة بنـوك وحرق مجلس الشورى، وما لا نستطيع أن نحصي ونعد.

<u>وخامسًا</u>: محاولة إظهار أن الإخـوان أيـام الإمـام البنـا أفضـل من الإخـوان الموجودون الآن، فقالوا لقد وضح لنا الإمام البنا من نحن بكل وضوح، فقال نحن جماعة من المسلمين نقود الناس إلى الخير ولا ننوب عنهم، فكيـف تـدعون أننـا احتكرنا الدين وجعلنا غيرنا ليس مسلمًا، مع إن منهجنا يقول لا نكفر مسـلمًا أقـر بالشهادتين.

وسادسًا: جماعة الإخوان روح واحدة في أجساد متعددة، فمحاولة التفريق بين أولها وآخرها محاولة يائسة لتمزيق الصف.

وسابعًا: إبراز الكيانات الاقتصادية للجماعة وكأنها مشـوهة، والإصـرار على نقطة غسـيل الأمـوال، والإشـارة بصـورة غـير مباشـرة لقضـية خـيرت الشـاطر وحسن مالك، فجاء الـرد: من حـق أي شـخص أنـه يمـارس التجـارة طالمـا أنهـا تجـارة مشـروعة، لكن من العجيب أن نـرى من يعمـل لمصـلحة الـوطن يحـاكم وتصادر امواله وممتلكاته ويوضع خلف القضبان فى قضية هو منها براء.

وفى هذه السطور نعرف بالمهندس خيرت الشاطر :

فى الفـــترة من 1981م إلى 1986م فـــترة تواجد الشـــاطر في أوروبـــا والمنطقة العربية وكان سفره في البدايه لغرض الدراسـات العليـا إلا أن العمـل التجـاري اسـتهواه فمـارس العديـد من الانشـطة التجاريـة في منطقـة الخليج وأوروبا.

عـاد الي مصـر عـام 1986م ليؤسـس مع حسـن مالـك الشـركة الرائـدة سلسبيل التي كانت وقتها من أكبر شركات الحاسب الآلي في مصر، وكانت لهـا الريادة والسبق في في إدخال الحاسوب إلى المنطقة العربيـة وعمـل برمجيـات باللغـة العربيـة وكـانت نـواه لعـدة أنشـطة تجاريـة أخرى ذات فـروع في الوجـه القبلي والبحـري مثـل تنظيم وإدارة المعـارض الكـبرى للسـلع المعمـرة، تمليـك المشروعات الصغيرة للمهنيين بالتقسيط، وتقديم الدعم الفني والتسـويقي لهم، إنشاء سلاسل من محلات في المجـالات التجاريـة المختلفـة، كمـا قـام بتأسـيس شركة لتصدير الخدمات للخارج (عقود صيانة - استشارات - تدريب) والعمل في المجال الزراعي والثروة الحيوانية.

كان خيرت الشاطر قـد اسـتورد التجهـيزات اللازمـة ليصـنع الحاسـب الآلي بأيدي مصرية في مصنع بالقاهرة.

وفي التوقيت الذي وصلت فيه المعدات في الميناء بالاسكندرية ألقت قوات الأمن القبض عليه فيما عرف بقضية «سلسبيل»، وأغلقت الشركة وتم مصـادرة كـل الأجهـزة والمعـدات في الشـركة وفي المينـاء وبعـد 11 شـهر مضـاها في المعتقل تم الإفراج عنه وتبرئته وأعلن وزير الداخلية في تصـريح نشـر بالجريـدة (إنه غير مهم)، وظلت الشركة مغلقة حتى اليوم ولا يعـرف أحـد مصـير مـا كـان بداخلها .

هذا هو المهندس خيرت الشاطر فى سطور رجل نتشرف جميعاً باننا ننتمى لجماعة ينتمى هو إليها.

وينتقل الموقع إلى ما جاء في الحلقة الخامسة والافتراء فيه هي:

أولاً: تمييع الجماعة وشعار «الله غايتنا والرسول قدوتنا».. إلخ، وإظهار أنه شعار مصلحة ترردده بمقابل المساعدات ، وكان الرد: أن الإخوان أصحاب مشروع حقيقي، فيه خلاص مما هي فيه.

ثانيًا: الإصرار على إعطاء صورة خاطئة عن شباب الإخوان بخبث شديد، مثل شاب لا ينتمي للجماعة وليس إيمانه ينبع من القلب، وشاب ينتمي للجماعة بالتوريث ولا يعرف شيئاً عنها، ويرد بترديد القرآن.

وأخيرًا: الإصرار على أدب أمن الدولة واستقبالهم المشرف لطالب يقرأ القرآن بهذا الشكل، فأوضح الرد: أن تقديم مساعدات للطلاب ليس تجارة بالدين، ولا التستر وراء بعض الخدمات الاجتماعية لتطويع الناس في أمور هم ليسوا مقتنعين بها، أما أدب أمن الدولة في التعامل مع الإخوان، فنترك التعليق لكم أنتم ولا ندري.

في الحلقة السادسة من المسلسل وقد أعطاها الموقع عنوان «من تحريف تاريخ الإخوان إلى تحريف القرآن»، وكذلك تتبع الموقع الحلقة السابعة وذكروا فيها من مغالطات، وكذلك الحلقة الثامنة، ويؤخذ على الردود أنها اكتفت بذكر مضمون التحريفات وكان يمكن أن تؤيد ذلك بأمثلة عملية من المواقف والأقوال بالفعل، كما أنها كررت دفاعها عن الإمام الشهيد، وكانت في غنى عن ذلك لأن عبقرية الرجل هي قضية محسومة، وقد قال التاريخ فيها كلمته بمنطق الواقع الفعلي، فلو لم يكن عبقريًا لما تمكن من تأسيس هذه القلعة الممردة «الإخوان المسلمين» التي صمدت لعداوة الحكام من فاروق حتى مبارك، والذي تمتع بحب يصل إلى الملايين، ومعظمهم من أرقى مستويات المجتمع المصري ثقافة ومسئولية.

وسنكفي الإخوان مؤنة الحديث عن مرشدهم بالصورة التي يعجزون هم عنها.

* * *

ومن المواقع التي عالجت موضوع المسلسل موقع «الملتقى» وهو إخواني الهوى، وتضمن رأي مشاهد عرض تحت عنوان «قصة حقيقية عن مسلسل الجماعة»:

السلام عليكم وبسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على من صبر في وجه الاشاعات والافتراءات.. من ساحر إلى كاهن إلى كذاب وهو خير من خلق الله على ظهر هذه الأرض.. فاللهم صلي وسلم وبارك على محمد حبيبك واجعله لنا قدوة وأسوة في الصبر على الافتراءات.. ثم أما بعد:

منذ أن ظهر هذا المسلسل الذي يتحدث عن (المحظورة) بدون ذكر هذا الوصف الذي لازم الجماعة منذ عام 2005م على قنوات التلفزيون المصري الأرضية (القناة الثانية) والفضائية (النيل) وأنا متأكد أنه سيكون فاشلاً جدًا حتى قبل أن أراه.. ولكن بحق لم أتصور أنه سيكون كوميديا لهذه الدرجة.. حقيقة لم أتابع سوى أربع حلقات من هذه الكوميديا إيماناً مني أن شهر رمضان لا يصلح للكوميديا ولكنني سوف أراه كاملاً بعد رمضان وتابعت ما يحدث فيه من صديق لي جاري يرى أن الإخوان دول ناس وحشيين ياي بيضحكوا على الشعب باسم الدين وكده.. يعني ما يتوصاش.. الراجل ده بدأ مع المسلسل بقوة في الثناء على المسلسل وكان كل كلامه معايا وعلى الفيس بوك من نظام.. أيوه هو كده بيفضحهم.. هما دول الإخوان بجد.. الحكومة تصنع آلام الشعب والإخوان والأحزاب يتاجرون بها.. وكان بيزود من عنده عن وحيد حامد أن الإخوان كمان أكتر من الأحزاب.. لكن زي ما قلت لحضراتكم أن أمي بتقول اللي يزيد عن حده يتقلب ضده.. لما ضهر الإخوان أنهم من أيام البنا عالم متخلفين وظهرت لقطات زي أن الواحد يا (تيمور يا ابني) ميكفيش أنه يكون هو والعروسة بس اللي إخوان.. لأ لازم العيلتين يكونوا إخوان علشان الجوازة تتم (دي جامدة أوي).. وكذلك كلام الأستاذ عاكف أن ستات الإخوان اللي مش عايزين يطلعوا المظاهرات دول احنا جوزناهم وشغلنا أزواجهم ليه ؟؟؟؟ علشان يجوا ميطلعوش (حاجة آخر قلة أدب يعني).. ويروح الأستاذ يقولو الست اللي ما تنزلش المظاهرة بكرة تروح تقعد عند أبوها ويقفل الباب بتاع العربية.. حقيقة أنا وقعت من على الكرسي من كثرة الضحك على هذا المشهد الكوميدي (هو المسلسل كله كوميدي) طبعًا معلوم إن لفظ ستات ده غير موجود في الأدبيات الإخوانية وإنما بيقولوا الأخوات أو سيدات بس مش مشكلة فاتت الحاج وحيد حامد زي ما فاته غيرها كتير.

وعلى النقيض يظهر أمن الدولة في كل تحقيق كتل ملائكية في صور بشرية حتى صار هذا الطلب (تشرب شاي) أحد معالم المسلسل الرئيسية في كل تحقيق أمن دولة يظهر في المسلسل داعيًا للسخريا والضحك الكوميدي على المسلسل واللي كتبه.

وأخيرًا التأليس على الاستاذ عمرو خالد في حلقة امبارح رغم الاتفاق بين الشعب على أن الراجل ده راجل محترم واستحالة يكون بالصورة الهبلة اللي في المسلسل دي.

القصة بقى أن صاحبي بعد ثلاث حلقات فقط من الكوميديا بدأ يقوللي (من نفسه كده و الله) بس هو وحيد حامد مزودها شوية.. ثم يتدارك سريعًا.. بس بردو اللي جايبه على الاخوان صحيح.. وبعدها بكام يوم لقيته بيقوللي بس هو موسعها شوية على الإمام البنا الراجل ده كان صالح مش زي ما هو مطلعه.. وبعديها بس هو مطلع الإخوان بصورة غير حقيقية.. وأخيرًا لقيته بيقوللي المسلسل ده فيه أكتر من 50 % كذب و 30 % تحوير وفيه 20 % صح بس !!!!!!!!!!!! هذه القصة الحقيقية لواحد أصلاً مختلف تمامًا مع الإخوان.. فما بالك بالمؤيدين والمحايدين ؟؟؟ ويمكرون ويمكر الله و الله خير الماكرين.

وهناك تعليق آخر: والله موقف صاحبك اللي اتغير ده اللي كوميدي أوي.. بس والله الحمد لله أنا ليا واحد صديق وكيل نيابة بيقوللي الظباط بيدوروا على مذكرات الدعوة والداعية.. والله الواحد ما كان يتمنى أكتر من كده.. جزاه الله عنا كل خير، الأخ الفاضل وحيد حامد:

نفسي أعيش في زمان يحكمنا فيه الحق
نفسي مكنش جبان وأصرخ بكلمة لأ

وهناك تعليق ثالث: هذا الموقف قريب بشكل أو بآخر من موضوع 11 سبتمبر او الرسومات المسيئة للرسول او حرق المصحف أو أو أو سيجعل الطبقة محترمة التفكير تبحث وتنقب على الحقيقة وهذا في الصالح إن شاء الله.. سمعت أنه حقق نسبة مشاهدات عالية جدًا وفقاً لاحصائيات بعض القنوات ولعله خير ان شاء الله.

* * *

وتحدث موقع «مكتبة الترانيم المسيحية» عن المسلسل فأورد الأقوال الشائعة التي رددتها الصحافة عن المسلسل، وقال إن المؤلف يقدم رواية توثيقية موضوعية إلى حد بعيد عن الجماعة ومؤسسها وأحد المشاهد الذي يلخص هذه الموضوعية عندما يذهب البطل «وكيل النيابة» إلى مكتبة لشراء كتب عن الجماعة، فيسأله البائع إن كان يريد الكتب التي مع الجماعة أم الكتب التي ضدها فيسأله البطل: ما الفرق؟

وفي إجابة البائع تأتي الملاحظة فيقـول لـه إنـك لـو قـرأت الكتب الـتي مـع الجماعة فستتمني أن تكون واحدًا منهم، أما لو قرأت الكتب الـتي ضـد الجماعـة فستقول ما المعجزة التي تنقذنا منهم ؟ وهذا الحـوار القصـير هـو بنـدول حركـة السـرد في المسلسـل والـذي يظهـر في أجـزاء كثـيرة خصوصًـا أنـه المسلسـل الوحيد الذي يذكر أسماء المراجع التي اعتمد عليها في نهايته وهي كتب مع وضد أيضًا كذلك لفت انتباهي رصـد المسلسـل لحركـة البعثـات التبشـيرية المسـيحية والتي تزامن بعضها مع تأسيس جماعة الإخوان وتعامل المؤلف مع هـذه الحركـة بطريقة موضوعية أيضًا ووضع وجهتي نظر مختلفتين عنها فهي إما حركة لتبشـير المسيحيين أنفسهم بمذاهب مختلفة أو أنها لتنصير المسـلمين وهـو لا يحـاول أن يميل لأي احتمال.

والمسلسل لا يتوقف للتـأريخ للجماعـة فقـط لكن يتكلم ويناـقش الظـروف المحيطة بها فيضـع الجماعـة وسـط المجتمع والمجتمـع حـول الجماعـة لتكتمـل الصورة ويستقيم التوثيق.

أمـا عنـدما يتكلم المسلسـل عن الحاضـر فنجـد المؤلـف يخلـع جلبـاب الموضوعية ويضعه جانباً ليلبس زي شاهد العيـان ولا يعـرض وجهـتي نظـر حـول أمـر، بـل يقـدم رؤيتـه ورأيـه ليس في الجماعـة فقـط، ولكن في أحـوال البلـد ومشكلاته من رشوة وبطالة وأزمة مرور وغيرها، وأنا وغـيري علي ميعـاد يـومي لمشاهدة الأحداث دون توقع مسبق لأن الحكي جذاب جدًا فتحية للمؤلف كمبدع أول ولبقية طاقم العمل كمبدعين تاليين.

وعــرض الموقــع لآراء «الأسوشــيتدبرس» وبعض وكــالات الأنبــاء الأجنبيــة الأخرى مما لا يمكن أن ننتظر منها أنها ستحقق في الموضـوع تحقيقـاً موضـوعيًا بمعـنى الكلمـة، لأن هـذا يتطلب معرفـة وثيقـة وعـودة إلى المراجـع المؤيـدة أو المعارضة فيما لا يكلف به الصحفيون أو الإعلاميون، ومع هـذا فـإن الموقـع كـان من الذكاء بحيث يقول: وإن

حيادية وحيد حامد ربما تحتاج إلى مراجعة من وجهـة نظـر البعض، فبمـا أنه إختار أن يظهر العالم السري لجماعة الإخوان المسلمين، ويظهر أن هناك الكثير مما لا يعرفه الناس عن تلك الجماعة من أعمال شريرة وفساد وعنـف تقـود في مجملها إلى رسالة واضحة من وجهة نظره، بأننـا أمـام جماعـة (منافقـة) تتـاجر بالدين لتحقق أهداف سياسية، على أساس أنه بذلك محايـد تمامًـا، وأن الحياديـة تدين الجماعة من تلقاء نفسها، ناسيًا أن الوقائع والأقوال الـتي جـاءت من وضـع

وحيد حامد وضعها على لسان أبطاله «الإخوانـيين»، ومن ثم تنطلي على النـاس كأن تصدر من الإخوان أنفسهم.

ونحن ندين للموقع بأنه أورد آراء بعض المفكـرين الإسـلاميين مثـل الـدكتور محمد عمارة الذي أكد أن إنشغال الإعلام الفـني بتشـويه تـاريخ رمـوز الحركـات الإسلامية في الدراما التمثيلية وعـرض درامـا سـخيفة تسـهم في زيـادة الابتـذال والفحشـــاء والبعـــد عن الأخلاقيـــات وتشـــويه الأزهـــر الشـــريف وعلمائـــه في المجتمعات الإسلامية.. وحذر خلال محاضـرة لـه بملتقى الفكـر الإسـلامي الـذي ينظمـه المجلس الأعلى للشـئون الإسـلامية من اسـتمرار انشـغال الحكومـات والأجهـزة الأمنيـة في ملاحقة ومطـاردة نشـطاء الحركـات الإسـلامية والوطنية، مؤكدًا أن حرية الرأي والتعبير حق من حقوق الإنسان التي لا يجب التفريط فيها.

نائب المرشد العام للإخوان المسلمين د. محمود عزت قال في رد فعله أن مسلسل (الجماعة) لن يكون له أي أثـر وأن النـاس يعرفـون الإخـوان بـأخلاقهم وتعاملاتهم، وفي حواره مع قناة الجزيرة القطرية أضاف عزت: «كنت أتصور أن المسلسـل سـيكون على درجة دراميـة عاليـة تـؤثر في النـاس أو تعطي صـورة سلبيةً عن جماعة الإخـوان، ولكن الآن لا أستشعر أن هناك أثـرًا لهذا المسلسل، المسلسل يظهر الإخوان عكس ذلك ويظهر أمن الدولة على أنه يعمل في صالح الناس، ولا ينتهـك كـرامتهم وحـريتهم، والشـعب المصـري على درجة كبـيرة من الوعي يستطيع من خلالها أن يقيم المسلسل وما يعرضه عن الجماعة».

المرشد العام الحالي د. محمد بديع كان له تعليق أيضًا على المسلسل حيث أشـــار إلى أن الهجـــوم على الإخـــوان ومحـــاولات تشـــويه تـــاريخهم ليس جديدًا، وطالب بالتعلم من سيرة النبي موسى، الذي لم تأخذه أقوال فرعـون عن تبليـغ دعوته، وقال «يجب علينـا أن نلجـأ إلى اللـه ليكشـف عنـا الغمة، ثم واجبنـا نحـو مجتمعنا بأن نقدم له القدوة والنموذج لما نحمل له من خير».

وعلى كل حال صنع هذا المسلسل خصـومة واضـحة بين مؤلـف المسلسـل الكاتب الكبير وحيد حامد وبين جماعة الإخوان المسلمين، والتي رأت أنه يشهوه التاريخ والحاضر الخاص بها، ويحاول إظهار مؤسسها حسـن البنـا على أنـه رجـل يسعى وراء السلطة، ورأت أن وحيد حامد ينافق أجهزة الأمن التي لا تحقــق مـع قيادات الجماعة بالصورة الوديعة التي يظهرها المسلسل.

فيما يرى حامد أنه إعتمد على معرفتـه الحديثـه ببعض التفاصـيل عن تـاريخ وحاضر الجماعة، وحاول أن يقدم للمشاهد المصري ما توصل إليـه مـؤخرًا وبعـد

أن بلغ الستين من عمره عن هذه الجماعة التي إكتشف أنه لا يعلم عنها الكثير.. ويبدو أن حامد عاش نفس التجربة التي عرضها في المسلسل على صورة محقق في نيابة أمن الدولة يسعى إلى معرفة حقيقة الجماعة، ولكنه على ما يبدو نسى أن فساد الإخوان الذي يحاول إظهاره للمشاهدين يجب أن يظهر ضمن منظومة كاملة من الفساد تسيطر على مصر حاليًا، خاصة وأنه أكد على الحيادية، ولكن أحدًا من المشاهدين لن يقتنع الآن بأن الإخوان هم سبب الفساد، بالعكس قد يحمل هذا المسلسل نتيجة عكسية لدرجة قد تجعل التلفزيون المصري الحكومي يراجع نفسه لأنه وافق على بثه.

وعالج الموقع نقطة حذف الحلقتين (29) و (30) ووقوف المسلسل عند حل الإخوان، دون الدخول في قضية اغتيال حسن البنا، مع أن هذا هو قمة الدراما وأفظع ما تمخضت عنه عداوة الحكومة للإخوان، وسيرى القارئ أن كلام وحيد حامد هو من النوع الساذج، ومع هذا يرمي صاحبه الآخرين بالسذاجة، والحق أبلج.

فقال الموقع نقلاً عن مصطفى سليمان: نفى وحيد حامد، الكاتب والسيناريست المعروف ومؤلف مسلسل «الجماعة» «أن يكون المسلسل قد صب في مصلحة الإخوان المسلمين، وجاء بنتائج عكسية تتعلق بالترويج للجماعة داخل كل بيت مصري».

ونفى حامد ما تردد في الدوائر السياسية المصرية حول حذف مشهد اغتيال البنا، وقصر المسلسل على 28 حلقة بدلاً من 30 كما كان مقررًا، بسبب ضغوط أمنية رأت في هذا المشهد مكسبًا للإخوان قد يزيد من تعاطف الرأي العام المصري مع الجماعة، وفق تقارير رفعتها الأجهزة الأمنية المصرية عن ردود فعل الشارع المصري حول المسلسل.

وقال حامد لـ «العربية نت» متسائلاً «من قال إنه يوجد مشهد في حلقات المسلسل عن مقتل حسن البنا حتى أحذفه ؟ فهذا كلام يردده الإخوان، والأمن لا يتدخل في أي من أعمالي».

يأتي ذلك فيما ارتفعت مبيعات كتب الإخوان، خصوصًا «مذكرات الإمام حسن البنا الدعوة والداعية»، وشهدت مكتبات الإخوان المسلمين إقبالاً كبيرًا على كتب تاريخ الإخوان، وكذلك الأمر بالنسبة لمكتبتي الشروق ومدبولي، حيث حازتا النصيب الأكبر من طبع كتب الإخوان المسلمين في مصر.

وأورد الموقع كلام الكاتب مجدي الجلاد رئيس تحرير جريدة «المصري اليوم»: «إن وحيد حامد نجح في ألا يجعل جماعة الإخوان المسلمين محظورة، بل جعلها موجودة في كل بيت مصري».

كما أورد ما كتبه الدكتور وحيد عبد المجيد في عموده في صحيفة «المصري اليوم»: «إن مسلسل الجماعة أثار ردود فعل قوية على منتديات الإنترنت، وشهدت شخصية حسن البنا تعاطفاً كبيرًا مع مؤسس الإخوان المسلمين حسن البنا في كثير من الأوساط، وخاصة التعاطف والإعجاب بهذه الشخصية في أوساط الفتيات ممن لسن عضوات في تنظيم الإخوان المسلمين، ولا هن قريبات قادة أو أعضاء في جماعة الإخوان».

واستدرك الكاتب «لكن الكثير منهن أُعجبن في الواقع بوسامة الفنان إياد نصار، الذي يؤدي دور حسن البنا، وملابسه البيضاء الجميلة، وطريقته في الحديث، وربما يكون إعجاب بعضهن مرتبطاً بالشخصية القيادية القوية التي قدمها نصار أو حسن البنا، حيث لا فرق لدى كثير من المشاهدات، أما رسالة المسلسل، التي تحاول إبراز الجانب المظلم والعنيف في مواقف البنا وممارساته، فهي لا تصل إلا إلى القليل من متابعي الحلقات، لأنها أكثر تعقيدًا من أن يدرك البسطاء والبسيطات مغزاه».

وعاد مرة أخرى فأورد ما قاله وحيد حامد: وردًا على ما تردد بشأن حذف حلقتين من المسلسل، وخصوصًا مشهد اغتيال البنا لأسباب أمنية، وما يقال أيضًا عن عدوله عن كتابة الجزء الثاني، قال حامد في تصريحات لـ «العربية نت»: «أولاً أنا لا أكتب مسلسلاً للحكومة أو الأمن أو الإخوان، أنا كتبت مسلسلاً للحقيقة المجردة، أعرض فيه حقيقة جماعة الإخوان وملتزم بهذه الحقيقة، أما أن الحكومة أو الإخوان كل يخطف المسلسل لأهوائه فهذا ليس من شأني، وأنا لن أقف بالمرصاد لكل من يفسر المسلسل على مزاجه الخاص ووفق طريقته وأهوائه».

وتابع حامد «أما بالنسبة للجزء الثاني، فأنا بصدد كتابته ولا يستطيع الأمن أن يتدخل في ذلك، وليس هناك أي مشهد تم أو سيتم حذفه، فليس في العمل مشهد اغتيال البنا من الأساس حتى أحذفه».

وحول ما يقال إن المسلسل لقي تعاطفاً مع الإخوان، وجاء بنتائج عكسية في صالح الإخوان، يقول حامد «هذه فرية إخوانية يطلقها الإخوان أنفسهم،

وكذلك التدخل الأمني في العمل، ففي بداية حلقاته الأولى قالوا إن الأمن هو الذي صنع هذا المسلسل، والآن يشيعون أن الأمن غير راضٍ عن المسلسل لدرجة أنه تقرر حذف مشهد اغتيال البنا حتى لا تتعاطف الجماهير مع الإخوان، وهذا يؤكد تناقضًا في الرؤية لمن يشيعون هذه الأخبار وهذه الافتراءات، ويؤكد أن الجماعة تحاول سحب المسلسل لصالحها».

وشدد على أن المسلسل لا يحمل سوى الحقيقة المجردة، «ولمن شاهد المسلسل بعناية سيلاحظ أنني لا أكتب مسلسلاً للحكومة، ولا للإخوان، ففي كثير من المشاهد المرتبطة بسياق الأحداث طرحت وجهة نظري في الحكومة وما يعانيه الشعب المصري».

وتحدى وحيد حامد في حديثه أن تثبت جماعة الإخوان المسلمين عكس ما قاله المسلسل عن تاريخ الجماعة، قائلاً «أتحدى أن يتهمني أحد بتزوير الحقائق في المسلسل، فكل ورقة كتبتها في العمل موثقة لدي حتى أكون صادقاً مع نفسي، ففي بعض الأحيان كان حسن البنا مفكرًا إسلاميًا لا غبار عليه، وفي أحيان أخرى كان وفق ما وصفته في بعض المشاهد التي يرى الإخوان أنني أظهرته فيها، يقوم بدور الانتهازي».

وقد حققت للأستاذ وحيد حامد تحديه.. فليقر عيناً أو يرد إن استطاع !

وكشف الموقع أن الحزب الوطني الديمقراطي نشر تحليلاً جاء فيه: «أن مسلسل الجماعة الذى يعرض هذه الأيام على شاشات التليفزيون للكاتب الكبير وحيد حامد قد كشف في أولى حلقاته عن عدة حقائق عن جماعة الإخوان المسلمين.

وحسبما ذكر التحليل أن أهم هذه الحقائق هو استخدام العنف في العملية السياسية، والحرص على ميوعة المواقف الإخوانية وتكييفها بما يحقق أكبر مصلحة ممكنة لقادة الجماعة وتنظيمها الخاص إضافة إلى عدم الثبات على المبادئ المعلنة.

ففي أول حلقتين ألقى الملسسل الضوء على قيام تنظيم شباب الإخوان بعمل استعراض شبه عسكري أظهروا فيه مهاراتهم فى الرياضات النزالية أمام مكتب رئيس جامعة الأزهر في مخالفة واضحة لكل قواعد القانون والقيم التي استقر عليها العمل الجامعي، وهو الحادث الذي جاء صدمة لكل المواطنين المصريين الذين شعروا بالخوف لما يمكن أن تقوم به هذه المجموعة، والتى

يتسم سلوكها بعدم احترام القانون والشرعية، والسعى لاستخدام القوة من أجل فرض الرأى، والذي أدانه الحزب الوطني ونوابه في مجلس الشعب في حينه.

وأبرز المسلسل تأكيد قادة الجماعة على مفاهيم الطاعة المطلقة، وقيام الأعضاء بالتنفيذ الأعمى لما يصلهم من تعليمات، وعدم قيام أى من قادة الجماعة باستكار أحداث جامعة الأزهر التي تسبب فيها أساتذة الجامعات المؤيدين للجماعة، والذي نسب إليهم المسلسل إدخال الأدوات القتالية إلي ساحة العمل الجامعي.

وأكد التحليل أن العنف يُشكل جزءً كبيرًا من البناء الفكري للجماعة، وأن من يخالفهم فهو يخالف الدين، واستدل التحليل على ذلك ذلك بتصريح مصطفى مشهور المرشد الأسبق للجماعة أن «من يعادون الإخوان يعادون الله ورسوله».

وأشار التحليل الذى نشره موقع الحزب الحاكم إلى أن جماعة الإخوان المسلمين لم يدينوا أي من ممارسات العنف التى قامت بها فى تاريخها، ومن ذلك فتوى جماعة الإخوان بأن دية القتل من جراء اغتيال القاضى أحمد الخازندار عام 1948م، قد دفعتها الدولة بوصفها الجهة التي تتولى تحصيل الضرائب من المواطنين، وعدم إدانة اغتيال د. رفعت المحجوب رئيس مجلس الشعب عام 1990م، واغتيال الكاتب فرج فودة عام 1992م، وصمت الجماعة تجاه الأعمال الإرهابية التي شهدتها مصر في الثلاثين عامًا الأخيرة، وعدم إدانتها لها.

كما لم يعلق القيادات الإخوانية على مذكرات بعض القادة التي أشارت إلي تورطهم في أعمال العنف مثل مذكرات طلال الأنصاري المتهم الثاني في حادث الفنية العسكرية، والتي نُشرت عام 2006م، وكشف فيها عن أن المرشد العام الثاني حسن الهضيبي كان على علم بخطة صالح سرية، ووافق عليها بشرط إبعاد الإخوان نهائيًا عن الموضوع في حال فشل الإنقلاب.

ومذكرات أبو مصعب السوري الذي أشار فيها إلي قيام إخوان مصر بتدريب مجموعة من إخوان سوريا على حرب العصابات، وذلك قبل اغتيال الرئيس السادات بثلاثة شهور، وقيام أعضاء من الجماعة باغتيال محمود فهمي النقراشي رئيس الوزراء الذي كان قد أصدر قرارًا بحل الجماعة عام 1948م، ومحاولة اغتيال الرئيس جمال عبد الناصر عام 1954م.

وأكد التحليل أن «الحلقات القادمة من مسلسل «الجماعة» ستكشف عن مزيد من قيام الإخوان المسلمين بغسيل الأموال وعدم وجود قواعد واضحة

للصرف بداخلها، وكذلك تعمدها خلط الدين بالسياسة، وخلط نشاط الدعوة الدينية بالعمل الحزبي، وتوظيف الدين لخدمة أهدافها السياسية، واستخدام شعارات تهدف إلي إثارة مشاعر المواطنين واستغلال إيمانهم الديني لخدمة أهداف سياسية» حسبما ورد فى تحليل موقع الحزب الوطني.

وأورد الموقع آراء نواب الإخوان المسلمين بالإسماعيلية ووصفوا المسلسل بأنه ملئ بالأكاذيب، ومؤلفه يتبنى رؤية الأمن ويصور الإخوان على عكس صورتهم السليمة.

* * *

وهناك موقع باسم Play Station، سأل المشاهدين إذا كنت مؤيد لفكر جماعة الإخوان وحسن البنا.. هل مازلت على هذه الفكرة أم تغيرت فكرتك ؟ وها هي بعض الردود:

(1) **حكيم قلوب**: زاد اهتمامي بجماعه الاخوان وقرأت الكثير عنها وزاد احترامي لهم وللشيخ حسن البنا والدليل علي ان المسلسل هو مجرد تشويه للحقائق انهم لم يعرضوا مشهد اغتيال حسن البنا في الجزء الاول حتي تظل الصوره مشوشه ومشوهه في اذهان الناس ، ولكن الله سيتم نوره ولو كره الفاسقون أصحاب مسلسلات الكباريهات والعري، أقول لهم استمروا في انتاج مسلسلات العري ولا تشوهوا التاريخ بأفكاركم الخبيثة وتشويه صورة المجاهدين.

(2) **أحمد (مستخدم جديد)**: لا يصح أن يتغير تفكيرك بناء على مسلسل أو عمل درامي أقرأ في التاريخ وأسمع للآراء المختلفة وراجع الوثائق، وبرغم اختلافي مع الإخوان المسلمين فأنا مقتنع أن المسلسل أسلوب رخيص في مواجهة الجماعة.. وإلا كيف استطاعت هذه الجماعة أن تقنع كثيرًا من المصريين وغير قليل من المثقفين أكثر من ستين عامًا.. شغلوا دماغكم شوية.

(3) **أحمد حمدي**: أنا شوفت المسلسل كله ولئيت إن فكرة المسلسل ده تشويه لصورة الاخوان المسلمين، هل سألتم أنفسكم لماذا جماعة الإخوان المسلمين محظورة في مصر فقط مع إن الإخوان المسلمين محبوبين في كل مكان، ببساطة الإخوان المسلمين هم جماعه ليست ارهابية وليست متطرفة ومن يقول ذلك فلا نعاتب عليه شيء لأنه لا يعرف عن تاريخ الاخوان المسلمين شيء.

(4) **كريم**: لم أشاهد لأني لا أشاهد مسلسـلات ، ولكن كما قرأت من التحليلات فهو قـد جـاء بنتيجـه عكسية وقرأ النـاس وعلموا الخـبيث من الطيب وجعل الله كيدهم في نحورهم لأن الرسالة لم تكن ضد الإخـوان وإنمـا كـانت ضـد الإسلام، وهي رسالة كإدخال السم في العسل، ولكن الله غالب على أمـره ولو كره الكافرون.

(5) **mm**: المسلسل زاد اقتناعي بالإخوان المسلمين ومنهجهم ودفعني لقراءة المزيد من كتبهم وتاريخهم فوجدت من بداية القراءة أن هنـاك تجني واضـح ضد الإخوان وتحيز رهيب من الكاتب اليسارى وحيـد حامـد ضـد كـل مـا هـو إسلامى وضد كل ما هو إخوانى وقلب للحقائق وتزييف للتاريخ.

(6) **فخراوي**: أنا أصلاً من البداية أقدر وأحترم وأحب الشـيخ حسـن البنـا، فكم من العمالقـــــــة في الـــــــدعوة ذكـــــــروه بكـــــــل طيب والشيخ كشك رحمة الله عليه منهم، لكن أن يقيم الإنسان رأيه وفكره علي مجرد مسلسل أو فيلم فهذا خطأ فادح، فالدين والتـاريخ والقيم لا تأخـذ من التلفاز، الأجمل فقط أنهم نبهوا الناس للجماعـة، فهنـاك من كـان لا يعرفهـا أصلاً، وبالنسبة لي فقد اهتممت أكثر بقـراءة مـا كتب عن هـذا الإمـام الفـذ رحمه الله وأنصح الجميع أن يتابع حلقات الجزيرة عن مقتل حسن البنا.

* * *

وهناك تعليقات آحادية يضعها صـاحبها على الإنـترنت لمن يشـاء، وسـنكتفي بعرض الأمثلة التالية:

(1) **وانتهت جماعة أمن الدولة**: وأنا أتصفح جرائد اليـوم انتبهت بقـوة لخـبر أنه بتعليمات أمنية عليـا تم حـذف وإلغـاء إذاعـة آخـر حلقـتين من مسلسـل الجماعة، قرأت تفاصيل الخبر فوجدت أنه بتعليمـات أمنيـة أن آخـر حلقـتين تتناولان مشهد اغتيال الإمام الشهيد، ومشهد دفنه المأسـوي والـذي لم يكن فيه إلا ووالده عليه ــ رحمة الله ــ ومكرم عبيـد وبعض النسـوة من العائلـة، وذلـك لأسـباب سياسـية أمنيـة وقتهـا، وجـدت القيـادات الأمنيـة أن هـذين المشهدين سيكونان سببًا في زيادة التعاطف الشعبي للإمام الشـهيد إذاعـة الحلقتين، وبهذا تقرر المنع، ولهذا شاهدت حلقة اليوم والـتي من المفـترض أنها الأخيرة من المسلسل، نهايتها عجيبة تمامًا، فبهـا يظهـر الإمـام الشـهيد وهو يدير ظهره للشاشة وبالفعل.. في نهاية الحلقة والتي كانت وهـو يتنـدم أشد الندم على تكوينه لهذه الجماعة، وينطلق ويردد مرارًا في انهيار «لهـذا

خلق الله الندم.. لهذا خلق الله النـدم.. لهـذا خلـق اللـه النـدم»، مـا هـالني بالفعل هو التصوير المهين لرجل يُعد من عظماء القرن.

(2) **وحيد حامد وسيرة الإمام**: وجـاء من سـيد هنـدي تحت عنـوان سلسـلة مقالات «مسلسل الجماعة»، وهو يبدأ مع الحلقة الثالثة، ويقـول: تم اختيـار طفل مميز جدًا للقيام بدور الإمام حسن البنا، طفل صـاحب كاريزمـا كبـيرة وفكـر شـيطاني، من هـؤلاء الأطفـال الـذي تخشـاهم حين تلقـاهم بسـبب نشاطهم الغريب وكلامهم الغامض، أما والده فرجل ملامحه فيهـا من الشـر والخبث والذقن المستعارة ــ الغير مثبتة جيدًا بالأمير ــ تفهم منها أنه منافق من الدرجة الأولى.

وكشفت مدونـة «العـدل والسـلام» الـتي كتبهـا رضـا عبـد الـرحمن بتاريـخ 9/4/2010م تعليقـاً على مسلسـل الجماعــة: جـاءت العـــلاقة الوثيقــــــة الـتي كانت تجمــع بين كاتب المسلسل (أ0 وحيـــد حامـد و د0 أحمد صبحي منصــور) فقد تأثر الكاتب وحيد حامد أيما تأثير بما كتبه الدكتور أحمـد صـبحي منصـور عن تاريخ الوهابية وعلاقته بنشأة الإخوان في مصـر، وكونـه أول من ربـط بين نشـأة الإخوان وبين الدولة السعودية، وله السبق في هذا الأمر حيث أنه الباحث الوحيد أو المؤرخ الوحيد الذي ربط بين نشأة الإخوان وبين الدولـة السـعودية أو تحديـدًا عبد العزيز آل سعود وعلاقته بالشيخ رشيد رضا الذي استغل حماس حسـن البنـا الشديد من ناحية واستفاد من تقبل الناس له وتأثيره فيهم من ناحية أخرى، كمـا كان بمثابة حلقة الوصـل بين حسـن البنـا وعبـد العزيـز آل سـعود، وكـانت بدايـة زراعة شجرة الإخوان في مصر كمـا سـماها الـدكتور أحمـد صـبحي منصـور في بحثه «شجرة الإخوان المسـلمين.. زرعهـا السـعوديون في مصـر في عهـد عبـد العزيز آل سعود»، وفي حوارات المسلسل ظهرت عبارات وجمـل على الـدراما المصرية لم نعهدها من قبل، وهي نتيجة هذا التأثير الذي حدث لكاتب المسلسل نتيجة قراءته لهذا البحث أو لتأثره بفكر الدكتور منصور عمومًا.

هذه الإشارة تفيد تأثر وحيد حامد بما ذهب إليه صبحي منصور، وأن العلاقــة مــا بين حســن البنــا والملــك عبــد العزيــز آل ســعود هي الــتي زرعت شـجرة الإخـوان.. وهذا كلام ظاهـر البطلان، فقد بدأ الإمـام البنـا في الإسـماعيلية سـنة 1928م، ولم يكن له أي علاقة بالملك عبد العزيـز، وقـد أشـار الأسـتاذ البنـا في خطاب له إلى تفكير بعض قادة الشبان المسلمين في أن تطلب السـعودية نقـل الأستاذ البنا لها، ولكن الفكرة لم تنجح لتأزم العلاقـات مـا بين مصـر والسـعودية

عندئذ، ولم يعلق عليها الأستاذ البنا أهميـة، ولم يتعـرف السـعوديون على حسـن البنـا إلا عنـدما بـدأ الإخـوان يرسـلون بعثـة الحج عنـدما ألقى حسـن البنـا بعض الخطابات التي فاقت خطابات رؤساء بعثات الحج الرسمية، وكانت علاقـة أدبيـة تمامًا دون أن يكون لها أثـر مـادي، سـواء كـان ماليًـا أو اجتماعيًـا، واقتصـر على الترحيب بوفد الإخوان للحج خاصة إذا كان على رأسه الإمام البنا نفسه.

* * *

بعض العوامل التي أثرت على معالجة المسلسل

قبل أن نتطرق إلى معالجة المسلسل وتوجيه المؤلف لموضوعه، أود أن أذكر بعض الوقائع التي أثرت على المعالجات وقدمت رؤيته وكانت في أصل إصدار المسلسل نفسه:

(1) تعرفنا على الأستاذ وحيد حامد من خلال بعض التعليقات التي عرضها النت والتي تفاوتت ما بين ناقم عليه ومعجب به، على أنها جميعًا قررت أنه ليبرالي.. علماني.. له توجهات يسارية، وأنه زوج السيدة زينب سويدان التي كانت مدير بالتليفزيون المصري وضربت مذيعة بالقلم لأنها طالبت بالحجاب، وأنه والد لمخرج شاب مرموق، وجاء في تعليق لكاتب في جريدة «الأهرام» (22/9/2010م): «يحاول بعض الإخوان المسلمين اتهام الكاتب وحيد حامد بأنه عميل للأمن، وأن النظام استكتبه هذا المسلسل نكاية في الإخوان المسلمين وللتأثير عليهم في انتخابات مجلس الشعب المقبلة، وهذا سر عرضه في رمضان، وأعتقد أن هذا ليس صحيحًا على إطلاقه، فوحيد حامد كما يبدو لي يساري الهوى علماني المنهج ولا يخفى عداءه للإخوان المسلمين جماعة ومنهجًا، بل وللتيار الإسلامي في عمومه متطرفاً أو سلفيًا أو وسطيًا، وهذا مبدأ يتمسك به وقد ظهر في الكثير من كتاباته وأعماله السابقة»، وهذا كله وليس فيه شيء من عندياتنا يؤكد ما ذهبنا إليه من أنه من فصيلة (العلمانيين.. الليبراليين) الذين يضيقون بالدين بصفة عامة ويعارضون كل محاولة لاستلهامه، وأنه أيضًا من صميم رجالات مجتمع الفنانين ــ ولهذا وذاك ــ فإنه اكتسب تأييدهم الذي تجلى في المديح المتوالي للمسلسل، ولكنه دون شك يحول دون أن يقف الكاتب موقفاً محايدًا، إذ لابد أن يتأثر باتجاهاته الفكرية والذهنية التي تضيق بالإسلام، شأنه شأن كل علماني.. ليبرالي، وقد يُعد هذا الضيق موقفاً خاصًا، كما أنه قد لا يتحول إلى عداوة وبصفة عامة فلا ينتقد شخص لذلك وحده، ولكن عندما يكون الحديث عن هيئة أرادت وضع الدين في صدارة المجتمع، فهنا لابد وأن يقاوم الليبرالي.. العلماني هذا، لأنه يضع الليبرالية والعلمانية في الصدارة، ولا يُعد التساؤل عن النية نوعًا من شق القلوب، والتحكم في المشاعر لأنه محصلة طبيعية للموقف الفكري للمؤلف.

(2) أذكر لقاءً تليفزيونيًا جمعنا بالأستاذ وحيد حامد، وكان معنا الأستاذ سيف الإسلام حسن البنا في هذا اللقاء، قال الأستاذ وحيد أنه يرفض تمامًا تأليف فيلم عن حسن البنا لأنه سيكون فيلمًا ساقطاً، فيلم ليس فيه امرأة، ليس فيه «بوسة» ولا يقدر له النجاح، فما الذي يا ترى غيَّره وجعله يقدم لنا «الجماعة» ؟

(3) عندما يريد مؤلف أن يعالج موضوعًا عن شخصية مثل حسن البنا، فمن الطبيعي أن يسأل الذين عايشوه عن عاداته وأخلاقه وطبائعه التي قد لا يتاح أن تعرض في كتب، بهذه الطريقة يتعرف على دقائق شخصية حسن البنا، ولكن المؤلف لم يحاول أن يلتقي بأحد من البقية الباقية الذين عاشروا حسن البنا مثل الأستاذ فريد عبد الخالق عضو مكتب الإرشاد وأحد المقربين من الأستاذ البنا، وقد خصصت له قناة «الجزيرة» ثمان لقاءات طويلة من لقاءات «شاهد على العصر»، وكان يمكن أن يتصل به، أو يتصل بي، ولم أكن لأرفض في هذه الحال الرد على أسئلته.

أما وأنه لم يبد هذه المحاولة، فهذا ينم على أن عنده فكرة معينة عن حسن البنا وهو يريد إبرازها، ولا يريد لأي معلومة أن تؤثر عليه، ولهذا لم يفكر ـ مجرد تفكير ـ في الالتقاء بأحد ممن عايش الأستاذ حسن البنا، حتى لا تؤثر على الفكرة التي في ذهنه، والتي يريد إبرازها رغم تعارضها مع الحقيقة أو عدم إلمامها بالحقيقة، فهو لا يريد عملاً متقناً حقيقيًا، ولكن عملاً خاصًا مزيفاً مزورًا.

(4) لقد ذكر الأستاذ وحيد حامد أنه اعتمد على عدد كبير من المراجع، وأوردها في الإعلان عن المسلسل، ومن الطبيعي أن توجد كتب كثيرة عن الإخوان بعضها من المعجبين بالإخوان، والآخر من الناقمين على الإخوان، ويبدو أن الأستاذ وحيد حامد اعتمد على مثل كتاب رفعت السعيد الماركسي المعروف، واللواء فؤاد علام ــ رجل المباحث المخضبة يداه بدماء المعتقلين ــ ومن المؤكد أنه لم يطلع على كتابنا «خطابات حسن البنا الشاب إلى أبيه» مع أن هذا الكتاب يتضمن نواحي شخصية خافية لم تذكر في غيره، وكان يمكن أن يكون أحد المراجع الأساسية له، ولم يقرأ كتاب «ما بعد الإخوان المسلمين» مع أنه من الكتب الناقدة للإخوان، ولعله لم يقرأ المقالات التسع التي نشرناها في جريدة «المصري اليوم» تحت عنوان «الإخوان المسلمون على مفترق الطرق» فهذا إما أنه إهمال جسيم من مؤلف، أو أنه رغبة في عدم التعرف على كل الحقيقة.

(5) عندما يصدر هذا المسلسل تحت رعاية الدولة وتدفع أكثر من عشرين مليون جنيه لشرائه، وعندما تفسح قنوات التليفزيون لعرضه على أكثر من قناة ولأكثر من مرة في اليوم، وعندما يكون توقيت ذلك قبيل انتخابات برلمانية تخشى الحكومة أعظم ما تخشاه دخول الإخوان !!! إن أغبى الأغبياء لابد وأن يتوصل أن الحكومة أرادت إظهار عمل يشوه الإخوان ويزيف الحقيقة ويكون أقوى دعاية ضدهم في الانتخابات المقبلة، ولا يكون في هذا أي تجني لمنطق الأشياء، وإلا فإننا لا يمكن أن نثق في شيء، فهل يعقل مثلاً أن تعرض حكومتنا، وسوابقها في اضطهاد الإخوان والقبض على قادتهم ومحاكمتهم في محاكم أمن دولة، ورفض الإفراج عنهم حتى بعد إتمام السجن، هذه الحكومة أن تشتري بمبلغ باهظ مسلسلاً يبرز حسنات الإخوان وما قاموا به من دور في المجتمع المصري حتى يقبل الناخبون عليها.

(6) قيل أن المسلسل ظفر بأعظم مشاهدة وهذه حقيقة لا ننكرها، ولكن النقطة الهامة أن هذه المشاهدة لم تكن إعجابًا بالمؤلف أو المخرج، ولكن لأن الجمهور يريد أن يعلم الحقيقة عن «الجماعة» وعن زعيمها الأسطوري حسن البنا، وكان الجمهور يترقب مشاهدة أعلى نقطة في التراجيديا ألا وهي مشهد اغتيال حسن البنا وجنازته التي لم يسر فيها سوى نساء الأسرة، ولكن المسلسل توقف قبل نهايته بحلقتين وادعى السيد وحيد حامد أنه لا مكان لقصة الاغتيال في السيناريو، وأنه يمكن الإشارة إليه في الجزء الثاني، ومن الواضح وضوح الشمس أن الدراما لا تستكمل عقدتها إلا بنهاية البطل ــ خاصة إذا كانت هذه النهاية مأساوية ــ بكل معاني الكلمة.

وقيل أن الحكومة تدخلت لعدم التطرق لقصة الاغتيال وأوقفت المسلسل عند حل جماعة الإخوان، وقد نفى السيد وحيد حامد ذلك، وأنا أرى أنه ما كان يجرؤ على عرض مؤامرة الاغتيال الأثيم التي قامت بها الوزارة المسئولة عن حماية الناس، ولا الجنازة التي لم تسر فيها سوى النساء.. إلخ، فلا ينقصه الذكاء ولا هو يمكن أن يأتي في الآخر ليهدم كل الأكاذيب والتزييفات التي قام بها بالنسبة لأحداث المسلسل.

(7) استفاد السيد وحيد حامد من الجهل المطبق لهذا الجيل بالإخوان المسلمين وأن هذا الجيل لم يسمع إلا دعاوى الحكومة ضد الإخوان، وقد حيل بقوة دون أي ظهور للإخوان فلم يكن لهم صحف ولا سمح لواحد بالحديث في الإذاعة أو الظهور في التليفزيون، وأنا شخصيًا لم يظهر لي ثلاث لقاءات

في برامج تليفزيونية مختلفة، ولهـذا وجـدت شـريحة من المجتمـع يمكن أن تصدق دعاوى وحيد حامد التي سبكها في المسلسل.

ولكن هذا لم يمنع أن عددًا أكبر سأل أفرادًا من الجيل السـابق (آبـاء ــ أعمام ــ معارف) عن الإخوان، فذكروا لهم بـالطبع مـا قـام بـه الإخـوان من دور كبـير في رعايــة الشــباب وإنقــاذهم من المزالــق، وعن كفــاحهم في فلسطين، وفي قنال السويس، وعن شركاتهم ومدارسهم.. إلخ.

وزاد في صعوبة مهمة السيد وحيد حامد أنه تصدى لشخصية حسن البنا باعتباره رمز الإخوان والشخصية التي نالت الإعجـاب والتقـدير من الجميـع، وحاول تشويهها ليتلاءم مع تشويه المواقف التي افتعلهـا أو أظهرهـا بصـورة غير واقعية، وكـان لابـد أن يفشـل لأن شخصـية حسـن البنـا أصـبحت أمانـة تاريخية لا يمكن العبث بها أو المزايدة عليها، ومن هنا فإن محـاولات تشـويه الرجل كانت غير طبيعية وظهرت «الفبركة» فيها، فأثـارت الريبـة وكشـفت التزييف، ونال الرجل حقه من الإعجاب رغم أنف الحاقدين.

(8) الجهل بـالإخوان المسـلمين لم يكن مقصـورًا على عامــة النـاس، بـل إن المؤلف نفسه فاته لأنه لا يعلم بعض الأصـول والمبـادئ الـتي حكمت اتجـاه هيئة إسلامية نحو الحكام، وهو موقف يستنبط من القواعد والأصـول لينتهي إلى الممارسات، فكل الهيئات الإسلامية يكون عليهـا أن تعـني بـالهم العـام للبلاد والقضـايا الرئيسـية في المجتمـع، ولا يسـع أي هيئـة إسـلامية يكـون إسلامها حيًـا أن تـتراخى أو تتثاقـل أو تتناسـي وجـود عوامـل هـدم وإسـاءة للمجتمع، فهذا يخالف مبدءً رئيسيًا هـو الأمـر بـالمعروف والنهي عن المنكـر جاء في صدارة توجيهـات القـرآن الكـريم «وَالْمُؤْمِنُـونَ وَالْمُؤْمِنَـاتُ بَعْضُـهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُـونَ الصَّـلاةَ وَيُؤْتُـونَ الزَّكَـاةَ وَيُطِيعُـونَ اللَّهَ وَرَسُـولَهُ أُوْلَئِكَ سَـيَرْحَمُهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيـزٌ حَكِيمٌ» (التوبة: 71)، كما جاء في وعشرات الأحاديث «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»، و«من غشــنا فليس منــا».. إلخ، وقــد قضــت التوجيهــات الإسـلامية على الفقهـاء بـأن عليهم عنـدما يتـدخلون لأداء واجبهم أن يتسـم ذلك بنوع من الحكمة والموعظة الحسنة، وأن يكـون مرادهـا الإصـلاح أكـثر من التنديد والانتقاد، ومن الأدبيات المأثورة في التراث السياسي الإســلامي ما قاله الحسن البصري «لو كانت عندي دعوة مستجابة لدعوتها للسـلطان، لأن الله يصلح لصلاحه خلقاً كثيرًا»، وكذلك كلمة للسيد رشيد رضا «نتعـاون فيما نتفق فيه ويعذر بعضنا بعضًا فيما نختلف فيه»، وقيل هؤلاء جميعًا كلمـة الرسول «خلوا بيني وبي الناس».

يفهم من هذا أن الدعوة الإسلامية لا يجـوز لهـا أن تقـف موقفـاً سـلبيًا، وأن عليها أن «تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر»، وأن يتم هـذا في أفضـل صورة، وهذا هو مفتـاح اتصـالات الإخـوان بالحـاكمين، فإنـه مـا أن يُعلن عن تشكيل وزارة حتى يكتب المرشد العام لرئيسها مهنئاً بالمنصـب، وراجيًـا أن يغتنم المنصب لتحقيق المصالح وإبطال المفاسد.

وموقف الإخوان هنا يختلف عن موقف الشيوعيين مثلاً الـذين يـرون أن أي اتصـال بـوزارة رأسـمالية خيانـة، وأنـه ليس لـدي المسـئولين بالنسـبة للرأسمالية إلا «اغتصاب المغتصبين» أي القضاء عليهم.

كمـا يختلـف عن موقـف الحـزب في ديمقراطيـة تقليديـة، فـالحزب الديمقراطي لا يتوجه لوزارة أخرى إلا من منطلـق المسـاومة أو الوراثـة أو المعارضة للمعارضة، فهذه مواقف يعزف عنها الإسـلام ولكنهـا لا تفهم عنـد الشيوعيين الـذين يريـدون اغتصـاب المغتصـبين، وإثـارة الفوضـى والقلاقـل حـتى ينهـار المجتمـع، أو منطـق المسـاومة، أو المعارضـة للمعارضـة لـدى الأحزاب الديمقراطية.

ومن يراجع جريدة الإخوان المسلمين اليومية يجد خطابات متواليـة من الإخوان إلى كل الذين يلوُّن الحكم، كلها أملاً ورجاءً ثم عند عدم التنفيذ نقدًا موضوعيًا وهذا يعود إلى أن الشيوعيين والـديمقراطيين يريـدون الحكم، أمـا الإخوان فلا يريدون الحكم ذاته، وإنمـا يريـدون تطـبيق الخطـوط الإسـلامية العريضة للحكم الرشيد، وهذا ما نلمسه في خطابات حسن البنا إلى الملك، وإلى السـعديين، وإلى الوفـديين، كمـا يلمسـه في خطـاب الهضـيبي عنـدما تحدث عن العلاقة ما بين الإخوان وحركة 23 يوليو، إذ قال: «إنه يتجاوب مع الجيش بكل قـوة في أي شـيء يريـده.. فعلاً البلـد في حاجـة إلى الـدفاع.. فنحن مع الجيش للدفاع.. البلد يحتاج إلى زرع الصحراء.. فنحن مــع الجيش لـزرع الصـحراء.. هنـاك حاجـة إلى كنس الشـوارع فنحن مسـتعدون لكنس الشوارع»(*)، فأي شيء يمكن أن يتصور بعد هذا !!!!

لذلك فإن محاولات تشويه هذه العلاقـات كـانت غـير طبيعيـة وظهـرت «الفبركة» فيها، فأثارت الريبة وكشفت التزييف.

(9) أنـا لم أتـابع المسلسـل متابعـة منتظمـة لظـروف عملي، ولأنـه لم يكن في ترتيبي إصدار نقد لها، ولكني رأيت ثلاثة مشـاهد أثـارت اشـمئزازي، الأولى: الإمام البنا يتحدث عن «جلالة الملك أعزه الله وثبت ملكه.. إلخ.. إلخ» كمـا

(*) انظر كلمة المستشار حسن الهضيبي في الاحتفال بذكرى الهجرة في المنصورة عام 1953م.

لو كان أحد وعاظ الأوقاف، وثاني شاهد: «وهو يشتري من بائع مريب أشبه ببائع مخدرات بعض المسدسات»، وأسوأ هذه المشاهد وأكثرها بُعدًا عن الحقيقة أن المرشد عندما علم بقرار حل الإخوان تهاوى وأخذ يضرب رأسه بالمنضدة ثلاث مرات ويقول «لهذا خلق الله الندم».

من أين جئت يا سيد حامد بهذه الجملة ؟ إن شكسبير لم يزد على ما قاله قيصر «حتى أنت يا بروتس» ؟، ولو أراد لأفاض وهو سيد القريض، كما لم يفكر أحد أن يغير أو يبدل أو يضيف أو ينقص مما قاله ميكيل أنجلو وهو يطرق تمثاله «موسى» ويقول «تكلم يا موسى»، فكيف جاز لك أن تقول كلمتك الأثيمة تلك لتصور انهيار رجل لم يفاجأ بالحل، لقد توقعه عندما كان عبد الرحمن عمار يكتب مذكرة الحل، ولم يتأثر بدليل أن جريدة «المصري» سألته عما إذا كان يتوقع أن تفعل الدول العربية بالإخوان مثل مصر، فاستبعد ذلك بصورة قاطعة، بل إنه أعاد الحل في مصر إلى النقراشي واعتبر أنها «إجراءات محلية بحتة وسوف لا تلبث أن تزول بإذن الله»، وقد زالت بإذن الله وزالت دولة النقراشي وبقيت الإخوان.

وكيف سمحت أن تدعي أن النظام الخاص أراد أن يشغل الناس عن الانتباه بقصة مقتل الخازندار بإعلان الحرب في فلسطين في حين أن مقتل الخازندار في مارس سنة 1948م وعمل الإخوان المسلمين كان من سنة 1938م، ونشرت «النذير» في عددها الصادر (2 شعبان سنة 1357هـ (الموافق 1938م) مقالاً يحمل صورة السيد أمين الحسيني مفتي فلسطين ورمز مقاومتها مع مقال للإمام البنا باسم «صناعة الموت».



(بسم الله الرحمن الرحيم)

النذير

جريدة سياسية إسلامية أسبوعية
تصدر على مبادىء الاخوان المسلمين

مدير الجريدة
محمود أبو زيد عثمان المحامى
الادارة : ٥ ميدان الملكة فريدة
(العتبة الخضراء سابقا)
تليفون رقم ٤٤٠٠٤

رئيس التحرير المسئول
صالح مصطفى عشماوى
الاشتراكات
٣٠ قرش عن سنة داخل القطر
٦٠ « « « خارج «

العدد الثامن عشر — الاثنين ٢ شعبان سنة ١٣٥٧ — السنة الاولى

صناعة المـــــوت

أجل صناعة الموت » فالموت صناعة من الصناعات من الناس من يحسنها فيعرف كيف يموت الموتة الكريمة وكيف يختار لموتته الميدان الشريف والوقت المناسب فيبيع القطرة من دمه بأغلى أثمانها ويربح بها ربحا أعظم من كل مايتصور الناس فيربح سعادة الحياة وثواب الآخرة ولم تنقص عن عمره ذرة ولم يفقد من حياته يوما واحدا ولم يستعجل بذلك أجلا قد حدده الله

ومن الناس جبناء أذلة جهلوا سر هذه الصناعة وغفلوا عن مزاياها وفضائلها فمات كل واحد منهم فى اليوم الواحد ألف موتة ذليلة وبقى وموتاته هذه حتى وافته الموتة الكبرى ذليلة كذلك لا كرم معها ولا نبل فيها فى ميدان خامل خسيس ضارع وقضى ولا ثمن له وأهدر دمه ولا كرامة .

﴿ حضرة صاحب السماحة أسد الاسلام وحامي فلسطين والمسجد الاقصى المبارك ، (السيد أمين الحسينى مفتى) فلسطين الاكبر ورئيس المجلس الأسلامي الاعلى ورئيس اللجنة العربيـة العليا ، ورئيس المؤتمر الاسلامي العام ، والرابض فى قرنابل (لبنان) أيده الله بنصره ، وأخذ بيده لرفع منارة العروبة والاسلام ﴾

إن حسن البنا لم يكن يمتدح الملك، وإن كان يخاطبه بأسلوب أشد رفعة مما كان رؤساء الوزارات يكتبون به، ولم يكن يشتري ثلاث أو أربع مسدسات من بائع أشبه ببائع مخدرات أردت به إنزال صورة الرجل إلى مستوى العوام، إن قضية

السلاح لها أبعاد لا تعلم عنها شيئاً وسنحيطك بها علمًا عند الحديث عن قضية فلسطين، ولم يتهاوى عند الحل، بل وضع وثيقة تفضح دواعي الحل المزعوم نقطة نقطة في قرابة ثلاثين صفحة.

وعندما سألته جريدة «المصري» (يوم 9/1/1949م):

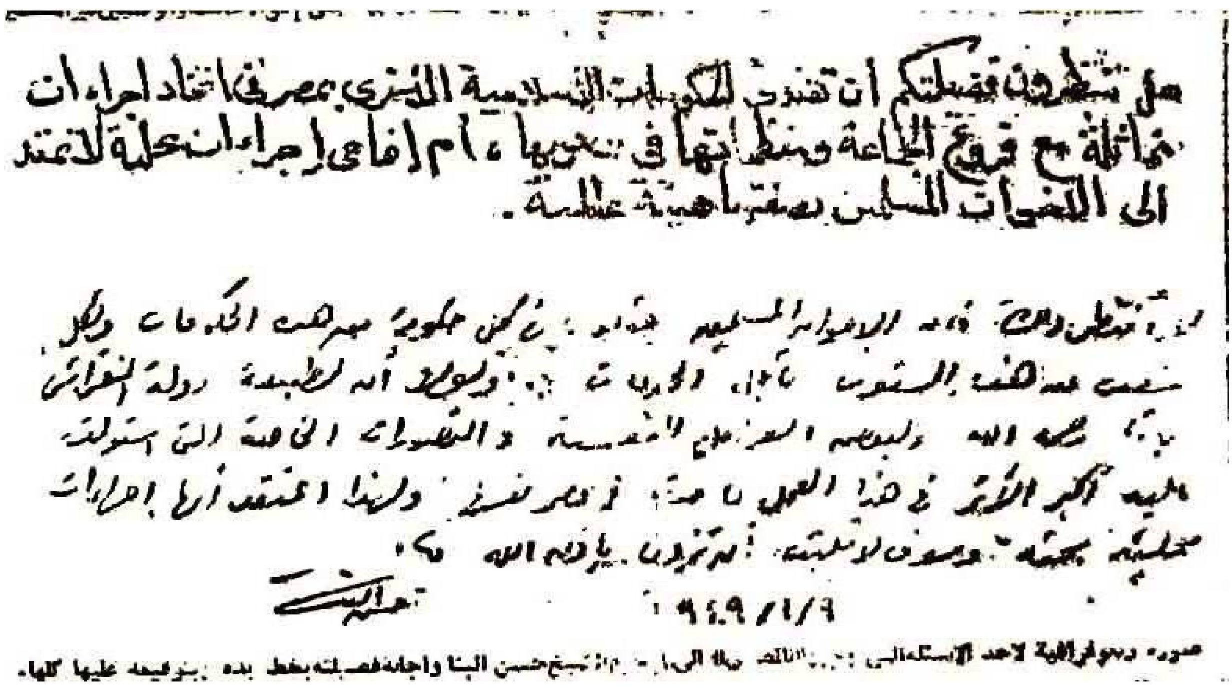
- **هل تنتظرون فضيلتكم أن تقتدي الحكومات الإسلامية الأخرى بمصر في اتخاذ إجراءات مماثلة مع فروع الجماعة ومنظماتها في شُعبها، أم إنما هي إجراءات محلية لا تمتد إلى الإخوان المسلمين بصفتها هيئة عالمية.**
- لا أنتظر ذلك فإن الإخوان المسلمين يقومون في كل حكومة من هذه الحكومات، ولكل شعب من هذه الشعوب بأجل الخدمات، ولولا أن لطبيعة دولة النقراشي باشا ـ رحمه الله ـ ولبعض العوامل النفسية والتصورات الخاصة التي استولت عليه أكبر الأثر في هذا العمل، لما حدث في مصر نفسها، ولهذا أعتقد أنها إجراءات محلية بحتة، وسوف لا تلبث أن تزول بإذن الله.

حسن البنا

9/1/1949م

(*) صورة فوتوغرافية لأحد الأسئلة التي وجهتها جريدة «المصري» إلى فضيلة الشيخ حسن البنا وإجابة فضيلته بخط يده وبتوقيعه عليها كلها.

(*) جريدة «المصري» في 2/10/1949م



هل تنتظرون فضيلتكم أن تقتدي الحكومات الإسلامية الأخرى بمصر في اتخاذ إجراءات مماثلة مع فروع الجماعة ومنظماتها في شعبها، أم إنما هي إجراءات محلية لا تمتد إلى الإخوان المسلمين بصفتها هيئة عالمية.

لا أنتظر ذلك فإن الإخوان المسلمين يقومون في كل حكومة من هذه الحكومات ولكل شعب من هذه الشعوب بأجل الخدمات، ولولا أن لطبيعة دولة النقراشي رحمه الله ولبعض العوامل النفسية والتصورات الخاصة التي استولت عليه أكبر الأثر في هذا العمل لما حدث في مصر نفسها، ولهذا أعتقد أنها إجراءات محلية بحتة وسوف لا تلبث أن تزول بإذن الله.

حسن البنا

9/1/1949

صورة فوتوغرافية لأحد الأسئلة التي وجهتها جريدة المصري إلى فضيلة الشيخ حسن البنا وإجابة فضيلته بخط يده وبتوقيعه عليها كلها.

(10) لما كان المسلسل قد ركـز مشـاهده على أحـداث التـآمر والاغتيـال وإلقـاء القنابل واستجداء المسئولين.. إلخ، فإنـه لم يتعـرض للقضـايا الكـبرى الـتي قامت بها الجماعة، والتي استحقت تأييد الجمهور والانضـمام إليهـا، ومن ثم فلن نشغل أنفسنا بمتابعة مشاهدها المزيفة، ولكننـا سـنتحدث عن القضـايا القومية والوطنية التي شغلت الإخوان والتي قدم فيها الإخوان إبـداعًا ونـال الإعجاب واكتسب التأييد.

وهذه القضايا التي حاول المسلسل تشويهها هي:

<u>أولاً</u> : التحول من الدين إلى السياسة، وبالتالي طلب الحكم.

<u>ثانيًا</u>: تكوين النظام الخاص ليقوم باغتيال الأعداء، وشراء السلاح من مسدسات أو قنابل لاغتيال المعارضين وإشاعة الفوضى والبلبلة.

في مقابـل التركـيز على هـذين الادعـائين، فـإن المسلسـل أغفـل الـدور الاجتماعي للإخوان المتمثل في أقسام الـبر والخدمـة الاجتماعيـة الملحقـة بكـل شـُعبة والمسجلة لدى وزارة الشئون والتي تقوم بكافة الخدمات الاجتماعية.

وليس أدل من الجهل المطبق بما كان يقـوم بـه الإخـوان أن الأسـتاذ وحيـد حامد وهو فنـان مغمـوس في الفن لا يعلم وجـود مسـرح إسـلامي قـام بتكوينـه الشقيق الأستاذ عبد الرحمن البنا عنـدما ألـف «جميـل وبثينـة» وهي المسـرحية الـتي أدى دور البطولـة فيهـا نجمـات مصـر على التـوالي عزيـزة أمـير، فاطمـة رشدي، أمينة رزق، وأشـرف على إخراجهـا زكي طليمـات وسـراج منـير، ومثلت على الأوبرا الملكية مرارًا، وغيرها من المسارح في مصـر والـدول العربيـة، كمـا أسهم في تمثيلها جـورج أبيض وأحمـد علام وعبـاس فـارس وعبـد العزيـز خليـل وحسن البـارودي وفتـوح نشـاطي ومحمـود المليجي وكـان المسـرح دار الأوبـرا الملكية، أمـا أعضـاء فريـق المسـرح الإسـلامي فهم: (إبـراهيم الشـامي، محمـد السبع، إبراهيم شكري، كرم مطاوع، عبد المنعم إبراهيم، عبد البديع العربي، عبد المنعم مدبولي)، والتي كان من أثرها تكوَّن مسرح إسلامي.

وفي الوقت نفسه أبرز نظام الحكم القائم وقتئذ باعتباره الحكم الشرعي واعتبر الإخوان من الخارجين على النظام.

وقد صال وجال المؤلف في هذه القضايا الرئيسية اعتمادًا على جهل معظم الجيل الحاضر بدقائق السياسة المصرية فترة أربعينات القرن الماضي.

ولم يدر أيضًا بخلد السيد وحيد حامد نشاط الإخوان في المجال الصحي، وما أسسوه من مستشفيات ومستوصفات، وما أثروا به على أطباء مصر، لقد كان في الإخوان ستة من أبرز الأطباء يبدأ اسم كل واحد أنور مثل أنور المفتي، وأنور الأتربي، وأنور المصري، وأنور الشبيني.. إلخ، وكل واحد منهم بارز ومتفوق في تخصصه، وكان الدكتور النبوي المهندس هو رئيس مستوصفات الإخوان، وقد اختاره عبد الناصر وزيرًا للصحة، وكان الدكتور النبوي أخاً قديمًا يجلس في بيت الأستاذ عبد الحكيم عابدين ويغني (أنا صعيدي وأبويا صعيدي)، وكان عبد الحكيم عابدين نفسه يسير في قصر العيني كما لو كان يسير في بيته يعرف كل من فيه من أصغر تمرجي حتى الدكتور مورو، وكان د. إبراهيم أبو النجا عميد طب المنصورة من المسئولين، والدكتور سليمان مسئولية عن مستوصف القاهرة، وكانت كلية الطب بصفة عامة قلعة إخوانية.

□□

التحول من الدين إلى السياسة

ماذا تعنيه كلمة السياسة ؟

قد تعني الاهتمام بالشئون العامة وسياسة الحكم، ويضم ذلك دراسة النظم السياسية ونقدها، ومعالجة القرارات والأحكام التي تصدرها الحكومة في أبرز القضايا القومية مثل الاقتصاد والتعليم والزراعة والصناعة والتجارة وما إلى هذا كله، ويتم هذا كله بالطرق المشروعة ووسائل الكتابة والصحافة والمعارضة.

السياسة بهذا المعنى هي «الهم العام»، هي الأوضاع العامة والمشاعر التي تسوقها حتى الحرص على سلامة البلاد، أنها يمكن أن تعني الوطنية.

وهناك معنى آخر للسياسة أكثر شيوعًا هو العمل السياسي للوصول إلى الحكم عن طريق حزب سياسي، السياسة هنا هي محاولة الوصول إلى الحكم، وحتى هذا المضمون يختلف تمام الاختلاف مع المضمون الأول الذي لا يستهدف الحكم ويقوم بالإصلاح.

ما موقف الدين من السياسة ؟

تصور البعض أن الدين ليس له علاقة بالسياسة، بالمفهوم الأول وبالمفهوم الثاني، وأنه عبادة وصلة بالله تعالى بعيدة كل البعد عن أمور الدنيا، وأن المسلم هو الذي يؤدي الفروض الدينية من صلاة إلى صيام إلى زكاة إلى حج، وفي الوقت نفسه يأخذ نفسه بالخلق الحسن والبعد عن الشر والأذى، ولا تكون له علاقة بعالم الدنيا وقضايا المجتمع، لأن الدين هو علاقة خاصة جدًا بين الفرد وبين الله تعالى.

وقد كان هذا هو رأي كثير من الناس في المرحلة الليبرالية من حياة مصر التي بدأت بثورة 1919م، وانتهت بانقلاب سنة 1952م، فلم يكن يتحدث عن الإسلام إلا خطباء يوم الجمعة أو وعاظ وزارة الأوقاف.

ولكن حسن البنا في فهمه للإسلام استكشف أن الإسلام فيه إلى جانب العقيدة التي هي «الإيمان بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر» فإن فيه شريعة، وهذه الشريعة تمثل موقف الإسلام من القضايا الدنيوية الرئيسية في حياة المجتمع مثل الحكم، ومثل الاقتصاد، ومثل المجتمع، وهذا واضح تمام الوضوح في القرآن الكريم، فالقرآن تحدث عن الحكم، فانتقد الحكم الفرعوني المستبد،

واستبعد الوراثة لأن الوراثة لا تعطي لصاحبها حقاً خاصًا، وندد بالظلم والاستبداد وأوجب الشورى وأن يتم الحكم بموجب «بيعة» أو كما يقولون عقد بين الحاكم والمحكوم، كما أنه في مجال الاقتصاد حرم الاستغلال وحرم الربا وندد بالترف وأنه من علامات تدهور المجتمع، وأوجب الزكاة التي تمثل التكافل الاقتصادي وتأخذ من الغني لتعطي الفقير، كما أنه في المجال الاجتماعي أوجب المساواة فلا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى والناس جميعًا سواء أمام القانون، وحرر المرأة من الدونية التي فرضت عليها.

واستخلص الإمام الشهيد من دراساته للإسلام التي بدأت مع الطفولة حتى الاستشهاد أن الإسلام «منهج حياة» وليس مجرد علاقة الإنسان والله مقطوعة من عالم المجتمع والمجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ولهذا توجه بدعوته إلى المقاهي وإلى المصانع وإلى مدرجات الجامعة وفصول المدارس، وأوضح لهم بأبلغ بيان ومستندًا على الآيات والأحاديث أن الإسلام له قول في السياسة والاجتماع والاقتصاد وأنه وثيق في علاقته بالمجتمع.

لم يتحول حسن البنا من الدين إلى السياسة ولكنه كشف عن الطبيعة التكاملية للإسلام، وكان ذلك من أعظم صور التجديد في الإسلام وإعادته إلى أصوله القرآنية.

على أن هناك جانب آخر للموضوع لا يلم به إلا من يدرس ويتعلم ظهور وتطور الحركات الكبرى في المجتمع وتطورها.

ذلك أنه ما أن تبلغ إحدى هذه الحركات «المستوى القومي» حتى تكون عليها أن تعنى «بالسياسة» أحبت ذلك أو كرهته، واتفق ذلك مع مبادئها أو خالفها.

وعلى سبيل المثال فإن الحركة النقابية في بريطانيا عندما نشأت في أواخر القرن الثامن عشر كانت نقابية «حرفية» وبحكم نشأتها في المصنع واستهدافها قضايا الأجور وساعات العمل.. إلخ كانت أبعد ما تكون عن السياسة، وكانت المادة الثانية في لوائح نظامها الأساسي تقول «هذه النقابة لا تشتغل بالدين أو السياسة».

ولكن ما أن نجحت النقابات وكبرت وبلغت المستوى القومي حتى ظهر لها أن من الضروري أن تجابه السياسة سواء أحبت ذلك أو كرهته، لأن الأحزاب القائمة لم تتركها في حالها، إذ طلبت منها تأييدها وأن عليها أن تحدد موقفها كهيئة قومية من الأحزاب فإذا أيدتها فستساعدها على إقرار قوانين تحقق لها

هدفها، وإذا عارضتها فستحول دون إمرار هذه القوانين، بل لعلها تصدر قوانين تعارضها.

وهكذا وجدت الحركة النقابية البريطانية نفسها مضطرة لأن تدخل السياسة، ولأن تكوِّن حزب العمال.

وأكثر من هذا إن الحركة النقابية البريطانية وجدت أن عليها أن تقوم بأكبر حركة للإصلاح الانتخابي، فقامت سنة 1838م الحركة الميثاقية Chartism التي أرادت تسوية الدوائر ويكون حق الانتخاب للجميع الذكور البالغين، وأن تكون الأصوات بطريقة سرية وأن يمنح النواب مهايا، وهذه الحركة التي بدأت سنة 1838م واستمرت عشر سنوات كانت حجر الأساس في الإصلاح النتخابي، وتحققت كل مطالبها وكان آخرها تحقيقاً هو منح نواب مجلس العموم مهايا وحدث هذا سنة 1913م.

وما لنا نذهب إلى التاريخ البعيد ولدينا حركة نقابة التضامن في بولندا التي كانت أولى حركات التحرر من التبعية لهيمنة وسيطرة الحزب الشيوعي والاتحاد السوفييتي، وكيف نجحت في تحرير بولندا من الإسار اللينيني/الإستاليني العتيق، وكان تحرر بولندا بفضل نقابة التضامن هو بداية تحرر كل دول أوروبا الشرقية من الاتحاد السوفييتي.

وفي غير الحركة النقابية، هل نتصور نظامًا أبعد عن السياسة من الجيش الذي يقوم على تقاليد الضبط والربط العسكرية، والاحتفاظ بالولاء للنظام القائم واعتبار الحاكم هو القائد الأعلى للقوات المسلحة.

فقد وجد الجيش نفسه في وقت يتطلب أن يخرج عن إطار الالتزام العسكري ويتزعم الأمة عندما لمس عجز الأمة عن تحقيق مطلبها الوطني لقاء تعنت الحاكم، وهنا تحرك عرابي وتزعم الجيش والشعب وطالب الخديوي بإسقاط الوزارة ووضع دستور يحقق إرادة الأمة في مشهد أصبح من مفاخر التاريخ المصري (9 سبتمبر سنة 1881م).

وكرر التاريخ نفسه مرة أخرى عندما كوَّن الضابط جمال عبد الناصر جمعية سرية من الضباط باسم «الضباط الأحرار» وانقض في غفلة من الحاكم حتى وُلي الأمر وأرغم الملك فاروق على أن يتنازل عن العرش.. وأعلن الجمهورية.. فهل أخل عبد الناصر بقواعد الضبط والربط والتقاليد العسكرية؟؟!!

يفهم من هذا أنه ما من هيئة تبلغ حجمًا وأهمية المستوى القومي حتى يكون عليها أن تقول رأيها في السياسة، ولا تستطيع أن تتجنب ذلك لأنها لا تترك لنفسها، بل يمكن أن لا تبلغ هذا المستوى، ومع هذا تقذف بنفسها في صميم

السياسة إذا اقتضت المصالح القومية ذلـك، كمـا في حركـة جمـال عبـد الناصـر وضباطه الأحرار.

* * *

قـد تقولـون إننـا لا نقصـد السياسـة بهـذا المعـنى، ولكن السياسـة بمعـنى الحكم، فنقـول «إن الإخـوان قـد أوضـحوا في كـل كتابـاتهم ومـواقعهم أنهم لا يسـتهدفون الحكم، كمـا تسـتهدفه الأحـزاب، وهم ينظـرون إلى الحكم كـأداة لتحقيق المبادئ والأهداف التي أمر بها القرآن الكريم في الحكم الرشيد، وأشرنا إليهـا آنفـاً، ومن هنـا فـإنهم يؤيـدون بكـل قـوة أي حـزب يحقـق لهم هـذا وأنهم سيكونون المؤيدين بلا تحفظ لمثل هذا الحزب.

ومعروف بـالطبع أن الوصـول إلى الحكم في مصـر الليبراليـة كـان يتم عن طريق تكوِّن حزب يسعى لهذا حتى ينال أغلبية الأصوات.

وقد كان في مصر حزب واحد له شرعية شعبية وقانونية هو حزب «الوفد»، وقد انشقت عنه أحزاب مثل حزب «الأمة»، ومثل «الأحرار الدستوريين»، ومثل الحزب «السعدي» وغيرها مما أطلق عليها الوفد أحزاب الأقليات، وكانت تعتمـد إما على سراي عابدين حيث الملك أو على قصر الدوبارة حيث العميد البريطاني الذي يسيطر بوجود ثمانين ألف جندي بريطاني في منطقة القنال او في القاهرة والإسكندرية.

في سنة 1946م أصبح الإخوان المسـلمين أكـبر الهيئـات الجماهيريـة حـتى نافست الوفد على صدارة المجتمع، وكان أسـهل شـيء عليهـا أن تؤسـس حزبًـا وكانت فرصتها في النجاح ستعادل فرصة حزب الوفد.

ولكن الإخوان لم يفكروا في ذلك أبدًا.

وكان كل ما استهدفوه ترشيح المرشد في الإسماعيلية مرتين لم ينجحا.

مع ملاحظة أن الترشيح للبرلمان لا يعد ــ بالضرورة ــ مشـاركة في الحكم، لأن مجلس النواب هو الهيئة التشريعية، أي الـتي تصـدر القـوانين، أمـا السـلطة فإنها تكون ممثلة في السلطة التنفيذية، أي الـوزارة أو الحكومـة، لم يكن هـدف الإخـوان من الترشـيحات لمجلس النـواب إلا أن يكـون هنـاك صـوت يـدوي في المجلس النيابي ويثبت المبادئ الوطنية دستوريًا أو اقتصاديًا أو اجتماعيًا.

ولقد وضح الإمام الشهيد في خلال الصراع ما بين الإخوان والوفد أن يوضـح للوفد أن هدفه ليس المزاحمة على السلطة أو أن يرثـه فيهـا في مقـال بعنـوان

«نحن وطـنيون.. ولسـنا سياسـيون.. ولا حزبيـون» فـرق فيـه مـا بين الوطنيـة والسياسة التي تعترف بالحزب وتستهدف الحكم.

وها هي ذي بعض مقالات نشرت في جريدة «الإخوان المسلمين» اليوميـة، وهي توضح بجلاء موقف الإخوان من السياسة وتقدم نماذج لهذا الموقف:

نحن وطنيون 00 لا سياسيون 00 ولا حزبيون(*)

أول ما بدأت فكرة الإخوان ودعوتهم في الظهور والتركز، وكان ذلك في سنة 1927 و 1928م الميلادية، كان هدفها الأول مقاومة تيار الإلحاد والإباحية التي قذفتنا به أوروبا والتي أخذ كثير من الكتاب والهيئات والحكومات يروج له ويعجب به ويدعو إليه دعوة قوية عنيفة اضطربت لها نفوس الغيورين على ما بقي من تعاليم الإسلام وزلزلت زلزالاً شديدًا.

وكانت وسيلة الإخوان إلى هذا المعنى تكوين جبهة من النفوس المؤمنة الفاهمة لتعاليم الإسلام فهمًا صحيحًا تعمل على تطبيقه في نفسها وفي كل ما يحيط بها وتدعو إليه غيرها.

* * *

وتقدم الزمن بالدعوة وأهلها فاصطدمت بهذه الأوضاع الفاسدة في طرائق الحكم ووسائله وأساليبه في مصر، ورأت أن الإسلام الحنيف يعتبر الحكم الصالح جزء من تعاليمه ويضع له قواعده ونظمه وأساليبه ووسائله وحدوده وأنه يجعل من واجبات المسلمين أفرادًا وجماعات أن يعملوا على إيجاد الحكومة الصالحة، ولهذين السببين: تعذر قيام إصلاح اجتماعي مع وجود حكومات غير صالحة، واعتبار الإسلام العمل لإصلاح الحكم فريضة من فرائضه، لهذين السببين أدخل الإخوان المسلمون في برنامجهم العمل لإصلاح الحكم بإقامته على دعائم من توجيه الإسلام، لا العمل للحكم نفسه، وشتان ما بين الوضعين.

وكانت الوسيلة إلى ذلك الكتابة والنصح والمذكرات بعد المذكرات للحكومات المتعاقبة في كل الشئون الحيوية الهامة.

وتقدم الزمن بالدعوة وأهلها مرة أخرى فوجدوا أنه من المستحيل أن تقوم في مصر أو غيرها من الأقطار الإسلامية حكومة صالحة مادام هذا الاستعمار الأجنبي جاثمًا على صدر هذه الشعوب، والحكومات تأخذ بمخانقها وتحول بينها وبين الحرية والعزة والكرامة والرقي، كما وجدوا أن الإسلام قد فرض على أبنائه أن يعيشوا أحرارًا كرامًا، وألا يسمحوا لأحد كائناً من كان أن يدوس أرضهم

(*) جريدة «الإخوان المسلمين» اليومية، العدد (139)، الصادر في 20 ذو القعدة سنة 1365هـ الموافق 15 أكتوبر سنة 1946م.

أو يطأ بلادهم أو يتحكم في شئونهم، وأوجب عليهم حينذاك أن يجاهدوا من حاول هذا معهم بالأنفس والأموال، وجعل الجهاد عليهم في هذه الحالة فريضة عين لا يغني فيها أحد عن أحد ولهذين السببين كذلك: تَعَـذر قيام حكومة صالحة في ظل الاستعمار، وافتراض الإسلام الجهاد في سبيل الحرية على أبنائه، أدخل الإخوان المسلمون في برنامجهم العمل على مقاومة الاستعمار وتحرير أرض الوطن من موبقاته وخبائثه لا ليكون جزاؤهم على هذا وهدفهم من ورائه أن يحتلوا هم مكانه من التحكم والسلطان واقتعاد كراسي الحكم ولكن لتظفر الأمة والحكومة بحريتها وعزتها وكفى، فيقوم فيها حكم صالح يفسح المجال لإصلاح اجتماعي صالح، وكانت وسيلة الإخوان ومازالت في مقاومة الاستعمار تذكير الأمة بمجدها وإذكاء روح الحماسة والقوة في أبنائها ومطالعتها بسوء آثار هذا الاستعباد في مرافق حياتها وإرشادها والعمل معها بكل وسيلة مشروعة في هذا السبيل وحين اشتمل برنامج الإخوان على هذه المعاني كان الإخوان يتمنون أن يعملوا لها وأن يوفقوا إلى تحقيقها، لا لوادي النيل وحده، ولكن في كل قطر من أقطار العروبة والإسلام التي نكبت بمثل ما نكب به هنا الوادي تمامًا من الفساد الاجتماعي والفساد الرسمي بفعل هذا الاستعباد الأجنبي، وذلك بحكم أن عقيدة الإخوان الإسلامية تجعلهم يقرون بالأخوة الكاملة لكل مسلم مهما كان وطنه وأرضه، ويحبون الخير لكل إنسان في الأرض، والله يقول لنبيه «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ».

وحين أخذ الإخوان يعملون لتحقيق هذا البرنامج الواسع لم يخطر ببالهم أنهم حزب سياسي، أو أنهم يسلكون سبل الأحزاب السياسية إلى تحقيق هذه الأهداف، كما لم يخطر ببالهم أن يناوئوا حزبًا أو يخاصموه أو يحتكوا به لأنهم يرون في دعوتهم متسعًا للجميع، ويرونها أكبر من أن تقف موقف الخصومة الحزبية من أحد.

وحين بدا لهم أن يخوضوا معركة الانتخابات البرلمانية لم يريدوا أن يكون ذلك باسم الهيئة، بل أصدرت الهيئة قرارًا بالإذن لمن شاء من الإخوان أن يرشح نفسه بذلك على أن يكون بصفته الشخصية لا بصفته الإخوانية، حرصًا على ألا تقحم الهيئة بصفتها العامة في خصومة الأحزاب السياسية.

كما لم يريدوا من وراء نجاحهم في هذا الميدان أكثر من أن يعملوا لبرنامجهم بأقرب الوسائل الرسمية، وسيلة التشريع في البرلمان.

ومن كل هذا الذي تقدم يبدو الفرق الواسع بين الوطني والسياسي، فالوطني يعمل لإصلاح الحكم لا الحكم، ولمقاومة المستعمر للحصول على الحرية لا ليرثه في السلطة، ولتركيز منهاج وفكر ودعوة، لا لتمجيد شخص أو حزب أو هيئة، ولهذا يحرص الإخوان المسلمون على أن يكونوا دائمًا وطنيين لا

سياسيين ولا حزبيين، ولقد انغمر الإخوان في محيط العمل الوطني وساهموا فيه أعظم المساهمة في الفترة الأخيرة بمناسبة انتهاء الحرب وتحفز الأمم والشعوب للحصول على حقوقها المغصوبة باعتبار أنها الفرصة السانحة التي لا يمكن أن تعوض وأن هذا هو موسم العمل لهذه الناحية بالذات.

وحاولت بعض الهيئات والجرائد والمجلات أن تصور هذا النشاط بأنه خروج من الإخوان عن برنامجهم، وتعرض لما لا يعنيهم، وأنه خلط بين الدين والسياسة وفاتهم أنه إذا كان العرف قد جرى في مصر على أن السياسة مهنة لبعض المحترفين، فإنه ليس في الدنيا عرف يحرم الوطنية على المواطنين وأن الوطنية أجمل ما تكون إذا اقترنت بالدين، فحدث إذن عن نتائجها الباهرة ولا حرج.

ومن هنا كان الإخوان يضربون صفحًا عن مقابلة تهجم الأحزاب أو الهيئات عليهم بتهجم مثله، لأن مهمتهم تقويم هذا البناء المعوج لا مجاراته على عوجه.

ومن هنا كذلك كانوا على استعداد كامل دائمًا لوضع يدهم في أيد أية هيئة تعمل لصالح هذا البلد أو لخير الدين أو الوطن، وكانوا أسبق الناس في ترديد الدعوة إلى الوحدة وضم الجهود، وبخاصة في مثل هذه الظروف التي تقرر فيها مصائر الأمم، وتعرض قضايا الشعوب والأوطان، ولكنهم في هذه الأوضاع كلها سيكونون كما رسموا لأنفسهم وطنيين فقط، لا سياسيين، ولا حزبيين، والعاقبة للمتقين، «وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ».

حسن البنا

* * *

قاتل الله السياسة(*)

قاتل الله السياسة.. التي تضطر الرجل الشريف **أن يلف فيرائي ويتناقض ويخادع وينكر الحقائق لواضحة على رؤوس الأشهاد**، وهو يعلم أنه ياكلم بصفة رسمية في مجلس يمثل أمة، وأن كلامه سينقل لينشر في كل أرجاء المعمورة، وليقرأه الناس جميعًا مهما تباعدت ديارهم، ومع هذا كله تضطره السياسة أن يقول غير الحق.

وقف لمستر بيفن في مجلس العموم ليشرح وجهة نظر الحكومة البريطانية في سياستها الخارجية، فأخذ يلف ويدور ويناقض نفسه بنفسه، ويدعي غير الحق، ويعلن ذلك في قوة وجرأة، فيقول بالنص «إن زمن الدخول

(*) جريدة «الإخوان المسلمين» اليومية، العدد 148، الصادر في 1 ذو الحجة سنة 1965هـ/26 أكتوبر1946م، ص 1.

في محادثات مباشرة بين الدول قد انقضى، وأن أية محادثات أخرى في هذا السبيل يجب أن تكون في مؤتمر دولي يدعى خصيصًا لهذا الغرض»، يقول هذا القول وهو يأبى على مصر أن تتخذ أية خطوة دولية في سبيل قضيتها وتصر الحكومة البريطانية التي يمثلها إصرارًا عجيبًا على أن يكون بينها وبين مصر محادثات تبدأ بالخداع العجيب، وتنتهي بالغبن الفاحش أو الفشل الذريع.

ويقول المستر بيفن في معرض الحديث عن مطالب روسيا من تركيا «أما فيما يتعلق برغبة روسيا في الحصول على قاعدة في الدردنديل، فإن الحكومة البريطانية قد أوضحت وجهة نظرها، وهي أنه لو حصلت روسيا على هذه القاعدة كان ذلك تدخلاً لا مبرر له في سيادة تركيا التي تصبح خاضعة لنفوذ دولة أجنبية، كما أن في ذلك تدخلاً غير سليم في حقوق الدول الأخرى التي يهمها الأمر»، ثم يقول بعد ذلك «إن الاقتراح القائل بإشراك روسيا وتركيا في الدفاع عن المضايق، اقتراح لا يمكن قبوله، إن الحكومة البريطانية تشعر بأن الحكومة التركية هي التي يجب أن تكون مسئولة عن الدفاع والإشراف على المضايق، وقد أيدت حكومة الولايات المتحدة وجهة النظر هذه».

والذي يقول هذا الكلام هو الذي يشترط أن تبقى القوات البريطانية على ضفاف القناة في مصر، أو أن تقيد مصر بقيد من فولاذ بإشراكها مع بريطاني في الدفاع، ولا يخجل مع هذا أن يقول «إن ذلك لا يمس سيادة مصر أو استقلالها في شيء، بل هو مما يدعم هذا الاستقلال ويقويه».

ويقرر المستر بيفن أن مفاوضاته مع مصر «تدور لعقد محالفة أساسها وحدة مصالح الدولتين وتشابهها ومبادئ المشاركة والمسئولية، وأن مما يعوق سعينا إلى الوصول بهذه المفاوضات لنتيجة نهائية، أن في مصر نفسها كثيرًا من الصعوبات السياسية الداخلية»، وهو يعلم تمام العلم أن هذه المفاوضات أساسها عند المصريين جميعًا استكمال استقلال وطنهم وتخليصه من كابوس الاحتلال، والتدخل والاستغلال البريطاني الفظيع، وجاء هذه القوات المعتدية على سيادة الدولة وكرامة الأمة، جلاءً تامًا ناجزًا، وتحقيق وحدة وادي النيل التي فرقتها بريطانيا بخداعها ودسائسها واستئثارها، هذا هو أساس المفاوضات عند أبناء وادي النيل، وقد أعلنوه في كل مناسبة على لسان الحكومة المصرية، وفي بيانات الهيئات والأحزاب والأفراد، ومازالت تفيض به أنهار الصحف في كل صباح ومساء، فكيف يجرؤ المستر بيفن بعد ذلك أن يضع هذا الأساس الخاطئ لهذه المفاوضات.

كما أن جنابه يعلم تمام العلم مصدر هذه الصعوبات الداخلية، وأنه لا اساس لها إلا مناورات الحكومة البريطانية، وألاعيب السفارة والسفراء في مصر، وما هذه الصعةوبات المزعومة لو سلكت بريطانيا سبيل الحق والعدل، ولقد أجمعت مصر على مطالبها وعرفت حقوقها وأعلنتها ولخصتها في كلام سهل بسيط مفهوم هو جلاء القوات البريطانية عن الوادي والاعتراف بوحدته، بهذا الحق تجد في مصر من يختلف معها أو مع غيره من المصريين عليه، أنها لن تجد إلى عرفاناً للجميل، وتقديرًا له من كل مواطن وصداقة حقيقية على أساس التعاون القلبي الصادق، لا على أساس الرياء السياسي المنافق.

وغريب بعد هذا أن يدعي مستر بيفن «أن بريطانيا لا تريد أن تستغل شعوب الشرق الأوسط أو تضطهدهم، وأنه مازال احترام استقلال هذه الأمم وتأييدها، والعمل على تحسين حالتها جزءً جوهريًا من السياسة العامة للحكومة البريطانية، وأنه لا توجد دولة أخرى بذلت مجهودًا للمحافظة على الاستقرار والطمأنينة في هذا الاتجاه، ولمساعدة هذه البلاد للسير قدمًا في طريق الاستقلال كما فعلت بريطانيا».

ولا ندري لمن يقول المستر بيفن هذا الكلام ؟ وإذا لم يكن ما تفعله بريطانيا بهذه الشعوب هو الاستغلال بعينه ؟ فأين الاستغلال إذن ؟ وإذا لم تكن بريطانيا هي المعتدية على استقلال هذه البلاد، وهي التي كبلتها ومازالت تكبلها بالقيود والأصفاد وتحول بينها وبين كل رقي أو تقدم أو استعادة لقوتها وحريتها وكرامتها ؟ فمن المعتدي الجاثم على صدر وادي النيل الآخذ بمخانق العراق، المستأثر بخيرات الهند، المثير للقلاقل في ربوع إيران، وغذا لم تكن بريطانيا هي التي أقضت مضاجع العرب بجلبها هذا الجيش العرمرم من الصهيونيين من كل مكان وتسليحهم وتدريبهم وحمايتهم واستخدامهم وحملهم على رقاب العرب وأطماعهم فيما لا يملكون ولا يستطيعون، مما أذهب أمن العالم العربي والإسلامي كله وأقلقه وأفزعه وأثار مخاوفه في كل مكان، وهدد السلام، وأنذر بالشر المستطير، إذا لم تكن بريطانيا هي التي فعلت هذا بالعرب ودول الإسلام.. فمن إذن ؟

ألا قاتل الله السياسة التي تجعل من الرجل الشريف مخادعًا دوليًا، ومرائيًا رسميًا، وفي أدق المواقف وأحرج الساعات.

وأنتم أيها المصريون والعرب والمسلمون في كل مكان.. هذا هو منطـق بريطانيا الرسمي، إنكار للحقـائق، وقلب للأوضـاع، فلم

يبق إلا أن تعملوا، فاعملوا جاهدين، والله معكم ولن يتركم أعمالكم.

حسن البنا

* * *

بين قوانين الحرية.. وقيود الاستبداد(*)

كان طبيعيًا وقد احتل الإنجليز هذا الوطن بالخلل والخداع، وأخذوا يوطدون أقدامهم في أرضه بالمكر والدهاء تارة، وبالفريق وبذر بذور الخلاف تارة أخرى، والعنف والقسوة مرة ثالثة، أن يضعوا لأهليه وأبنائه ومجاهديه وأحراره القيود والأغلال يسمونها قوانين محتمة الطاعة واجبة النفاذ، حتى يحيطوا أنفسهم وصنائعهم بلون من ألوان الحماية ظاهرة فيه الرحمة وتتوفر فيه الشكلية القانونية، وباطنه فيه العذاب وتختفى وراءه المظالم الوحشية، ومن أقدر على هذا منهم، وقد برعوا في هذا الفن وطبقوه في كل قطر ووطن ؟

وأظهر مثل لذلك: قوانين التجمهر، وقوانين منع الاجتماع، وما يلحق بذلك من قوانين كبت الشعور الوطنى ومصادرة الحريات.

وإذا أضيف إلى ذلك سوء الاستعمال وقسوة التطبيق وتغلغل هذه المعاني في كل النظم والأوضاع، رأينا مبلغ ما تجر هذه السطور القليلة علة كيان الأمة من ضعف وانهيار.

إن الحرية أيها الناس هى الإنسانية، ولا إنسانية بغيرها، فلن يكون الإنسان إنساناً إلا إذا كان حرًا، يشعر أنه يستطيع أن يعبر عن خوالج نفسه، وأن يفعل ما يشاء ــ مادام ذلك لا يؤذي الآخرين ــ وهى أم الفضائل جميعًا، ففي ظل الحرية تنمو الشخصية الكاملة، ويترعرع الصدق والشجاعة والنجدة، والإباء وحب العدل والنصفة وإغاثة المكلومين وحمل الكل والإغاثة على نواب الحق.

ومصادرة الحرية قضاء الإعدام الأدبي، وتحطم لكل مقومات الإنسانية ومشخصات الأفراد والأمم، ولن تجد الرذيلة مرتعها الخصب إلا ظل الاستبعاد والاستبداد والكبت، فالكذب والخداع والرياء والنفاق والجبن والمهانة والنفيعة وإيثار المصالح الدنيا على المصالح العليا، كل هذه جراثيم ومكروبات لا تفؤخ ولا تنمو إلا في هذا المرتع الوخيم.

(*) جريدة «الإخوان المسلمين» اليومية، العدد 140، الصادر في21 ذو القعدة سنة 1365هـ/16 أكتوبر 1946م، ص 1.

والقانون لا يكون قانوناً إلا حين ينظم مصالح الذين يوضع لهم ويكمل حريتهم ويحقق لهم مطالب الإنسانية الكاملة الضرورية، فإذا جاوز ذلك إلى الإخلال بطمأنيتهم وراحة أنفسهم ومصادر حريتهم، كان قيدًا لا قانوناً، مهما تلمس له الحاكمون من الأسانيد الفقهية والشكليات التشريعية ويكون مصيره ولاشك أن يحطم بثورة جامحة لا يستطيع أحد أن يمسك بخطامها أو يقودها بزمامها، وكل التاريخ شواهد على ذلك، ومن هنا جاء في رأس قائمة الإصلاحات الاجتماعية والقواعد التى يريد زعماء العالم أن يشيدوا عليها النظام الجديد كفالة الحريات وحقوق الأفراد والأمم، وأفلحوا إن صدقوا.

ولقد قيل إننا انتقلنا من عهد الاحتلال إلى عهد الاستقلال ولو إلى درجة ما، والواقع يعطينا كل يوم الدليل بعد الدليل على أننا مازلنا نعيش بعد بالعقلية الاحتلالية القديمة، وفي محيط أوضاعها الفاسدة، ولا ندري إلى متى يظل هذا الحال !

إننا نريد أن نغرس بذور الاستقلال في نفوسنا، ثم نتعهدها بالسقي الدائب بماء الحرية والكرامة، وذلك يقتضي حتمًا أن تحطم هذه القيود التى تصادر الشعور والحريات باسم قوانين حماية الأمن والنظام، ولا ندري هل سيدرك الساسة والحكام هذه الحقائق ويبادرون بالأخذ بها، أم سيظلون على ضلالهم القديم، وإذن: «فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ».

حسن البنا

* * *

خطاب مفتوح(*)
من المرشد العام للإخوان المسلمين.
إلى دولة صدقي باشا

حضرة صاحب الدولة اسماعيل صدقي باشا رئيس الحكومة المصرية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،وبعد،،

ففي هذه الساعات التى تبرح فيها أرض الوطن، أبعث إلى دولتك بهذا الخطاب للذكري ، والذكري تنفع المؤمنين، والدين النصيحة وعلم الله يا دولة الباشا إننا رغم سخطنا الشديد على الاستمرار في المفاوضة، واحتجاجنا البالغ على سفرك إلى لندن، واقتناعنا بأن هذه المحاولات لن تفيد الوطن شيئاً ــ رغم

(*) جريدة «الإخوان المسلمين» اليومية، العدد 141، الصادر في 22 ذو القعدة 1365هـ/17 أكتوبر 1946م، ص 2.

هذا كله ــ نسأل الله أن يوفقك وأن يكتب لك النجاح في تحقيق مطالب البلاد كاملة غير منقوصة، فكل الذي نحرص عليه أن يصل الوطن إلى حقه، وليس يعنين في كثير ولا قليل على يد من كان هذا الوصول.

ونود أن تذكر دائمًا هذه الحقائق، ففي تذكرها عظة وعبرة، فتذكر يا باشا أن الأمة قد لخصت مطالبها في كلمتين: «الجلاء التام ووحدة وادى النيل»، فلن ترضى بأقل من ذلك، ولن توافق على أي صيغة أو صورة فيها إلتواء أو إرجاء.

وتذكر يا باشا أن شعب وادى النيل الأبى لا يمكن أن يسلم لأحد ــ كائناً من كان ــ بأن يربط مصيره وحياته واستقلاله بمشاكل الإمبراطورية البريطانية التى لا تنتهي.

وهو لهذا يرفض بكل شدة كل مخالفة عسكرية أو لجنة دفاع مشترك كما أنه لا يرضى بحال بأية معاهدة في ظل الاحتلال والاكراه، ولن يتقيد بشيء مما تتفقون عليه حتى تؤخذ فيه كلمته، وتتضح إرادته في من غير تزييف ولا إكراه.

وتذكر يا باشا أن هذا الشعب اليوم غيره بالأمس، فقد تنبه حسه، وتم وعيه، وأدرك الأمور على وجهها، فلم يعد يخدعه تضليل الزعماء، أو ترهبه صولة الحكام والرؤساء، وقد عاهد الله أن يعيش لحريته، أو يموت كريمًا دونها، موت الأباء الشهداء !

وتذكر يا باشا أن انجلترا اليوم غيرها بالأمس كذلك، وأن الظروف الدولية المواتية لتحقيق مطالبنا كل المواتاه، وأن هذه الفرصة السانحة لا يمكن أن تعوض، فلا تضع الوقت سدى، فالوقت أمضى من السيف.

وتذكر يا باشا أن عودة في ظلال الإباء والشرف، وقد استمسكت بحالات البلاد فلم تفرط فيها، أكرم وأعز وأنبل من معاهدة لا تتفق مع مطالب الأمة، توقعها وتمضيها.

وتذكر يا باشا لحظات الشعب الأخيرة قبيل سفرك، وقد أعلن عن إرادته قوية داوية على لسان هيئاته وجماعاته في الصحف والمجلات، فأتق الله يا باشا في هذه النفوس العزيزة التى ورثت ذخائر المجد، وأقسمت أن تحيا لها وتموت في سبيلها.

ألهمنا الله وإياك الرشد وهدانا جميعًا سواء السبيل.

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته،،،

حسن البنا

* * *

فهذه المقالات كلها توضح أن الإخوان عندما يستخدمون كلمة السياسة فإنهم لا يطلبون الحكم، ولكنهم يعالجون القضية التي تسيطر على المجتمع وتسيره وتحدد مصيره مما لا يسع أي مواطن ــ دع عنك هيئة عامة ــ أن يتجاهلها أو يتخلى عنها، كما أنها تنضح بالمطالبة بالحرية وتندد بالاستبداد.

النظام الخاص

أعطى مؤلف المسلسل انطباعًا أن الإخوان لاذوا بطرق العنف والاغتيالات، وأنهم أسسوا «النظام الخاص» لذلك.

لفهم النظام الخاص يجب أن نعود إلى الوراء.

إن مصر الليبرالية كان لها مزايا كبيرة، ولكن لم يكن من هذه المزايا بث القـوة والالتزام في نفوس الشباب وتربيتهم تربية رياضية، وكان الجيش وهو رمز الضبط والربط جيش «زفة» تظهر في مناسبات مثل عيد ميلاد الملك أو تولية العرش، ولكنه لا يضم جنودًا دربوا للقتال بالفعل.

أراد الإمام الشهيد أن يربي الشباب تربية جادة رشيدة تضم قوة الجسم وقوة الروح فأخذ بنظام الجوالة، والجوالة هي المرحلة التالية للكشافة فالكشافة للصغار والجوالة للكبار، وكانت الجوالة تضم التنشئة الرياضية التي تقوي الجسم وتجعله يتحمل الشدائد، وهي نظام مشروع تأخذ به الدولة، وهذا ما يوضح بُعد نظر الإمام الشهيد، فإنه لم يؤخذ بفكرة «القمصان» التي جاءتنا من أوروبا بعد ظهور الهتلرية والفاشية، وارتداء أعضائها لقمصان لها لون خاص وانتقلت العدوى إلى حزب «مصر الفتاة» وإلى حزب «الوفد» العتيق، ولكن الإخوان رفضوا الفكرة، وأخذ بنظام الجوالة، وأقلعت الأحزاب مصر الفتاة والوفد بعد ذلك عن قمصانهم لأن هذا كان مجرد تقليد.

كان الإخوان هم الهيئة الوحيدة التي يمكن أن تقنع شيخاً في الصعيد بأن يلبس زي الجوالة وبنطلونها القصير، وأن تقوم بتمارينها من القفز على الحواجز أو الجري.. إلخ.

ومن بين هذه الجوالة اختار الإخوان العناصر الممتازة وكونوا منهم «النظام الخاص».

وقد تكون النظام الخاص في أوثق الأقوال سنة 1940م، وكان يضم صالح عشماوي وحسين كمال الدين ومحمود عبد الحليم وحامد شريت وعبد العزيز أحمد وكان رئيسه المباشر هو محمود عبد الحليم ولما نقل إلى الإسكندرية وُلي الرئاسة المباشرة عبد الرحمن السندي.

كان الغرض الرئيسي من تكوين النظام الخاص أمرين:

الأول: قضية فلسطين التي بدأت مع الإخوان من سنة 1938م عندما نشر الأستاذ البنا مقاله المشهور «صناعة الموت» لمناسبة إعلان المفتي ــ السيد أمين الحسيني ــ المقاومة ضد الصهيونيين الذين بدأوا في إعداد لإقامة دولة فلسطينية، ولم يكن يسع الإخوان ــ للعوامل التي سنشير إليها ــ السكوت، أو الوقوف موقفاً سلبيًا.

الثاني: قضية الاستقلال التي لابد لها من قوة ــ على الأقل تدعم المفاوضات ــ ويمكن اللواذ بها عند فشلها، وكان للجيش البريطاني ثمانون ألف جندي معظمهم في منطقة قنال السويس، كما كان لهم معسكر كبير في ميدان التحرير ووفود في القلعة وفي مختلف الممدن، وكان لابد أن سيأتي يوم الكفاح، ولابد من الاستعداد المسبق له.

وكانت قضية فلسطين من الناحية الزمنية هي السابقة، والتي كان على الإخوان أن يقوموا بدور عملي وحاسم فيها خلال بضعة سنوات من تكوين النظام، بينما تأخرت قضية الكفاح ضد الاحتلال إلى الخمسينات.

وفيما بين هذين، أدى إعلان الأحكام العرفية وكبت الحريات إلى حدوث صدام في الداخل ما بين الإخوان والسلطة التي حكمت بروح ووسائل الحكم العرفي واضطرار الإخوان إلى اللواذ بصور من العنف كانت كانت غريبة على منهجهم، ولكن فرضتها الظروف.

وفيما سيلي من فصول سنعالج الجهاد في فلسطين، والعنف الذي حدث عام 1948م، ووصل إلى قمته في اغتيال النقراشي في 28 ديسمبر، وفي اغتيال حسن البنا في 12/12/1949م.

* * *

دور الإخوان المسلمين في فلسطين

كان الإخوان المسلمون هم أول من تنبه إلى خطورة التدخل الإسرائيلي في فلسطين والعمل على الاستحواذ عليها، كانوا مسوقين إلى ذلك بتاريخ إسلامي طويل عن الحرب التي يشنها اليهود على الإسلام، كما كانوا بتأثير سلفيتهم يلحقون المسجد الأقصى بالكعبة في مكة، وبمسجد الرسول ويرونه ثالث الحرمين وأولى القبلتين.

لم أكن من المتحمسين بوجه خاص لهذا المنطلق، وإن لم أرفضه لأن له أصله التاريخي، وكان يهمني كوطني مصري أن تؤمن حدود بلادي، وكان من البديهيات لكل رجل دولة مصري أن يعمل لأن تكون المداخل التي دخل منها الغزاة مؤمنة، من هنا فإن قضية فلسطين هي أولاً ــ وبالقدر الأعظم ــ قضية أمن قومي، والمفروض أن لا ينام رجل دولة مصري إلا بعد أن يؤمن حدوده، ومن المؤكد أن يكون من أعظم اهتماماته أن يحول دون أن تحتل حدوده دولة عدوانية، غريبة على المنطقة، زرعها الاستعمار ليحول دون وحدته، ولتكون «سفير» القوى الأوروبية والأمريكية المعين في تحقيق سياستها التي أجهضت نهضة محمد علي، وقضت على قومة عرابي، وحالت بكل الطرق أن تكون مصر دولة عظمى تقود العرب والشرق.

من سوء حظ مصر أنها لم ترزق سياسيين مثل بسمارك في ألمانيا أو كافور في إيطاليا يعمل لتحقيق وحدة دولته ويؤمن حدودها، لقد كان قادة مصر من الساسة الحزبيين الذين قال واحد منهم «أنا رئيس مصر وليس رئيس فلسطين»، ولا يرون إلا المصلحة الحزبية الرخيصة، والحكم والسيطرة، ومنح الوظائف والألقاب للأنصار، والتقرب من المحتل وتملق الملك.

من أجل هذا كان إيمان الإخوان أهدى سبيلاً، وهو فعلاً ما يتسق مع السياسات العليا لكل دولة، عندما تصدوا من سنة 1938م لقضية فلسطين، عندما نشرت «النذير» صورة لمفتي فلسطين في أعقاب الإضراب العام لفلسطين عام 1936م، وكان يكتب الأستاذ البنا مقالته المشهورة «صناعة الموت»، وتوثقت العلاقات ما بين السيد أمين الحسيني عندما قدم القاهرة بمسعى كان للإخوان نصيب فيه، وكانت كلمة المفتي «إن فلسطين لا تريد

رجالاً، ولكن تريد سلاحًا»، ومن هنا تركز الجهد حول توفير السلاح للمقاومة الفلسطينية، وتوصل الإخوان بجهود المفتي وتدخل الأستاذ عبد الرحمن عزام الأمين العام للجامعة العربية وهو صديق للإمام الشهيد وللمفتي، لأن تسمح الحكومة للإخوان بأن تجمع السلاح وتقدمه للمقاومة الفلسطينية عن طريق السيد أمين الحسيني وكلف الإمام البنا شُعبة الإسماعيلية وشُعبة الإسكندرية للبحث عن السلاح من مخلفات الحرب العالمية الثانية وكانت في صحراء الإسكندرية أو من معسكرات الجيش البريطاني في قنال السويس، ونجح الإخوان في ذلك، وهذا هو أحد أسرار استحواز الإخوان على السلاح، فإن الضابطان جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر قدما للإخوان سلاحًا يملأ عربة سكة حديد، واستلمه الإخوان وضموه إلى ترسانتهم التي كانت كما سنرى لتزويد الفدائيين (وهذه الواقعة هي ما ذكرها جمال عبد الناصر شخصيًا لوفد أسرة البنا عندما زارته لشكره على للقبض على قتلة الإمام الشهيد في الأيام الأولى للحركة، وقد سمعتها منه بأذني).

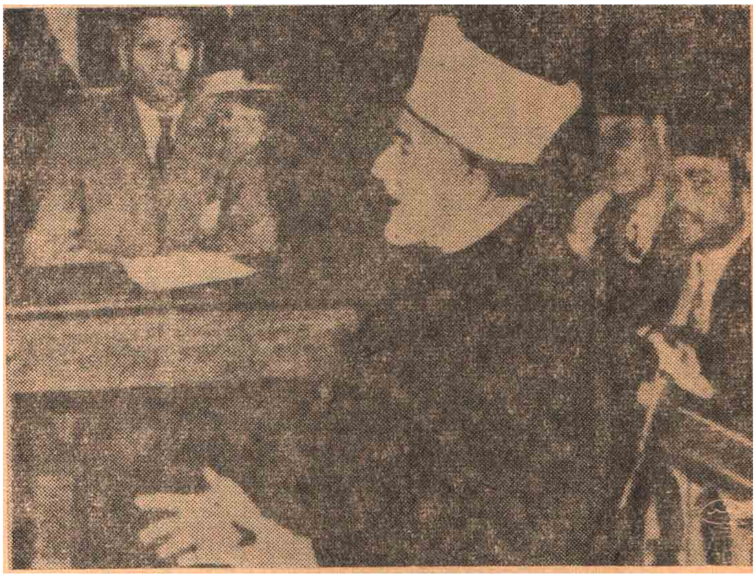
لم يقصر عمل الإخوان على ذلك، لقد يسروا أيضًا المادة المطبوعة للمقاومة، فكانت مطبعة الإخوان التي كان موقعها وقتئذ في حارة متفرعة من شارع الخليج حارة أبو الحسن الشوشتري بالقرب من «بلاتشي اللي اتحرق»، كما نقول وقتئذ للإرشاد على مكانها، وكنت أتولى إدارتها وكنا نفتحها بالليل لنبدأ في طبع منشورات المقاومة، واذكر منها «النار والدمار في فلسطين» وغيرها، وفي الصباح يأتي مندوب السيد أمين الحسيني ليتسلم المطبوعات.

وعندما أزفت الأزمة، وأعلنت قيام إسرائيل في 15 مايو سنة 1948م، كان الإخوان على استعداد لها فأخذوا يوفدون مجموعات من الفدائيين الذين كانوا يعملون بالتعاون مع الصاغ أحمد عبد العزيز وغيره، وأثبت الإخوان بطولات وقدموا شهداء.

ومن حسن الحظ أننا في سنة 1951م وثقنا أقوال كبار الشهود في قضية «سيارة الجيب» ونشرناها في رسالة صدرت باسم دار الفكر الإسلامي «أقوال كبار الشهود وحوادث التعذيب»، وسندرج هنا ما يتعلق بجهاد الإخوان في فلسطين من واقع شهادة كبار الشهود:

- 1 -

شهادة سماحة الحاج أمين الحسيني
مفتي فلسطين



السيد أمين الحسيني يدلي بشهادته أمام المحكمة

(قالت مجلة المصور: حينما دعته المحكمة للشهادة لم يناده الحاجب بصوته الجهوري ، بل ذهب إليه بعض رجال البوليس وجيء له بكرسي فجلس في حرم المحكمة، وكان يتكلم بصوت خافت، وبهدوء شديد).

س: هل كان لجماعة الإخوان المسلمين حركة مشاركة في حرب فلسطين ؟

ج : نعم كان للإخوان المسلمين حركة مشاركة في حرب فلسطين منذ البدء وقاموا بدعاية لها ثم شاركوا بأنفسهم في سنة 1936م أثناء الجهاد هناك وجمعوا أسلحة وذخيرة وذهب فريق منهم إلى الجهاد هناك واستمروا على ذلك يعنون بهذه القضية ويخدمونها بأنفسهم وبجهودهم وبكل ما يستطيعون حتى النهاية.

س: هل كان رجال الهيئة العربية كالمرحوم عبد القادر الحسيني أو غيره يستعينون ببعض الإخوان في جمع الأسلحة وشرائها ؟

ج : نعم كان عبد القادر الحسيني بك وغيره يستعينون بالإخوان المسلمين في شراء الأسلحة والذخيرة ويدفعون ثمن هذه الأسلحة.

س: هل تعرف أن من بينهم محمود الصباغ ؟

ج : نعم قد كان أحد الذين كلفوا من قبل عبد القادر بك الحسيني وغـيره لشـراء الأسلحة وأعرف أنه اشترى صفقات بلغت نحو ثلاثة آلاف جنيه وأنه اشـتري بها فعلا أسلحة وسلمها إلى المنوط بهم استلامها من الهيئة.

س: هــل كــان الإخــوان المســلمون في أول جهــادهم على صــلة بعبــد القــادر الحسيني بك قبل دخول الجيوش النظامية ؟

ج : نعم كان لهم به صلة وحارب فريق منهم معه وبعضـهم استشـهد في معركـة القسطل.

س: وهل استمروا يجاهدون بعد دخول الجيوش العربية ؟

ج : نعم.

س: هل ظلت الهيئة العربية تجمع أسلحة بعد دخول الجيوش العربية ؟

ج : نعم ظلت تجمع أسلحة بعد دخول الجيوش كذلك الإخـوان وأذكـر حادثـة قـد يكـون لهـا أهميـة في هـذا الموضـوع وهي أن المرحـوم الشـيخ حسـن البنـا زارني بعد الهدنة الأولي، وقال لي مـا يـدل على قلقـه ممـا ظهـر في بعض الجيوش العربية من التخاذل ومما لمسه من الدسائس التي ترمي إلى هدم قضـية فلسـطين وتسـليم فلسـطين إلى اليهـود بـدون حـرب «وهنـا قـال سماحته إنه لا فـرق بين إليهـود والصـهيونيين»، وقـال لي أنـه يشـعر بقلـق شـديد ممـا لمسـه من هـذا التخـاذل والدسائس ولـذلك فقـد فكـر في أنـه سيرسل نحو عشرة آلاف من الإخوان المسلمين ليشـتركوا مـع المجاهـدين في فلسـطين وقــال لي أنــه سـيعرض الأمــر على المختصـين والحكومـة المصرية لتموينهم وتسليحهم وإذا تعذر تسـليحهم بسـبب قلـة السـلاح فإنـه سيطلب إلى جميع الشعب لتجهز كل شعبة متطوعيها بسلاح تشـتريه بحيث يتسلح عشرة آلاف وكان مصـممًا على هـذه الفكـرة وأعتقـد أنـه طلب إلى هذه الشعب أن تجمع الأسلحة وأخـذ في تنفيـذ هـذه الخطـة، ولكن لا أدري كم اسـتطاع أن يرسـل منهم في ذلـك الحين، وهـذا يـدل على أنهم كـانوا يشترون الأسـلحة حـتى بعـد دخـول الجيـوش النظاميـة وذلـك بسـبب خيبـة الآمال في بعض الجيوش العربية.

س: متى حصل هذا الحديث ؟

ج : بعد الهدنة الأولي بأيام قليلة وبعد أن ظهر التخاذل وهذه المؤامرات.

س: ومتى كانت الهدنة الأولى ؟

ج : الهدنة الأولي كانت في 11 يونيه والجيوش العربيـة دخلت فلسـطين في 15 مايو أي بعد 21 يومًا من دخولها.

س: إلى أي تاريخ ظلت الهيئة العربية ترسل أسلحة إلى فلسطين ؟

ج : استمرت حسب ما أذكر ترسل الأسلحة إلى آخر سنة 1948م وأظن أن آخر دفعة أرسلتها كانت في إليـوم العاشـر أو الحـادي عشـر من شـهر ديسـمبر سنة 1948م.

س: وهل تعرف من أين جمعت ؟

ج : أكثرها من الصحراء الغربية وبعضها من القطر المصري.

<u>من المحكمـــة:</u>

س: وهل كانت الهيئة العربية تأخذ تصاريح لنقل هذه الأسلحة ؟

ج : نعم كانت تأخذ تصاريح من الحكومة المصرية.

س: هل استولت الحكومة المصرية على أسلحة من مخازن الهيئة العربية ؟

ج : نعم.. حول 4 أغسطس استولت الحكومـة على أسـلحة وذخـائر من مخـازن الهيئة العربية في حلمية الزيتون وفي المرج، وكان للهيئـة مخازن متعـــددة في الزيتــون وفي المرج ولها مصانع وكـذلك اسـتولت الحكومـة على بعض مخازن بمرسي مطروح.

س: ولماذا استولت الحكومة على هذه الأسلحة ؟

ج : لا أدري تمامًا ما هي الأسباب وإنما المرحـوم النقراشـي باشـا عنـدما كلمتـه في هذا الشأن قال لي إن هذا أمـر بسـيط ونحن سـننقل لكم الأسـلحة إلى الحدود وأمر بنقلها إلى العريش وإلى الحدود ولكنها لم تسلك إلينـا ولا أعلم إلى الآن مصيرها.

س: وكيف جمعتم أسلحة بعد ذلك ؟

ج : بعد ذلك بأسبوعين أو ثلاثة سمح لنـا بجمع الأسـلحة مرة أخرى.

س: وهل كانت مقابلتك للنقراشي باشا قبل التصريح أو بعده ؟

ج : أنا قابلته في أواخر شهر أغسطس على ما أذكر في الإسـكندرية أنـا وعـزام باشا، وقال سترسل لكم الأسلحة وبعد هذه المقابلة بنحو أسبوعين سمحت الحكومة بالجمع وعندما صادرت الأسلحة واستولت عليها لم تبلغنـا أن جمـع الأسلحة ممنوع ولم نمنع من جمع الأسلحة بعد المصادرة.

س: ومعنى هذا أن هذه المصادرة لم تكن تقيد المنع ؟

ج : لا.

س: هل استولت الحكومة من مخازن الهيئة العربية على أشياء أخرى خلاف الأسلحة وأسلاك ومهمات ؟

ج : كان للهيئة في العريش ورفح بعض ملابس وخيم ومهمات وأحذية وخلافه أيضًا أخذته برسم أمانة ولم ترد هذه الأمانة.

س: هل كان بعض أهل القرى من فلسطين يفدون إلى مصر لجمع أسلحة ؟

ج : نعم كانوا يحضرون ويراجعون الهيئة العربية من أجل أخذ رخصة، فكنا نأتي لهم بالرخص من هيئة وادي النيل التي كان منوطاً بها أن تعطي رخصًا وكانوا يلجأون إلى الهيئة العربية لجمع أسلحة أو يلجأون للإخوان المسلمين أو يشترون مباشرة.

س: هل تذكر تاريخ آخر تصريح للهيئة العربية بجمع سلاح ؟

ج : أظن حوالى 10 ديسمبر سنة 1948م وهي آخر دفعة تسلمها الدكتور داود الحسيني.

س: هل كان ضمن الأسلحة أشياء أخرى ترسلونها إلى فلسطين ؟

ج : كل شيء من أسلحة وذخيرة ولاسلكي وقنابل وسيارات وخلافه.

س: باعتباركم كنتم على صلة بالإخوان فهل تستطيعون أن تذكروا شيئا عن أهداف الجماعة ووسائلها، وهل من بين هذه الوسائل اتخاذ العنف والإرهاب ؟

ج : أعتقد أن الإخوان المسلمين هيئة إسلامية تعتنق المبادئ الإسلامية وتحمل دعوتها وتعمل لخير المسلمين ونفعهم وتعمل على إنشاء جيل مصلح يعمل بمبادئ الإسلام وأخلاقه، وهذا ما أعرفه عن الإخوان المسلمين وأعرف أن أهداف المرحوم الشيخ حسن البنا والإخوان كانت لمصلحة المسلمين خاصة ولخيرهم ولإنقاذهم مما هم فيه من ذل وبلاء ولا أعتقد أنها تعمل أي شيء يخالف الشرع من العنف والقتل والإرهاب.

س: هل تعتقد أن الاعتماد على الحكومات كاف وحده لإنقاذ فلسطين ؟

ج : الخطة التي كنت أعتقدها ولازلت، وهي الخطة التي قررتها اللجنة العسكرية المختصة في أكتوبر 1947م عند اجتماع اللجنة العربية في «عالية» بلبنان كانت التعويل على أهل فلسطين في الدفاع عن بلادهم على أن تجهيزهم البلاد العربية أو الدول العربية وتدربهم وتحصن قراهم أي

أن تضعهم في نفس الوضع الذي فيه الصهيونيون من حيث التحصين ثم المتطوعون ثم تقف الجيوش على الحدود دون أن تدخل وكانت هذه هى الخطة المثلى، ولكن حدث بعد ذلك وبعد أن شرع في تسليح أهل فلسطين تنفيذا لهذه الخطة أن قدمت إحدى الدول الأجنبية[1] مذكرة تحتج فيها على هذه الخطة وبذلك وقف التسليح والتدريب وبذلك عدل عن هذه الخطة المثلي لأن غرض أعداء قضية فلسطين كان أبعاد العناصر المؤمنة والمستميتة في القتال ولأن العقيدة اليهودية والعقيدة العربية عقيدتان متعارضتان فكان الإيمان والعقيدة أول سلاح في هذه المعركة ولهذا كان جهاد الأعداء أبعاد العناصر المقتدرة والمؤمنة والمستميتة عن ميدان القتال وأهل فلسطين كانوا أكثر إيمانا واستماتة في الدفاع عن بلادهم وكذلك العناصر المؤمنة بقضية فلسطين مثل الإخوان وغيرهم من المتطوعين وهؤلاء قصد إبعادهم عن الميدان ولا يبقي في البلاد إلا اليهود وبدأت السياسة تلعب دورها والمجال لا يتسع كثيرا لشرح أساليب السياسة التي اتبعت في فلسطين.

س: هل كنتم أفضيتم للشيخ حسن البنا بهذه الخطة المثلي التي كنتم اتفقتم عليها لإنقاذ فلسطين ؟

ج : لا أذكر إذا كنت قد قلت له هذا أو لم أقله ولكنني كلمت كل مسئول وقدمت مذكرات.

من حضرة ممثل النيابة:

س: لما استولت الحكومة على أسلحة الهيئة العربية.. وقابلت النقراشي باشا بشأنها.. هل فهمت منه الأسباب التي دعت إلى الاستيلاء عليها ؟

ج : لم أفهم منه حقيقة الأسباب و إنما أذكر أنه قال لي أن هذه التدابير اتخذت هنا ولم تتخذ ضدكم وستسلم لكم كل الأسلحة عند الحدود.

س: ألم تفهموا من حديث النقراشي باشا أن الأسباب هي الخوف من تسرب السلاح واستعماله في حوادث داخلية بمصر ؟

ج : لا لم يذكر لي شيئا من هذا.

---

[1] **ليتأمل ذلك الذين يعتقدون أن الدول الأجنبية لا تتدخل في الشئون الداخلية ! فهذا تدخل يهدم الخطة العسكرية الأساسية لحرب فلسطين.**

س: هل تذكرون أن أسلحة صدرت من ميناء أخرى خلاف مرسى مطروح ؟

ج : من بور سعيد.

(وعند انصراف سماحته حياه الإخوان في قفص الاتهام بالهتافات: دماؤنا فداء فلسطين.. فلسطين عربية وستعود عربية).

* * *

- 2 -

شهادة سعادة اللواء أحمد فؤاد صادق باشا قائد عام حملة فلسطين



السيد اللواء أحمد فؤاد صادق باشا يدلي بشهادته أمام المحكمة

س: نريد أن نعرف رأي سعادتكم بصفتكم قائد عام لحملة فلسطين عن موقف الإخوان المتطوعين في هذه الحرب وفي ميدانها ؟

ج : كانوا جنود أبطال أدوا واجبهم على أحسن ما يكون.

س: هل يسمح الباشا أن يذكر لنا وقائع معينة تدل على البطولة ؟

ج: نعم سمعت بعد وصولي لرئاسة القوات من قلم المخابرات العسكرية أن إليهود يبحثوا دائمًا عن مواقع الإخوان ليتجنبوها في هجومهم فبحثت عن حالتهم من الناحية الفنية وأمرت بتمرينهم أسوة بالجنود ودخلوا مدارس التدريب وأصبح يمكن الاعتماد عليهم في كثير من الأحوال التي تستدعي بطولة خاصة، مثلا أرسلتهم من دير البلح إلى ما يقرب من 100 كيلو إلى الجنوب لملاقاة الهجوم الإسرائيلي على العريش فاستبسلوا وأدوا واجبهم تمامًا، واشتركوا أيضًا في حملة للدفاع عن موقع 86 في دير البلح وأعطيتهم واجبًا من الواجبات الخطرة فكانوا في كل مرة يقومون بأعمالهم ببطولة استحقوا من أجلها أن أكتب لرياسة مصر أطلب لهم مكافأة بنياشين وذكر بعضهم للشجاعة في الميدان وبعضهم ذكر اسمه في الأوامر العسكرية واتصلت بالحكومة في ذلك الوقت وطلبت منها مساعدة هؤلاء بأن يعطوهم أعمال عندما يعودوا ويعاونوا أسرهم والحكومة ردت ووافقت وأرسلت تأخذ معلومات عنهم وكان ده تكريم الحكومة لهم.

س: هل نفذت الحكومة هذا الوعد ؟

ج : ما أعرفش ولكن عندما طلب مني اعتقالهم رفضت ووضعتهم تحت حراستي الخاصة.

س: في أي تاريخ أرسل الباشا الإخوان ليحموا العريش ؟

ج : في المدة من 26 ديسمبر إلى 30 ديسمبر سنة 1948.

س: أمر حل الإخوان صدر في 8 ديسـمبر وتقـرر سـعادتكم أنكم أرسـلتم هـؤلاء المتطـوعين في 26 ديسـمبر إلى 30 ديسـمبر سـنة 1949م فمـاذا كـانت الروح المعنوية بعد أمر الحل ؟

ج : أنـا جـاوبت على كـده وقلت أنهم قـاتلوا ببسـالة ولم يـؤثر قـرار الحـل على روحهم المعنوية.

س: ما هو الدور الخطر الذي قام به المتطوعون في دير البلح ؟

ج : قلت أنهم قـاتلوا قتـالاً مجيـدًا وعنـدما رأيت الخطـر في المعركـة فاعتمـادي عليهم جعلني أقدم المتطوعين من الإخوان لأنهم أحسن ما لدي من الجنود.

س: حين صدر أمر الحل للجماعة هل أخطرت به من القاهرة ؟

ج : كل الناس عرفت ولم يكن هناك سبب لإخطار خاص وأنا عرفت من الرئاسة بالتليفون ومن الجرائد.

س: ما هى الشروط الواجبة في رجل حرب العصابات ؟

ج : يكون فدائيًا وعلى بطولة كاملة، وإلمـام ببعض العمليـات العسـكرية كنسـف الطرق ووضع ألغام في طرق العربات – مهاجمة – كمين.. الخ.

س: هل زرتم معسكر الإخوان المسلمين بفلسطين ؟

ج : كثيرًا.

س: هل تذكر الأسلحة التي كانت مع هؤلاء المتطوعين ؟

ج   أنا أعطيتهم أسلحة لمقابلة العدو وذلك تكملة لسلاحهم.

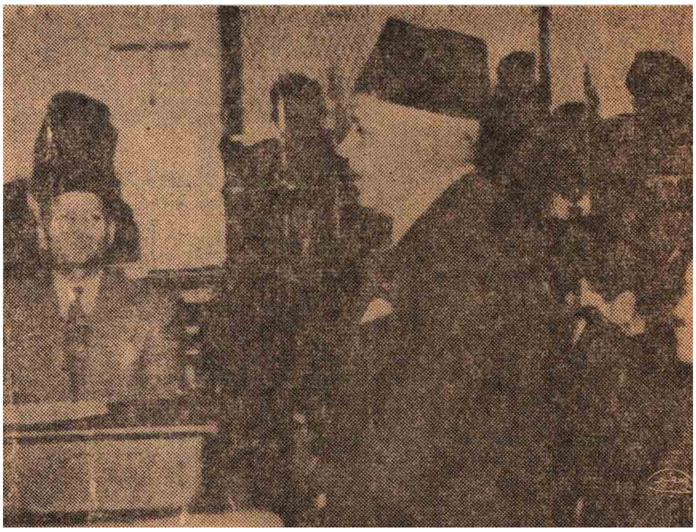
س: كيف وقع اعتقالهم ؟

ج : لسبب من عملهم أنفسهم. وحتى لا يساء فهم ذلك. أقـول إنهم طلبـوا مـني بعد أن بلغهم حادث المرشد إقامة حفلة تأبين للأستاذ البنا فأنا قلت إنني لم أعمـل حفلـة تـأبين للنقراشـي وأنـا هنـا جنـدي ولا أسـمح لأحـد أن يشـتغل بالسياسة فثاروا لهذا فأنا وضعتهم في شبه معتقل وعوملوا معاملـة كريمـة لأنني اعتبرتهم زملاء ميدان.

* * *

- 3 -

شهادة سعادة اللواء أحمد على المواوي بك
قائد عام حملة فلسطين



السيد اللواء أحمد على المواوي بك قائد عام حملة فلسطين
يدلي بشهادته أمام المحكمة

س: عند دخول الجيوش النظامية أرض فلسطين بقيادتكم هل كان يقاتل فيها متطوعون من الإخوان المسلمين ؟

ج : نعم لأنهم سبقوا بدخولهم القوات النظامية.

س: من كان من المتطوعين في معسكر البريج ؟

ج : كان فيه المتطوعون من الإخوان المسلمين.

س: هل استعان الجيش النظامي ببعض الإخوان المسلمين لبعض العمليات الحربية أثناء الحرب كطلائع ودوريات.. وما إلى ذلك ؟

ج : نعم.. استعنا بالإخوان المسلمين واستخدمناهم كقوة حقيقية تعمل على جانبنا الأيمن في الناحية الشرقية وقد اشترك هؤلاء المتطوعون من الإخوان في كثير من المواقع أثناء الحرب في فلسطين وبالطبع أننا ننتفع بمثل هؤلاء في مثل هذه الظروف.

س: ما مدي الروح المعنوية بين الإخوان المسلمين ؟

ج : الواقع أن كل المتطوعين من إخـوان وغـيرهم كـانت روحهم المعنويـة قويـة جدا وقوية للغاية.

س: هل قام المتطوعون بعمليات نسـف في صـحراء النقب بطـرق المواصـلات وأنابيب المياه لفصل المستعمرات الصهيونية ؟

ج : نعم وأذكر بالنسبة لروحهم المعنوية إنهم كانوا يطلبون دائمـا ألغـام للنسـف وكانت في هذا الوقت الألغام لـدينا متعـذرة وأذكـر أن هـؤلاء الإخـوان كـانوا يقومـون بـدوريات ليليـة يصـلون فيهـا إلى النطـاق الخـارجي للمسـتعمرات اليهودية وينزعون من تحت الأسلاك الشائكة الألغام التي يبثها اليهود وسـط هـذه الأسـلاك ويسـتعملونها في تلغيم الطـرق الموصـلة إلى المسـتعمرات اليهودية، وقد نتج من جراء هذه الأعمال خسائر لليهود وتقدم لي من جرائها مراقبوا الهدنة يشتكون من هذه الأعمال التي كانت تعمـل في وقت الهدنـة وغير الهدنة.

س: وهل لم يكن عندكم ألغام ؟

ج : معروف أن الجيش لم يكن عنده معدات كافية.

س: هل كلفتم المتطوعين بعمل عسكري خاص عند مهاجمتكم العسلوج.

ج : نعم العسلوج هذه بلد تقع على الطريق الشرقي واستولي عليهـا إلىهـود أول يوم الهدنة ولهذا البلد أهمية كبيرة جدا بالنسبة لخطوط المواصلات. وكـانت رئاسة الجيش تهتم كل الاهتمام باسـترجاع هـذه البلـد حـتي أن رئيس هيئـة أركان الحرب أرسل لي إشارة هامة يقول فيها: لابد من استرجاع العسـلوج بأي ثمن، فكانت الخطة التي رسمتها لاسترجاع هذا البلد الهجـوم عليهـا من كلا الطرفين من الجانبين فكلفت المرحـوم أحمـد عبـد العزيـز بـك بإرسـال قوة من الشرق من المتطوعين وكانت صغيرة بقيـادة ملازم وأرسـلت قـوة كبـيرة من الغـرب تعاونهـا جميـع الأسـلحة ولكن القـوة الصـغيرة هي الـتي تمكنت من دخول القرية والاستيلاء عليها.

س: وكيف تغلبت القوة الصغيرة ؟

ج: القوة الغربية كانت من الرديف وضعفت روحهم المعنوية وبـالرغم من وجـود مدير العمليات الحربية فيها إلا أن المسألة ليسـت مسـألة ضـباط، المسـألة مسألة روح إذا كانت الـروح طيبـة يمكن للضـابط أن يعمـل شـيئا. لابـد من وجود روح معنوية.

س: ما هي الشروط الواجب توفرها في رجل حرب العصابات ؟

ج : الواقع أن حرب العصابات والتـدريب الـراقي والعـالي الـذي يجب أن يـدرب عليه كل جندي والذين يقومـون بهـذه الأعمـال يجب أن يكونـوا أذكيـاء جـدا ويشترط فيهم الجراءة وسرعة التصرف وعدم الاعتماد على أي قائد صـغير أو كبير والعمليات التي يقوم بها الكومانـدوز لا تعمـل في وضـح النهـار وفي حالة تساوي الطرفين لا توجد وسيلة إلا الاشتغال بالليـل وبطريقـة التسـلل وعلى كل فرد أن يعتمد على نفسه والكوماندوز فكرة حديثة أستخدمت في الحرب.

س: ما هي الخواص الفنية في الدراسات الواجبة لرجل حرب العصابات ؟

ج : غير الشروط التي ذكرتها يجب أن يكون الشـخص مـاهرًا جـدًا في اسـتخدام السلاح ويجب أن يكون مـاهرًا في اسـتخدام الأرض ودراسـة طبيعـة الأرض ويجب أن يشتغل مثل الحيوان المفترس، وهي المهارة في الميـدان، ويجب أن يلم بقراءة الخرائط ومتعـود على أعمـال الكشـافة إلى جـانب هـذا لازم يعرف السباحة وتسلق الأشجار.

س: هل وجد في الجيش كوماندوز ؟

ج : نعم يوجد والفكرة موجودة، وقبل خروجي كنت جمعت النـواة لهـذه العمليـة والجيش فيه حاجة قريبة من كده وهي الدوريات التي تعمل للأستكشاف.

س: هل تعرف عدد المتطوعين من الإخوان ؟

ج : بلغ عدد المتطوعين من الإخوان وغيرهم ما يقرب من عشرة آلاف.

س: هل تعلم أن متطوعي مصر معظمهم من الإخوان ؟

ج : أنا أعرف أن الإخوان كانوا أكثر من الفئات الأخرى.

س: وإلى أي تاريخ استمر دخول المتطوعين إلى فلسطين ؟

ج : أنـا لم أظـل في الجيش لغايـة أخـر الحـرب وإنمـا رجعت في نوفمـبر سـنة 1948م وأنا أرجعت الليبيين لأنهم لم يكن لهم فائدة بالمرة.

س: هل كان للمتطوعين أسلحة خاصة أم كانوا يستوردون أسلحة من الجيش ؟

ج : كـانوا يحضـرونها بمعـرفتهم وأثنـاء الحـرب كنت أعطيهم بعض الأسـلحة والذخيرة كانت تنتهي فكنت أمولهم بالذخيرة وأذكر أنه طلب مني قائد غزة أن أعطيهم بعض مدافع هاون فأمرت بإعطائهم.

س: بعد 15 مايو إلى نوفمبر ألم يدخل متطوعون جدد ؟

ج : أذكر لما ابتدأت أتقدم للشمال كان فيـه الكتيبـة السـابعة وأنـا سـحبت هـذه الكتيبة وحل محلها متطوعون في العريش وكان ذلك بعد 15 مايو.

<u>من النيابة:</u>

س: هل كان من الجائز أن ترد أسلحة إلى المتطوعين غير طريق سـلاح الحـدود أو العريش ؟

ج : لا غير ممكن.

س: ألا يـــذكر حضـــرة الشـــاهد أنـــواع الأســـلحة الـــتي يســـتعملها الفـــدائيون المتطوعون ؟

ج : البندقية والرشاشات الخفيفة تومي أو الهاونات و المورتر.

س: هل كان بين هذه الأنواع القنابل اليدوية ؟

ج : أيوه.

- 4 -

شهادة الصاغ محمود بك لبيب

س: كيف بدأت حركة التطوع ومتى ؟

ج: مسألة التطوع ترجع إلى سنة 1947م عندما عينتني الهيئة العربية العليا قائدًا لمنظمـة شـباب فلسـطين فسـافرت إلى هنـاك وأمكنـني بمسـاعدة الهيئـة العربية العليا أن أكون جيشًا ضخمًا من أهإلى فلسطين ومهمتـه الـدفاع عن أراضي فلسطين ولما أحسن الأنجليز بذلك ورأوا أن هذه الحركة ضد اليهود الـذين يتبنـوهم أمـروني بـالخروج فـأبيت وامتنعت عن الخـروج وأخرجـوني بالقوة وقد تحـدثت الجرائـد عن ذلـك ولمـا رجعت أتصـلت بسـماحة مفـتي فلسـطين ورجـال الهيئـة العربيـة العليـا وأفهمتهم أن فلسـطين لا ينقصـها الرجال بل ينقصها السلاح ووجدت عندهم هـذه الفكـرة كـذلك فسـعوا عنـد الحكومة كي تسمح بجمع السلاح من أجل فلسطين وفي هذا الـوقت صـدر قرار هيئة الأمم بتقسيم فلسـطين وثـار شـعوب العـرب وصـمموا أن تكـون فلسطين عربية فتطوع في هذه الأثناء كثيرون من رجال الإخوان المسلمين واتصلوا بالحكومة والحكومة أعطتهم تصـاريح بجمـع السـلاح وابتـدأ التطـوع

واشترينا السلاح وأخذناه إلى العريش وهناك نصبنا معسكرا وقد بدأ التطوع في ديسمبر 1947م.

س: وكيف كان يسلح هؤلاء المتطوعون وكيف كانوا يمونون ؟

ج : لما تجمعنا بالعريش حضر إلينا أحد ضباط الجيش العظام بالمعسكر وإذا به يسأل نفس هذا السؤال فاستدعيت أحد المتطوعين وقدمته له، فسأله السؤال فكان الرد كالأتي: تسلحنا بفلوسنا – فسأله وما صنعتك فأجابه: أنا مزارع فسأله وهل المزارع يستطيع أن يحضر سلاح ومؤن – فأجابه أنا كان لي جاموسة بعتها وحصلت على مبلغ 52 جنيه أرسلتهم للدكتور خميس رئيس الإخوان في الدقهلية وهو الذي اشتري لي السلاح.

س: وحين دخل المتطوعون أرض فلسطين كم كان عددهم ؟

ج : في بادئ الأمر كان عددهم 300 ثم تضاعف.

س: ما هي الأعمال التي قام بها المتطوعون قبل دخول الجيوش النظامية ؟

ج : كانوا يحاصرون المستعمرات اليهودية ثم يبحثون عن مواسير المياه لقطعها ويمنعوا الماء عن المستعمرات ويهاجموا القوافل إليهودية وأنهم كانوا على الدوام يهاجموا القوافل وأرادوا معرفة قوة المستعمرات وعملوا رسمًا كروكيًا لمستعمرة دير البلح المعروفة بالعبري كفارديروم وكانت على مسافة 800 متر من جهة النصيرات وأرادوا أن يهاجموا هذه المستعمرة وفعلاً هاجموها وقد نجحوا في دخولها واستشهد بعضهم وقد كان هذا الهجوم من نوع الاستكشاف وهذا يحصل دائمًا في حروب العصابات وقد استشهد في هذه المعركة 12 مجاهدًا وجرح كثيرون وبعد هذه المعركة اتصلت بصالح حرب باشا والمرحوم المرشد العام بصفتهم عضوين في هيئة وادي النيل ورئيسها علوبه باشا كي يتصلوا بالحكومة ووزير الحربية ليعطوا المتطوعين قشلاق للتدريب كما فعلت سوريا في شمال أطنه وتكلموا مع علوبه باشا في الموضوع وعلوبه باشا اتصل بحيدر باشا فوعده أنه سيوجد معسكر للتدريب وتوجهت أنا والمسيري بك إلى الهاكستيب وهناك أخذنا المعسكر الذي سيجري فيه التدريب وابتدأ بعد ذلك التطوع بأوسع مدي والحكومة عينت في المعسكر مدربين من الجيش ونادت هيئة وادي النيل بالتطوع وكان أكثر المتطوعين من الإخوان إذ بلغوا حوإلى 90 % من المتطوعين جميعا وفعلا توجهوا إلى المعسكر وتدربوا تدريبًا عمليًا كاملا وانضموا لإخوانهم في فلسطين.

س: علام كان يتدرب المتطوعون في هاكستب في المكان الرسمي الذي أعدته الحكومة فعلا ؟

ج : كان يتدرب المتطوعون على حرب العصابات وحرب حـرب العصـابات ترجـع إلى زمن بعيد إذ يرجع أمرها إلى قدما المصريين ثم الفرس ثم العرب وإنما لم تكن بنظام وفن ولما تقدمت العلوم والفنون أصبح حـرب العصـابات فنـا وكلما تقدم العلم وتقدم الفن تقدم معه كذلك فن حـرب العصـابات نضـرب لذلك مثلا – لمـا اخـترع نوبـل الرجـل السـويدي الـديناميت تقـدم فن حـرب العصابات لوجـود المتفجـرات – وثانيـا – لمـا تقـدم فن الطـيران سـمعنا أن النـازيين أنزلـوا رجـالا فنـيين ومعهم خرائـط و بسـكلتات – ولمـا تقـدم فن البحريــة ســمعنا أن في اليابــان الطوربيــد الحي. والفــدائي لابــد لــه من معلومات وتدريس ناحية روحية وناحية عمليـة فنحن نجـد النازيـة والفاشـية تربي ناحية الفدائية وكذلك في الإسلام تربي هذه الناحية عن طريــق الــدين ولابد للفدائي أن يتربي على الألعاب الرياضية من مصارعة وملاكمة وألعاب أكروباتية ولابـد لــه من ثقافـة فيتعلم فن الطبوغرافيـة وفن الاسـتراتيجيات وفن الهندسة الميكانيكية لكي يمكنه أن يتسلل إلى مبـنى الكهربـاء الخـاص بالإضاءة فيعطـل ماكناتهـا أو إلى مبـنى شـركة الميـاه فيفـك عـددها، فلابـد للفدائي من تعلم هذه الأشياء ـــ والفـدائي إمـا فـدائي لنفسـه وإمـا فـدائي لأمته ــ والأولي هي لإشباع هويته ورغبته الثانية هي الفدائية المثالية الكاملة الفاضـلة، والإخـوان المسـلمون كـانوا من الطـراز الثـاني أي من الفدائيـة الكاملة الفاضلة لأنهم عندما سمعوا عن فلسطين وعما يحدث فيهـا تقـدموا متطـوعين ثم أخـذوا قسـطهم من التـدريب والتعليم في الهاكسـتيب، وفي الهاكستيب تلقوا في المعسكر كيف ينسف المنزل وكيف يتسلل إلى عمارة وكيف يحارب حرب الشوارع وكيف يصنع الديناميت والألغام.

كل هذا مما يتمرن عليه الفدائي أو ما يسمونه الكوماندوز.

س: وهل كانوا يتدربون على المخابرات أيضًا ؟

ج : نعم على كل شئ يفيد الجيش المهاجم فمثلا لازم يعرف ما هـو عـدد رجـال العدو ومن يناصرونه في داخل البلاد.

س: وهل حضرت أنت الدراسات أو كنت تسمع بها ؟

ج : أنا رحت الهاكستيب وعملوا أمامي تجارب وكنت كل وقت أكون معهم.

س: وكم مرة ترددت على الهاكستيب مدة التطوع ؟

ج : ترددت 6 مرات في مدة التطوع.

س: وأين كان مركزكم أنت في ذلك الوقت ؟

ج : نحن وزعنا قواتنا لمحاصرة المستعمرات إليهودية التي يمر عليها الجيش على أبعاد متفاوتة وعملنا على وضع الألغام في الطرق المجاورة للطريق الرئيسي الذي يمر منه الجيش. وفعلا مر الجيش ولم تطلق أي رصاصة واحدة من المستعمرات عليه، ولما دخل الجيش غزة كان معهم متطوعون وتسلم القيادة المرحوم أحمد بك عبد العزيز واحتلوا العوجه والعسلوج و بير السبع والفالوجه وعراق المنشية وبيت جبريل والخليل وبيت لحم ودخلوا في حدود القدس الجديد 3 كيلو وحصل هذا كله في مدي 12 يوما وأصبح جميع النقب تحت إشراف الإخوان المسلمين، وقبل دخول الجيش بثلاثة أيام أو أربعة عملنا معركة وذلك في يوم 11 مايو، هذه المعركة تدل على مبلغ قوة ومتانة المتطوعين الروحية والمادية فقد علمنا بوجود بعض المصفحات اليهودية في مستعمرة اسمها المشبه تبعد عن غزة بحوالى 20 كيلو للجنوب الشرقي فراقب الإخوان هذه الحركة طول الليل وفي الصباح بدأت قافلة المصفحات تتحرك فخرج المتطوعون «بالبويز» وهي عبارة عن مدافع ضد المصفحات ونصبوا كمين في طريق المصفحات وما أن تقدمت المصفحات حتي فتحت عليها النيران من كل الجهات وفي خلال فترة وجيزة كان الفدائيون مسيطرين على الصهيونيين وأخذ الصهيونيون في التسلل فمنهم من قتل ومنهم من نجا وحضر سواقو الإخوان وقادوا المصفحات ومعي الأن صور لهذه المصفحات «وأخرج الشاهد من جيبه خمسة صور وأطلعت عليها المحكمة وأعيدت إليه ثانيًا».

س: وماذا كان عملك أنت بعد حضور أحمد عبد العزيز وتسلمه القيادة بذلك ؟

ج : كنت قائدا معه.

س: ومن كلفك بقيادة الإخوان ؟

ج : أنا تطوعت بنفسي والهيئة العربية كلفتني بقيادة الإخوان وخلافهم.

س: وهل كنت تأخذ أجرا على ذلك ؟

ج : لا.

س: هل كنت من الإخوان ؟

ج : نعم والحمد لله العظيم.

ولما دخل الجيش ووصل الإخوان بيت لحم ودخلوا ثلاثة كيلو داخل حدود القدس الجديدة كانت هناك مستعمرة يهودية كان لابد من أخذها أسمها

مستعمرة «رامات راحيل»، فأمر أحمد بـك عبـد العزيـز أن يسـتولى عليهـا الإخوان، وهذه المستعمرة كبيرة وكانت تمون القدس باللبن والدواجن وقـد تسلق الإخوان المستعمرة لأنها كـانت في مسـتوي عـال واحتلوهـا وإذا بهم يفاجأون ببعض جنود شرق الأردن وقد أخذوا في السلب والنهب ولذلك فكر الإخوان في أن الصهيونيين لابد لهم من العـودة فـتركوا المسـتعمرة لجيش الملك عبد الله وارتد الصهيونيين واستولوا عليهـا وصـمم أحمـد عبـد العزيـز على أخذها مرة أخرى، وفعلا استولى عليها الإخوان.

س: بعـدما دخلت الجيـوش العربيـة النظاميـة فلسـطين وأصـبح القتـال لهـذه الجيوش ثم حدث في نوفمبر سـنة 1948م أن حوصـرت الفالوجـا الحصـار المعروف هل طلب إليك باعتبارك قائدًا للمتطـوعين من الإخـوان أن تجمـع فرقتين من الإخوان وذلك في نوفمبر سـنة 1948م وكـان القصـد من جمـع الفرقـتين هـو فـك حصـار الفالوجـه وأن هـذه كـان بنـاء على خطـة حربيـة مرسومة رؤي فيها أن الإخوان المسلمين خـير من يعهـد إليهـا في فـك هـذا الحصار ؟

ج : نعم حصل وذلك في أوائـل نوفمـبر سـنة 1948م أرسـل لي عـزام باشـا أن أحضر للجامعة العربيـة فتـوجهت إلى هنـاك وقـابلني الأمـير الاي أحمـد بـك منصور ضابط الاتصال وسألته عن سبب دعوتي فأخبرني برغبتهم في جمــع المتطوعين وأن الأومباشي حسين مصطفي مدرب الهاكستيب حاضـر لهـذا السـبب وحضـر الأومباشـي حسـين مصـطفي وطلب كتيبـتين مكونـتين من 1600 من المتطـوعين وسـألته هـل يريـدهم من كـل صـنف فقـال لي إنـه يريدهم من صنف واحد فقط هم الإخوان المسلمون بالذات قلت لــه ممكن فأفهمني أن المسألة مستعجلة لأننا سـندربهم في حـوإلى 15 إلى 20 يومًـا على الأسلحة لفك الحصار على الفالوجه فقلت له ممكن وميسـور وأخـذني معه لوزارة الحربية وهناك قابلني الأومباشي صلاح صبري وعرفني أنه مدير مكتب الوزير وقد عرفه بي، وسألني هـل أخـبروك عن المأموريـة، قلت لـه مستعدين وأخـذوا بعضـهم وقـاموا وغـابوا مـدة عشـر دقـائق ثم عـادوا إلى وسألوني عن موعد حضور المتطوعين وكان ذلك في يوم أحد قلت لهم يوم الخميس يكونوا في الهاكستيب وقصـدت مركـز الإخـوان وطلبت واحـدا من كل شعبة بشرط أن يكون غير مـتزوج وغـير مرتبـط بـأي مسـئولية أو تبعـه وفي مساء يوم الأربعـاء أتصـلت بي جميـع المنـاطق تليفونيـا وسـألوني عن مكاتب التدريب وفي صباح الخميس علمت أن دولـة النقراشـي باشـا رفض هذه الطلب.

س: وهل أعطي الإخوان المتطوعون بعض المتفجرات إلى الجيش المصري عند دخوله فلسطين ؟

ج : نعم أذكر أن الجيش طلب منا بعض المتفجرات وأخـذوا المتفجـرات وقنابـل يدوية وإنما لا أذكر التاريخ بالضبط.

س: وهل كان الإخوان يرسلون منشورات ومطبوعات إلى قواتهم المتطوعة في ميدان القتال ؟

ج : نعم.

س: ما هو مضمون هذه المنشورات ؟

ج : كلها كانت تحث على الجهاد والقتال.

س: ظهرت فكرة عند الإخوان في سنة 1948م لجمع ملابس ومـؤن وغـير ذلـك من طبقات الشعب المختلفـة لإعانـة اللاجـئين فهـل تعـرف شـيئا عن كيـف نشأت هذه الفكرة وعن مصيرها ؟

ج : لما كنا في المعسكرات وكنا نري اللاجئين في حالـة بـؤس لا يمكن تصـورها وكـان المتطوعـون يقسـمون طعـامهم بينهم وبين اللاجـئين حـتي أن بعض رجال الجيش انتقدوا لهذا التصـرف وقـالوا لهم إنهم مجاهـدون يقـاتلون فلا يجـوز لهم أن يضـعفوا أنفسـهم بهـذه الطريقـة ولـذلك نبتت فكـرة قطـار اللاجئين وذلك بأن يقوم قطار من أسوان لغاية مصب النيل ليجمع من أهـل المروءة والشهامة ما يزيد على حاجتهم من أي شئ واتصل الإخوان برجـال الحكومة وأخذوا تصريحًا من دسوقي أباظة باشا وزير المواصلات بذلك وأما في القـاهرة فقـد أطلـق الإخـوان عـدة عربـات تجـوب القـاهرة وإذا بهم يفاجأون بأن وزير الداخلية أمر بالامتناع عن هذا العمل المزدوج، وكان لهـذا الأمر أسوأ تأثير في النفوس لأن الأمر كان مقصودا به الإخوان.

س: حضرتك ذكرت أن المتطوعين كانوا يمنحـون تصـاريح بجمـع أسـلحة ومـؤن لفلسـطين فهـل كـان الأمـر كـذلك بعـد 15 مـايو أي بعـد دخـول الجيـوش النظامية فلسطين ؟

ج : نعم.. كان الإخوان يتسلحون بوسائلهم الخاصة.

س: ومن أي طريق كانت الذخيرة ترد المتطوعين ؟

ج كانت الذخائر ترد لهم بوسائلهم الخاصة ومن مالهم الخاص.

س: بأي وسيلة كانت تنقل الذخائر إلى فلسطين بعد دخول الجيوش النظامية ؟

ج : كان مصرحًا لهم بذلك وكان معهم تصاريح وكانت الأسلحة ترد من الصحراء إلى مصر ومنها على القنطرة مباشرة.

س: ومن الذي يوصل هذه الأسلحة ؟

ج : يحضر متطوعون جدد ومعهم الأسلحة.

س: هل سافر أحد من متطوعي الإخوان إلى فلسطين بعد 15 نوفمبر سنة 1948 بعد ضبط السيارة ؟

ج : نعم.. سافر الإخوان من القاهرة بالطيارة بناء على طلب مستعجل ولا أعرف عددهم.

س: كم طيارة سافرت ؟

ج : راحوا على دفعتين ولا أعلم عدد الطيارات في الأولي سافروا على عمان ومن هناك نزلوا بيت لحم وفي تاني دفعة سافروا بالطيارة أيضًا فمنعتهم حكومة شرق الأردن من النزول فعادوا ثانية إلى مصر.

س: من الذي استدعاهم ؟

ج : قيادة بيت لحم.

س: لأي غرض استدعوا ؟

ج : كانوا في شدة الحاجة إليهم والحالة كانت متحرجة.

* * *

- 5 -

شهادة الأستاذ محمد حامد أبو النصر
عضو مجلس بلدي منفلوط

س: هل ساهمت في جمع الأسلحة لحرب فلسطين ؟

ج: نعم في أواخر سنة 1947م وجهت إلى الدعوة من حضرة صاحب الفضيلة المرشد العام للإخوان المسلمين رحمه الله واجتمعنا في المركز العام لجماعة الإخوان المسلمين بالقاهرة وتقدم لنا الشيخ صبري عابدين عضو الهيئة العربية العليا وممثل سماحة مفتي فلسطين الخاص وذكر لنا الحوادث التي تقع في فلسطين وأبان لنا الفظائع التي ترتكب فيها وطلب منا أن نعاون المجاهدين وذلك بشراء الأسلحة وبالتبرع بها كل على قدر

استطاعته وطبعا أثار فينا الحمية وأبكانا مما يقع في فلسطين وانصرفنا كل إلى بلده وأخذت أتصل بالناس الذين أعرفهم من العرب بالصحراء الغربية واتصلت بواحد منهم أسمه الشيخ محمد حمد رمضان شيخ عرب بني شعران بمركز منفلوط ليجمع لنا أسلحة وبالفعل أحضر كمية من الأسلحة وقد علم بوليس مركز منفلوط بهذا ووضع يده على الأسلحة وقبض على الشيخ محمد حمد رمضان وقدمه للنيابة فتقدمت أنا لحضرة وكيل النيابة وقلت له إن هذا السلاح نجمعه من أجل فلسطين.

فسألني عن دليلي قلت له لا بأس اتصل بأعضاء الهيئة العربية وسماحة المفتي وأجل النظر في القضية فأعطانا فرصة وسافرت إلى القاهرة حيث قابلت فضيلة المرشد العام للإخوان وقصصت عليه المسألة فاتصل بسماحة المفتي وأبلغه الأمر فاتصل سماحته بسعادة عبد الرحمن عزام باشا وأظنه اتصل بسعادة النائب العام فأفرج عن الشيخ محمد حمد رمضان وقد كان يحضر التحقيق معنا حضرة الأٍستاذ طاهر الخشاب بك المحامي وحفظت القضية وسلم السلاح للهيئة العربية.

س: وما مقدار هذه الصفقة من الأسلحة وما هو ثمنها ؟

ج : علمت أن هذا السلاح حوإلى 40 من البنادق ومسدسات لا أعلم عددها ونظارة للجيوش ومدفع.

س: في أي تاريخ حصلت هذه الواقعة التي ذكرتها ؟

ج : حصلت على ما أتذكر في شهر يناير سنة 1948م.

س: وما مقدار ثمن هذا السلاح ؟

ج : أنا دفعت للشيخ محمد حمد رمضان حوإلى مبلغ 300 جنيه.

س: هل تعرف قيمة الثمن المتفق عليه ؟

ج : كان مقدرًا في ذلك الوقت مبلغ ثلاثة أو أربعة آلاف جنيه وإنما أنا دفعت مبلغ 300 جنيه ولا أعرف كيف دفع الباقي.

س: وفي أي وقت وجهت إليك الدعوة للاجتماع بالإخوان ؟

ج : على ما أذكر سنة 1947م ولا أتذكر الشهر.

س: ومتى تم جمع الأسلحة ؟

ج : أحضرت السلاح قافلة وصلت قبيل حصول الضبط بحوالي أربعة أيام تقريبًا.

س: وفي أي وقت حصل اتصالك بالمرشد العام ؟

ج : في أوائل يناير.

س: وهل أنت من جماعة الإخوان المسلمين ؟

ج : نعم ولا أزال.

س: وهل هناك حوادث أخرى خاصة بجمع الأسلحة ؟

ج : لما النيابة أفرجت عن الأسلحة بالطبع هذا الشيء شجعني وقصدت بني مزار وتجولت في بعض القرى المجاورة واتصلت بجماعة من الأعراب وجمعت سلاحًا بالثمن وأثناء الجمع حضر الأستاذ فوزي عبد اللطيف وكان معاون بوليس بني مزار وسألني ماذا تصنع قلت له أجمع سلاح لفلسطين فأخذني ومعي الأسلحة في لوري وذهبنا إلى المركز وشرحت المسألة لحضرة المأمور وهذه الحادثة حدثت حوإلى شهر مارس سنة 1948م وقلت له إن السلاح لفلسطين وقال هو أنا سأصدره فاتصلت بالشيخ حسن البنا وأبلغته بالواقعة وقال لي سأرسل أحمد حسنين أفندي لاستلام الأسلحة ودفع النقود وفي الوقت نفسه كنت أنا كلفت بعض العرب في بني مزار بجمع أسلحة وفي هذه الأثناء حضر لي الذي كنت قد كلفته وقال لي أن الأسلحة ضبطت في نقطة الحدود عند صدفا الغار فذهبت لمقابلة ضابط النقطة فلم أجده وأخيرًا حضر في اليوم التالي أحمد حسنين وهو الشخص الذي وعد المرشد العام بإرساله وقابل حضرة المأمور وأخذ كشفا بالمضبوطات وقال للمأمور صدرها لنا إلى القاهرة ونحن نستلمها من هناك وفعلا صدرت واستلمها في القاهرة وأعطي ثمن هذه الأسلحة إلى الأعراب الذين أحضروها وهذه الحوادث الثلاث هي التي ضبط فيها السلاح فقط أما أنا فقد واصلت جمع الأسلحة ولم تضبط معي بعد لأن شخصيتي أصبحت معروفة.

س: ما هو تاريخ آخر أسلحة ضبطت ؟

ج : في شهر إبريل سنة 1948م.

س: ومن كان يدفع ثمن هذه الأسلحة ؟

ج : الهيئة العربية لأن الأسلحة كانت تجمع لحسابها.

س: هل هناك سلاح جمع بعد دخول الجيوش النظامية أرض فلسطين ؟

ج : أذكر حادثة ـ لما حوصرت القدس دخلت مرة لأقابل فضيلة المرشد العام في مركز الإخوان فقال لي إن القدس قد حوصرت وسيضع الصهيونيون أيديهم عليها فالموقف يحتم علينا جمع أكبر مقدار من الأسلحة والرجال حتى لا نسقط وأنا سأصدر التعليمات للإخوان أن يجمعوا ما يمكنهم جمعه من الأسلحة وسأتولى أنا قيادة كتيبة المتطوعين للقدس وأخذنا نجمع الأسلحة.

س: هل هذا حصل بعد دخول الجيوش النظامية فلسطين أم قبله ؟

ج : بعد تاريخ دخولها أي في شهر يونيه أو يوليه وهذا مؤكد.

س: متى انتهى نشاط جمع الأسلحة ؟

ج : تقريبًا في شهر يوليو سنة 1948م، ولم تجمع الأسلحة بعد ذلك.

س: والأسلحة التي ضبطها المأمور صدرت لمن في القاهرة ؟

ج : المأمور الذي صدرها لأن أحمد حسنين أفندي هو الذي قال له صدرها لنا لمصر ولكن لا أعرف بأسم من صدرت.

* * *

- 6 -

شهادة الحاج حسن حسني المنياوي

س: أذكر لنا كيف بدأ نشاطك من أجل التطوع لفلسطين ؟

ج : تطوعت في ديسمبر سنة 1947م في حرب فلسطين لغاية أبريل سنة 1948م.

س: وهل كنت طول هذه المدة في فلسطين ؟

ج : نعم وإنما حضرت مرة واحدة لمصر وذلك في شهر فبراير سنة 1948م ومكثت بها ستة أيام فقط ثم عدت لفلسطين وكان سبب حضوري لمصر هو حاجتنا لبعض طلبات الأسلحة والذخائر وأخذت في جمعها في تلك الأيام من الأرياف وجمعتها ثم سلمتها للهيئة العليا وسافرت لفلسطين وهي سلمتها لي هناك.

س: وهل استأذنت المسئولين في الحكومة المصرية في جمع هذه الأسلحة ؟

ج : نعم استأذنتها: لما صدر قرار التقسيم في شهر ديسمبر سنة 1947م انتظرت حتى يفتح باب التطوع فلم أجد أحدًا تطوع من الهيئات إلا جماعة الإخوان فقصدت فضيلة المرشد العام وكاشفته بغرضي فقال لي ينقصنا الأسلحة قلت له ممكن جمعها من الأرياف فقال لي تعال هنا باكر وفي اليوم التالي قابلته فسلمني خطاب من عزام باشا إلى الأميرالاى محمد يوسف بك الخاص بالشئون العربية ـ ومضمون هذا الخطاب: حامل هذا الموضوع محادثتنا تليفونيًا ـ فذهبت لمحمد يوسف بك فسألني حاتجمع السلاح منين قلت له من الأرياف فقال لي أجمع الأسلحة وإذا حصل أي شئ فأنا موجود والذي تجمعه سلمه للهيئة العربية العليا.

س: متى كان الحديث الذي دار بينك وبين الشيخ حسن البنا ؟

ج : في أواخر ديسمبر سنة 1947م بعد قرار التقسيم.

س: متي نفذت جمع الأسلحة بعد هذا الحديث ؟

ج : ما بين 25 ديسمبر سنة 1947م وبقيت أجمع من كل البلاد بأي ثمن.

س: ومتي انتهى نشاطك ؟

ج : في شهر أبريل سنة 1948م لأني أصبت.

س: ولما توجهت لمحمد يوسف بك هل كنت بمفردك ؟

ج : كان معي شخص آخر وأظنه من الإخوان.

س: ومن كان يدفع الثمن ؟

ج : كنت أدفع من مالى الخاص وقد دفعت حوالي 1500 جنيه شخصيا وكنت أترقب هذه الحالة للاستشهاد واستدعيت لهذه العملية من سنة 1936م.

[هنا أحمد محمد حسنين أفندي المتهم الخامس استأذن في سؤال الشاهد فأذنت له المحكمة فسأله بالآتي]:

س: هل تسلمت خطاب عزام باشا من فضيلة المرشد العام أم من عزام باشا ؟

ج : إن الذي سلمني الخطاب هو المرشد والخطاب من عزام باشا إلى محمد بك يوسف.

من الأستاذ زكي عريبي:

س: ومبلغ الـ 1500 جنيه ثمن الأسلحة التي اشتريتها وتبرعت بها هل دفع دفعة واحدة أم على مرات ؟

ج : لا على دفع.

س: ولمن تبرعت بهذا التبرع ؟

ج : أنا اشتريت بالمبلغ أسلحة وتبرعت بها للهيئة العربية.

* * *

هذا هو تاريخ كفاح فلسطين الذي جاء في المسلسل أن الإخوان افتعلوه ليداروا به على الآثار السيئة لمقتل الخازندار، علمًا بأن مقتل الخازندار كان في مارس سنة 1948م، وكفاح الإخوان في فلسطين بدأ من سنة 1938م.

هذا هو كفاح الإخوان في فلسطين الذي جرؤ أحد أمراء التعذيب في السجن والمتهم بقتل كمال سنانيري أن يقول في الفصل الخاص بفلسطين «أنهم لم يقدموا شهيدًا واحدًا ولم يطلقوا رصاصة».

أعجب.. والله من جرأة ووقاحة وبجاحة هذا الكذاب الأشر، وأنه بـدلاً من أن يبكي على جرائمه ويسأل الله التوبـة.. لا يـزال يمـارس الكـذب، ولكن التعـذيب يحيل من يمارسه إلى أن يصبح مسخاً دميمًا يمكن أن يأتي منه أي شيء.

* * *

العنف في تاريخ الإخوان المسلمين

تأخذ الهيئات والدعوات أساليبها من طبيعتها، فإذا كانت طبيعتها سلمية فإنها تسلك السلم، وإذا كانت هجومية صراعية، فإنها تسلك طريق العنف والقتال.

والإخوان المسلمون دعوة إسلامية تستلهم وسائلها من طبيعة الإسلام، والإسلام دعوة هداية، ودعوة الهداية لابد وأن تكون سلمية لأن الهداية لا تفرض بالقوة، وإنما تتقبل بالإيمان، ولذلك فإن طبيعة الإسلام هي السلام، ويفترض في كل دعوة إسلامية أن تكون دعوة سلام.

ولكن الدعوات لا تعيش في سماء، ولكن على الأرض، ولا تدعو ملائكة ولكن بشر، والمجتمع البشري ليس إلا انعكاسًا للطبيعة البشرية التي ألهمها الله فجورها وتقواها، ولهذا فقد لا تجد دعوة الهداية طريقها مفتوحًا أو مرحبًا، وقد كانت صيحة الرسول الأولى هي «خلوا بيني وبين الناس»، لأن قريش كانت تحول بينه وبين الاتصال بالناس، وترسل في أثره من يقوله لمن اتصل بهم: لو كان فيه خير لكان قومه أولى به فينفض عنه الناس.

ولكن حتى هذا، فإنه لا يحمل الإسلام على العنف، لأن الرسول لا يمكن أن يسلك سبل العنف ليبلغ الناس رسالته، لأن هذا يخالف طبيعة الإسلام كما قلنا، وإنما عليه أن يبذل غاية الجهد، وإن لم يستطع فقد أعذر إلى الله، بل إن الله عاتبه لما ألح في الدعوة على كبار قريش وترك رجلاً ضعيفاً أعمى جاء ليسأله، وقال له بصريح العبارة «وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى».

إذن السبيل الطبيعي للدعوة الإسلامية هو السلام، والقاعدة الحاكمة هي «ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ».

ولكن ماذا يحدث عندما تهاجم الدعوة، ويهاجم أصحابها بمختلف وسائل العنف، فيُخرجون من ديارهم وتُشن عليهم حرب تريد «فتنتهم» أي إعادتهم إلى ديانه الشرك وترك الإسلام ؟

هنا يتحدد الموقف، إما المقاومة.. وإما الاستخذاء والتسليم، إن المقاومة تكون دفاعًا مشروعًا عن حرية الاعتقاد، عن العرض، عن الشرف، عن الأرض، عن كل ما يصطحب بالإنسان من قيِّم أو عتاد.

والقتال ليس لهوًا، وإذا كان عليك أن تقاتل فيجب أن تقاتل بكل جدية.. وكل صرامة، وإلا فهي الهزيمة التي تعني الأسر والعار وفقدان الحرية.

من هنا أباح الإسلام القتال دفاعًا عن الحرية والكرامة ونزلت أول آية أذنت بالقتال «أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ».

هذه المعاني كانت واضحة تمامًا في ذهن حسن البنا، بل كان حسن البنا من العمق بحيث فرق بين القوة، والثورة (التي يمكن للعنف أن يرتبط عادة بها).

وفي مقطع واضح في خطابه في المؤتمر الخامس (1938م) عرف القوة وميز بينها وبين الثورة والعنف:

«أما القوة فشعار الإسلام في كل نظمة وتشريعاته، فالقرآن ينادي في وضوح وجلاء «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ)»، بل إن القوة شعار المسلم حتى في الدعاء وهو مظهر الخشوع والمسكنة واسمع ما كان يدعو به النبي في خاصة نفسه ويعلمه أصحابه وينادي ربه: (اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال)، وهكذا استعاذ رسول الله من كل مظهر من مظاهر الضعف: ضعف الإرادة بالهم والحزن، وضعف الإنتاج بالعجز والكسل، وضعف الجيب والمال بالجبن والبخل، وضعف العزة والكرامة بالدين والقهر...».

ثم يستطرد فيقول:

«والإخوان المسلمون أعمق فكرًا، وأبعد نظر من أن تستهويهم سطحية الأعمال والفكر فلا يغوصوا في أعماقها، ولا يزنوا نتائجها وما يقصد منها وما يراد بها، فهم يعلمون أن أول درجة من درجات القوة العقيدة والإيمان، ويلي ذلك قوة الوحدة والارتباط ثم بعدها قوة الساعد والسلاح، ولا يصح أن توصف جماعة بأنها قوية حتى تتوفر لها هذه المعاني جميعًا، فإنها إذا استخدمت

قوة الساعد وهي مفككة الأوصال، مضـطربة النظـام، ضـعيفة العقيــدة، خاملـة الإيمــان، فسيكون مصيرها الفنـاء والهـلاك..».

ثم يتساءل الإمام البنا:

«ولكن، هل أوصى الإسلام ــ والقـوة شـعارنا ــ باسـتخدام القـوة في كـل الظروف والأحوال، أم حدد لذلك حـدودًا واشـترط شـروطاً ووجـه القـوة توجيهـا محددًا ؟ وهل تكون القوة أول علاج أو أن آخر الـدواء الكي ؟

ويجيب على هذه الأسئلة:

«إن الثورة أعنف مظاهر القوة، ومن هنا كان نظر الإخوان المسلمين إليهــا أدق وأعمق، وبخاصة في وطن كمصر جرب حظه في الثورات فلم يجن منهـا إلا مــا تعلمــون، وبعــد كــل هــذه التقــديرات أقــول لهــؤلاء الســائلين: إن الإخــوان المسلمين يستخدمون القوة العلمية حيث لا يجدي غيرها، وحيث يثقـون أنهم قـد اسـتكملوا عـدة الإيمـان والوحـدة، وهم حين يسـتخدمون هـذه القـوة سـيكونون شرفاء، صرحاء وسينذرون أولاً وينتظرون بعد ذلك، ثم يقدمون في كرامة وعـزة ويحتملون كل نتائج موقفهم هذا بكل رضا وارتياح.

أما الثورة، فلا يفكر الإخوان المسلمون فيها، ولا يعتمدون عليها، ولا يؤمنون بنفعها ونتائجها، وإن كانوا يصـارحون كـل حكومـة في مصـر، بـأن الحـال إذا دام على هذا المنوال، ولم يفكر أولـو الأمـر في الإصـلاح العاجـل السـريع، فسـيؤدي ذلك حتمًا إلى ثورة ليست من عمل الإخوان، ولا من دعوتهم...».. (انتهى).

إن الإمام البنا عندما قال إن القـوة من شـعار الإسـلام، فإنـه لم يـرد بهـا لا الثورة، ولا القتال، ولا العنف، ولكنه أراد أن تكـون عزيـزة.. متمكنـة.. بعيـدة عن الضعف والقصور، ووسائل القوة قـد تكـون التمرينـات الرياضـية ومختلـف صـور العناية بصحة الجسم، وقوة الدولـة تكـون بـالعلم، وإشـاعة المعرفـة بين النـاس واتخاذ أسباب القوة بما في ذلك «رِبَاطِ الْخَيْلِ» رمـزًا إلى مـا يتخـذ في الحـرب من وسائل، ويبرز ذلك صراحة «تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَـدُوَّكُمْ وَآخَـرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ»، والإسلام هنـا يـتركز على مبـدأ هـو أن الضـعف يغـري بالعدوان، فغذا وجدت دولتان إحداهما ضعيفة والأخرى قوية، فالاحتمال الأكثر هو أن الدولة القوية ستحارب الدولة الضعيفة وتستلحقها، ولكن لو أن الدولـة كـانت قويـة فـإن ذلـك سيصـد كـل فكـرة للعـدوان عليهـا، وهـذا هـو المقصـود بكلمـة «تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَـرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُـونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ» في الآية.

* * *

الخط المقرر للإسلام هو أنـه كـدعوة هدايـة لابـد أن يسـلك طـرق الـدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن أي اختلاف لابد أن يعـود إلى أسـباب طارئـة أو يعود إلى طرف آخر أو يكون انحرافاً عن الخط السليم أغرت بـه الشـبهات كمـا في حالة الشهيد سيد قطب عندما تصور الجهاد وسيلة لإقامة الحاكمية الإلهية.

وقد ظل الإخوان المسلمون طوال العشرين عامًـا ـــ هي كـل حقبـة حسـن البنا ــ يعيشون في سلام مع مجتمعهم الليـبرالي رغم مـا كـان فيـه من نقص أو عدم الالتزام بما يوجبه الإسلام، لأنهم رأوا أن إصلاح ذلـك يمكن أن يتم بوسـائل الإصلاح السلمية وعلى مراحل ودرجات.

ولكن عنـدما أعلنت وزارة السـعديين الـذين غلبت عليهم شـقوتهم الأحكـام العرفيـة، فـإن هـذا كـان نهايـة المرحلـة الليبراليـة وبـدأ عهـد الاسـتبداد والحكم العرفي.

والذي كان سبب إعلان الأحكـام العرفيـة هـو أن مصـر أعلنت الحـرب على إسرائيل، وهذا نفسـه كـان يـدفع بـالإخوان المسـلمين إلى بـدء بعض ممارسـات العنف لأن عاملاً جديدًا طرأ على الساحة، ولا يمكن التعبير عنه إلا بالعنف، وكـان يمكن احتواء هذه الممارسات في الأحوال العادية، ولكن إعلان الأحكـام العرفيـة أعطى الحكومة سلطة القمع، ولعدم ترويهـا ودراسـتها لكافـة الاحتمـالات، فإنهـا أقـــدمت على أعظم حماقـــة يمكن لعهـــد أن يقترفهـــا ألا وهي حـــل الإخـــوان المسلمين.

من هذه الممارسات التي يعترف بهـا الإخـوان، وقـد لا يعلمهـا السـيد وحيـد حامد:

(1) في 11/6/1948م انفجار حارة اليهود نفذه قسم الوحدات (تم بعد توقيع الهدنة الأولى في حرب فلسطين).

(2) في 11/8 و 17/8 و26/8/1948م: أطلـق محمـد أمين عـوض الرصـاص على يهودي.

(3) في 22/9/1948م: انفجار ثان في حارة اليهود نفذه قسم الوحدات.

(4) في 28/9/1948م: انفجار أسفل محل شيكوريل نفذه قسم الوحدات.

(5) في 12/11/1948م: نسف شركة الإعلانات الشرقية بشارع جلال، وكـان مديرها هنري حـاييم الصـهيوني، وتصـدر عنهـا لابـورص إجيبشـيان باللغـة

الفرنسية، ويديرها جان بيجون (عمل في فلسطين بعد ذلك)، وجريدتي إجيبشيان ميل وإجيبشيان جازيت.

هذه أحداث عنف اقترفها الإخوان واعترفوا بها، وكما هو واضح فكلها استهدفت مؤسسات صهيونية في مصر، وكانت تدعم الصهيونية التي تقتل وتشرد العرب عن منازلهم وتستولى عليها في فلسطين.

ولكن هناك ممارسات أخرى لم تستهدف مؤسسات صهيونية ولكن أشخاص ومؤسسات مصرية عامة كان اسوأها مقتل القاضي الخازندار في مارس 1948م.

ومن هذه الممارسات محاولة تفجير دولاب بإحدى المحاكم فيه ملف لقضية للإخوان، وقد فشلت المحاولة لأن المكلف بوضع القنبلة سلمها إلى أحد السعاة الذين شك فيها فخرج بها وقذفها في الخارج فانفجرت وأصابت شظاياها بعض المارة.

وهذه الممارسة محاولة خاطئة سيئة تماثل مقتل الخازندار في أنها تمس القضاء، وحدثت الحالتان (مقتل الخازندار ومحاولة تفجير دولاب النيابة بالمحكمة) دون موافقة، أو علم المرشد، وقد غضب غضبًا شديدًا بالنسبة للمحاولة الثانية التي حدثت وهو في خضم محاولات التوصل إلى تسوية مع المسئولين، وكتب بيانه «ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين» الذي يصور مدى استنكاره لهذا الفعل.

ونحن لا ندافع عن هذه الأعمال، ولكن نوجه النظر إلى أنها حدثت في الفترة التي مارس فيها النقراشي إرهابًا لم يسبق في المجتمع المصري وتخبطت سياساته وظفر بعداوة حزب الوفد، وبالطبع الإخوان، فلم يكن له أي علاقة بالشعب، وقد وصف كاتب لا يمكن أن يوصف بالتحيز إلى الإخوان عهد «السعديين» هو الأستاذ سلامة موسى في مقال له نشر بمجلة «صوت الأمة» تحت عنوان «ماضيكم.. قاضيكم»(*):

«لن يستطيع أحد فضلاً عن حزب أن يتخلص من تاريخ الماضي وإذا هو حاول ذلك فإن الشعب لن ينسي فالماضي الذي يحكم على سياسية الحزب وأعماله، وأيضًا على أخطائه وجرائمه.

(*) صوت «الأمة»، العدد 1045، الاثنين 6 ربيع الأول 1369هـ ــ 26 ديسمبر 1949م.

والشعب أيضًا سوف يحكم على هذا الحزب أو ذاك الآخـر بمـا عـرف عنـه في الماضي.

فما هو ماضي حزب السعديين، أو ما هو القاضي الذي يحكم الآن عليهم ؟

هو أن السعديين عمدوا أول ما عمدوا إلى إلغاء المجانية من المـدارس كـأنهم كانوا يرمون إلى تعميم الجهل بدلاً من تعميم العلم، ولم يبالوا بأزمة الحرب وضـيق الآباء والغلاء الفاحش، فأضافوا على كل ذلك مصروفات التلاميذ والطلبة.

هذا هو باكورة أعمالهم التي ابتدأوها منذ الشهر الأول من حكمهم.

ثم وجدوا أن الوفد قد نهض قبلهم بإصلاح ديمقراطي هو إجازة تأليف النقابات وجعل النقابة شخصًـا معنويًـا، ومثـل هـذا الإصـلاح كـان جـديرًا بـأن يسـير بنـا نحـو السعديين مازالوا يكافحون النقابات حتى جعلوها اسمًا بلا مسمي، إذ سلطوا عليهـا البوليس السياسي يتعقب زعماءها بالمراقبـة والقبض والتشـريد حـتى كـادت هـذه البذرة الطيبة أن تموت ونرجو ألا تموت.

ثم بعد ذلك رأينا المرحـوم النقراشـي باشـا يقصـد إلى ليلـك سـكس ويطـالب باستقلالنا ولكن بلا ذكاء وبلا تبصر، حتى أن مكادو جان مندوب بريطانيا وبخه علنــاً، وقال بحق أجل بكل حق، إن الصحافة في السودان تحظى بحرية أوسع مما تحظى به الصحافة في مصر وكيف لا يقول هذا ؟ وقد رأى أن حكومة السعديين قد حملت النيابة على القيام بأربعمائة تحقيق مع الصحفيين في أقل من سنتين.

ثم نكب السعديون مصر بالأحكام العرفية، فرأينا الاعتقالات وتعطيـل الصـحف وتعذيب المعتقلين واستخدام هذه الأحكام في غير ما خصصت له من شئون القتال في فلسطين، بل لقد رأينا البوليس السياسي يكبس المكتبـات العامـة ويـنزع منهـا الكتب الإنجليزية أو الفرنسية بدعوى أنها لا تليـق لشـعبنا أو أن شـعبنا لا يليـق لهـا، كأن الغاية هي نشر لجهل وكأن الثقافة خطر.

ورأينا الرقابة على الصحف تتناول حـتى المقـال الأدبي وحـتى الصـورة وحـتى الخبر الـذي لا يتصـل أدنى اتصـال بالقتـال في فلسـطين وهـذا إلى غرامـات ماليـة كلفتنا أكثر من مائة وثلاثين مليون جنيه.

ومـع هـذه الغرامـات المليونيـة لم يشـيد السـعديون مـدارس جيـدة تكفي لاستيعاب أبنائنا، ولم يخرجوا العدد الكافي من المعلمين للتعليم ولذلك رأينـا أبنائنـا مشردين هذا العام ورأينا وزارة سرى باشا تحـاول القيـام بإسـعافات وقتيـة مقابـل بناء الفصول لخشب الورقة.

وأخيرًا هل تـذكر للسـعديين ماضـيهم أي قاضـيهم في فـرض الحصـار الحـربي على الجامعات وتفتيش الطلبة كأنهم قـد أصـبحوا في معتقلات ؟ وهـل تـذكر أيضًـا

كوبري عباس الذي ضرب فيه الطلبة بالرصاص حتى أصبحت مأساته تذكرنا بمأساة دنشواي ؟ هذا هو الماضي، هو القاضي للسعديين.

ومع ذلك لا يزالون يذكرون الوفد بالسوء وبالافتراء، فما هو الوفد ؟ حسبنا أن نذكر الوزارة الوفدية الأخيرة فيما بين 1942م و1944م.

نذكر أن الوفدين تسلموا الحكم والألمان على أبواب الإسكندرية وطائراهم تئزأر أزيزا مزعجًا فوق القاهرة والإسكندرية والفيوم ليل ونهار، وكانت البلاد مع ذلك تعاني الجوع لقلة المؤن، فعمدت الوزارة الوفدية أول ما عمدت إلى توفير الخبز وعلى أداء المعونات لمكافحة الغلاء ولم تلهها حالة الحرب المزعجة عن الإصلاحات، فشرعت مشروع الوحدات الصحية للفلاحين لتوفير المياه النقية، وارتكبت في نظر السعديين الجريمة الكبرى في حق الوطن وهي جعل التعليم بالمجاني، وقد سارع السعديون إلي محو هذه الجريمة وإعادة المصروفات ما قلنا.

وكذلك ارتكب السعديون الجريمة الكبرى الأخرى وهي جعل النقابة أساسًا للإصلاح الاجتماعي ولتأمين العمال من الإرهاق والظلم، فما زالوا بهذه النقابات حتى زيفوها وجعلوها اسمها على غير مسمى، وشرع الوفديون في العمل لاستقلال القضاء هذا الاستقلال الذي نرجو أن تنعم بآثاره.

وأخيرًا أقول وفي حلقي غصة على ذلك الرجل الوفدي الأمين عبد الواحد الوكيل الذي كان يسهر إلى منتصف الليل في الوزارة، وقد مات شهيدًا عقب زيارته للصعيد للإشراف على معالجة الفلاحين الذين أصيبوا بالملاريا، وعاد إلى القاهرة وهو يحمل جرثومتها التي قضت عليه بعد أيام.

هذا هو الماضي هذا هو القاضي لكل من الوفديين والسعديين ولعنة الله على من خانوا الوطن والحرية والشرف، وعلى من ضربوا أبناء الشعب بالرصاص وأجاعوهم وحرموهم من التعليم».

* * *

بل الأكثر من ذلك، فقد اتضح أن القرار العسكري الذي تم بموجبه حل الإخوان لا يقتضي الحل، وإنما منع الاجتماعات وصدر حكم محكمة القضاء الإداري، دائرة وقف التنفيذ، المشكلة برئاسة محمد سامي مازن بك، جلسة 17 سبتمبر سنة 1951م، وجاء في الحكم:

وحيث أن مناط النظر في هذا النص هو تخويل الحاكم العسكري في الهيمنة والإشراف على الاجتماعات، فللحاكم العسكري له منع أي اجتماع قبل عقده كإجراء وقائي، وله حل الاجتماع بعد عقده كإجراء علاجي.

ومن حيث أن المقصود بالاجتماع هو تواجد لفيف من الأشخاص في مكان واحد، ولهذا يكون مؤدى السلطة الممنوحة للحاكم العسكري وفقاً للنص المشار إليه هو منع هذا التواجد والحيلولة دونه أولاً ثم حله إذا ما تم وتفريقه ثانيًا.

ويظهر من ذلك أن سلطته في حل أية جمعية لا تشمل أوتمتد إلى إعدام الجمعية وإنهاء حياتها القانونية جملة، يدل على أن الشارع قرن الحل باستخدام القوة، والقوة بطبيعتها إنما تتوجه للاجتماع الذي هو مظهر مادي، لا إلى الشخصية التي هي وضع أو تكييف قانوني ويؤكده الألفاظ التي استخدمها الشارع، فقد استخدم كلمتي المنع والحل، وهما ذواتا مدلول معين مصدره وبنيته في القانون رقم 14 لسنة 1923م الخاص بالاجتماعات العامة والذي صدر معاصرًا للقانون رقم 15 لسنة 1923م الخاص بالأحكام العرفية، ولو كان يتضمن الحل لكان من اللازم أن ينص على مصير الأموال المصادرة.. إلخ.

واستطردت المذكرة أنه لو أجاز القانون الحل لكان من الممكن أن تحل السلطة الأحزاب السياسية التي لا تخرج عن كونها جمعيات ذات غرض سياسي، بل إن الأمر العسكري 63 نصت المادة الأولى منه على إغلاق الأمكنة المخصصة لنشاط الجمعية، وحظرت على أعضاء مجالس إداراتها مواصلة نشاطها وعقد اجتماعات لها أو لإحدى شـُعبها.

ومن حيث أنه بمقتضى ما سبق تكوِّن جمعية الإخوان كشخص معنوي باقية رغم صدور الأمر رقم 63 محتفظة بكينونتها القانونية، ويحق لها بسقوطه أن تسترد نشاطها وتعود سيرتها الأولى» انتهى الحكم.

* * *

كل الذين كتبوا عن هذه النقطة أعادوا انحراف النظام الخاص إلى تسرع أو عدم مقدرة رئيسه وكان وقتئذ عبد الرحمن السندي لوزن القرارات ومعرفة آثارها الحسنة أو السيئة، ونحن نسلم بهذا، ولكننا نعلم أن إرادات الأفراد لا تنشأ من فراغ، ولا تعمل في فراغ، أنها تنشا عن أحداث تؤثر عليها وواقع يحكمها، بمعنى أن عدم كفاءة عبد الرحمن السندي ليست هي السبب الوحيد، أو السبب الموضوعي، أنها السبب الثاني، ولكن وراء هذا السبب الذاتي سبب موضوعي يعود إلى واقع المجتمع، بحيث أن ما عمله عبد الرحمن السندي كان قدرًا مقدورًا أو أنه كان «مدرك ذلك لا محالة» بتعبير نبوي، لأن العوامل الموضوعية أغلب وأقوى من العوامل الذاتية.

والعنصر الموضوعي في هذه القضية هو أن من المبـادئ المقـررة أن لكـل فعل رد فعل يظهر عند وقوع الفعل، والفعل هنا هو الإرهاب الذي بسـطه الحكم العسكري وبالسياسة العقيمة الفائلة القائمة على قوة الأمن والبـوليس وسـلطة القبض والاعتقال، وكانت الخطيئة العظمى هي حل الإخوان عنـوة واقتـدارًا دون استشـارة مجلس أو تأييـد شـعب، أفلم يكن من الطـبيعي أن يولـد الاسـتخدام الطليق للقوة البوليسية، وما فرضته من إرهاب أن يولد هذا الفعـل من ذا الـذي يماثله الفعل، عندما قيـل للداهيـة معاويـة إن عمـار قـد قـُـتل، قـال لـه «أنحن قتلناه ؟ إنما قتله من أخرجه»، وهذا الرد ليس مجرد تملص أجوف من مسـئولية قتله، وإنما هو يشير إلى حقيقة أعم من مقتله هي «خروجه»، هذا الخروج الذي تسبب في مصرع طلحة والزبير واشتباك المسلمين بعضهم ببعض.

وهكذا فإن تصرفات النظام الخاص كـانت رد فعـل على المنـاخ الاسـتبدادي الذي فرض الأحكام العرفية، وكبت الحريات، وحل أكبر هيئة شعبية بقـرار اتضـح إنه غير دستوري، ولأسباب لا تبرر الحل.

ومن لم يقتنع بالقانون الفيزيائي عن الفعل أو رد الفعل، فإن وقـائع التـاريخ كفيلة بأن تقنعه، فأحداث التاريخ تثبت أنه أينما ظهر الاسـتبداد وكبتت الحريـات، لابد أن تظهر هيئات سرية تلوذ بصور من العنف بعد أن حرمت حقهـا في العمـل المشـروع، وهـذا المبـدأ يتحقـق أيضًـا بمفهـوم المخالفـة، أي إنـه حينمـا يكـون المجتمع حرًا فإنـه يعيش في سـلام ويحـل مشـاكله بآليـات ووسـائل تسـمح بهـا طبيعة الحرية، كما كان الحال في مصر خلال الحقبـة الليبراليـة من 1928م إلى 1948م، وهكذا تتحقق القاعدة إيجابًا وسلبًا.

والأمثلة العملية على هذا عديدة، فعندما أصم قيصر روسيا عن سـماع نـداء شعبه الملح في السماح بـ «دوما» أي مجلس نيابي ورفض في إصـرار، تحـركت مجموعة من أبنـاء النبلاء وعامـة الشـعب فكونـوا المجموعـة الـتي أطلـق عليهـا «النهليست» وأخذت تغتال المحافظين وقادة الجيش والبوليس حتى تمكنت من تفجير قطار القيصر.

صور لنا الكاتب الفرنسـي البـير كومـا أخلاق هـذه المجموعـة في مسـرحية بعنوان «العذول»، فأشار إلى العضو الذي كان عليـه أن يلقي بقنبلـة على عربـة الدوق الكبير سيرجي، وأنه كان سعيدًا بهذا الشرف، ولكن ما أن ظهـرت العربـة وتهيأ لإلقاء القنبلة حتى رأي طفلاً وادعًا بجانب الدوق، فتوقف ولم يقذف قنبلتـه حتى لا يتم العدل «بالظلم».

وعندما رفضت الحكومة البريطانية منح المرأة حق التصويت رغم المطالبة بها لاذت جمعية المصونات Suffragattes بصور من العنف كأن يسكبن في صناديق البريد سوائل حارقة، أو تدمير البيوت الصيفية لبعض اللوردات، وفي النهاية ألقت الآنسة إيميلي دافيسون بنفسها أمام خيول السباق «دربي» فماتت.

وفي المجتمع الإسلامي فعندما حرم الأمويون الشيعة من الوجود، وأعلنوا لعن علي بن أبي طالب على المنابر، فإن الشيعة انتقلت إلى خراسات وسيطروا عليها، وعادوا منها إلى بغداد فاقتلعوا الخلافة الأموية، وفعلوا بالأمويين الأفاعيل.

من هنا نرى أن حكم الاستبداد الذي فرضه حزب لا شعبية له كان هو السبب الموضوعي لظهور ممارسات العنف، ولقيام النظام الخاص بما قام به، بل أكثر من هذا أن هذه السياسة سمحت للوزارة التي تحمي الناس وتؤمنهم على حياتهم أن تدبر مؤامرة لاغتيال معارض سياسي أعزل في جنح الظلام، وخروج جنازته على أيدي النساء، مما أثار الخواطر مما يعد وصمة كبرى في أي نظام للحكم.

* * *

على كل حال إذا فرضنا أن بعض أعضاء الهيئة اقترفوا مخالفات، فهل معنى هذا حل الهيئة ؟ أو أن معناه عقابهم ومجازاتهم.. لقد ظهر أن الهيئة لديها أسلحة وضبطت في عربية الجيب وفي حافظة الأستاذ مصطفى مشهور وقبض على المسئولين وعرضوا على القضاء، فهذا ما كان يجب أن يتبع خاصة وأن الأمر أصبح في يد القضاء.

أما أن تحاسب الهيئة ويحاسب رئيسها، فهذا ما لم تجريه العادة، ولا يجيزه القانون، وقد حدثت اغتيالات قبل الإخوان، فلم يحاسب إلا من قام بالاغتيال أو حرض عليه أو اشترك فيه، أما أن تحاسب هيئة عن ذلك، فهذا ما لم يحدث من قبل.

فقد قتل إبراهيم الورداني بطرس باشا غالي، وقيل إنه من الحزب الوطني، فهل مس احد الحزب الوطني ؟ وهل تقاعس المحامون عن الدفاع عنه، فقد ترافع عنه أكبر المحامين وقتئذ إبراهيم الهنداوي وأحمد لطفي بك ومحمود أبو النصر، وتقبل الشعب هذا الاغتيال، ورأى في صاحبه وطنيًا ثأر لقضية دنشواي والتفريط في السودان.

وعندما اغتيل السير لي ستاك واتهم الأستاذ شفيق منصور عضو مجلس النواب وعضو الهيئة الوفدية وحكم عليه بالإعدام وأعدم، هل مس أحد الوفد أو زج به في مجال الاتهام.

في سنة 1922م.. وفي أعقاب تكوين حزب الأحرار الدستوريين، وعلى باب الحزب سقط صريعًا برصاص المسدسات من شبان مجهولين حسن عبد الرازق باشا وإسماعيل زهدي بك وكان التطاحن الحزبي على اشده بين حزب الأحرار الدستوريين والوفد، ولم يستطع أحد أن يرمي الوفد بالاشتراك في الجريمة.

وقد ارتكبت ثلاث محاولات لاغتيال مصطفى النحاس واتهم النحاس باشا في إحداها الأستاذ فتحي عمر الذي كان مدير مكتب إبراهيم عبد الهادي، وكامل الدماطي مدير مكتب النقراشي وفتح تحقيق في هذا وحفظ، ثم تولى الوزارة النحاس، فلم يفتح التحقيق مرة أخرى.

وهذا ما أخذت به المحكمة التي نظرت قضية عربة الجيب المهورة التي ضمت ذخائر ومفرقعات كما ضمت محفظة مصطفى مشهور بيانات مسهبة عن أفراد النظام الخاص واتهم ثلاثون من النظام الخاص وظلت في القضاء سنتين وبضعة أشهر (من نهاية سنة 1948م حتى مارس سنة 1951م) عندما أصدرت حكمها فإنها برأت الجماعة، بل امتدحتها وفرقت بين انحراف بعض أعضائها، وبين أصولها الفكرية، وقالت إن الجماعة: «ترمى إلى تطهير النفوس.. وإنشاء جيل جديد من أفراد مثقفين ثقافة رياضية عالية، مشربة قلوبهم بحب وطنهم والتضحية فى سبيله بالنفس والمال»، وكما قالت أيضًا: «ولما أن وجدوا أن العقبة الوحيدة فى سبيل إحياء الوعى القومي فى هذه الأمة هو جيش الاحتلال الإنجليزى الذى ظل فى هذا البلد قرابة سبعين عامًا.. ولم تنته المفاوضات والمجادلات الكلامية إلى نتيجة طيبة، ثم جاءت مشكلة فلسطين وما صحبها من ظروف وملابسات.. لما كان كل هذا، اختل ميزان بعض أفراد شباب جماعة الإخوان، فبدلاً من أن يسيروا على القواعد التى رسمها زعماؤهم عند إنشاء الجماعة، والتى كانت تؤدى حتمًا إلى تربية فريق كبير من الشعب وتثقيفهم وإعلاء روحهم المعنوية.. بدلاً من ذلك أرادوا أن يختصروا الطريق، ظناً منهم أن أعمال النسف تبلغ بهم أهدافهم من سبيل قصير.. وحيث إنه من هذا تبين للمحكمة أن أفراد هذه الفئة الإرهابية لم يحترفوا الجريمة، وإنما انحرفوا عن الطريق السوي، فحق على هذه المحكمة أن تلقنهم درسًا حتى تستقيم أمورهم ويعتدل ميزانهم، على أن المحكمة تراعى فى هذا الدرس جانب الرفق فتأخذهم

بالرأفة تطبيقاً للمادة 17 عقوبات نظـرًا لأنهم كـانوا من ذوي الأغـراض السـامية التى ترمي أول ما تـرمي إلى تحقيـق الأهـداف الوطنيـة لهـذا الشـعب المغلـوب على أمره».

* * *

عاد الإمام البنا إلى القاهرة في 28/11/1948م فوجد الجو متوترًا أشد التوتر، فحاول الاتصال بالمسئولين بوزارة الداخلية فلم يستمع إليه أحد، وكانت الوزارة قد بدأت بالفعل في وضع البيان الذي ستبرر به حل الإخوان، والذي وضعه عبد الرحمن عمار (الذي كان قبلاً يتردد على اجتماعات الإخوان المسلمين ليتقرب منهم)، ولكن أصبح عدوهم اللدود، ولما وجد باب النقراشي مسدودًا اتصل بمرتضى المراغي ــ ابن الشيخ المراغي شيخ الأزهر ــ وكان بينه وبين والده مودة، ورجا الأستاذ البنا الأستاذ مرتضي الاتصال بالملك وتبليغه أن حل الإخوان سيثير مشاكل كبرى مستعصية، ووعده مرتضى المراغي لأنه وجد نفسه أمام قضية أمن قومي ، وأخبر النقراشي بذلك، فغضب النقراشي وأمره بأن لا يبلغ هذه الرسالة، ولكن مرتضى رفض.

وبعد الأمر بالحل والمصادرة والاعتقالات جدد الإمام البنـا اتصـالاته بـالوزارة التي كانت قد كلفت بتولي «ملف» الإخوان من الأستاذ مصطفى مـرعي، وكـان مطلبه الإفراج عن المعتقلين أو على الأقل تيسير الاتصال بهم، وكـان السـر في إلحاحه هـو أن زوجـات وأبنـاء المعتقلين وأبنـاء المعتقلين ومعظمهم من العمـال والموظفين انقطعت مرتبـاتهم وتعرضـوا للمجاعـة، وظن النقراشـي وأتباعـه أن إرهابهم قد نال من حسن البنا وما علموا أنها صيحات روحات الإخوان وأطفالهم، وأخذ الرجـل يـراوغ الأسـتاذ البنـا ويخدعـه، ويوعـده ويطلب إليـه معرفـة مكـان الإذاعة السرية التي أقامها سعد جبر وأماكن الأسـلحة والمتفجـرات، وهـو يقـول لهم أنه يمكن أن يسوي بعض الأمور إذا صـرحوا لـه بلقـاء المعتقلين من مصـر.. إلى آخر المأساة.

ولكنهم رفضوا، كما رفضوا كل محـاولات الوصـول إلى تسـوية، ولجـأوا إلى الابتزاز، وتصوروا أن تأثره العاطفي هو لما أوقعوه به دون أن يعلموا أن ما كـان يهمه، وأن الذي نال منه وأثر عليه هو حال زوجات وأبناء المعتقلين، وكيـف يسـد الأفواه الجائعة بعد إيقاف مرتباتهم.

عندما تأكد النظام الخاص أن الحكومة رافضة كـل مسـعى لحـل المشـكلة، وأنها ماضية في غلوائها إلى النهاية تحرك، ودفعوا بأحد أفرادهم لأن يدخل وزارة

الداخلية بعد أن تزي بزي ضابط، وما أن دخل النقراشي حتى أطلـق عليـه النـار وأرداه قتيلاً.

* * *

الاغتيال من ناحية المبدأ هو أقصى درجات التحريم لأنه ليس فحسب القتل، ولكنه القتل بوسيلة الخداع أيضًا.

ولكن فلنناقش في هدوء هذه الواقعة بالـذات إن النقراشـي اسـتغل صـفته كحاكم عسكري فأصدر أمر الحل الـذي لم يعـرض على مجلس النـواب ولم يقم على أساس مشروع كما وضحت المحكمة ذلك، ولم يصـغى للراجـاءات العديـدة من شخصيات بارزة للإقلاع عنه أو الدخول مع المرشد في مفاوضة، وأصـر على الحل والاعتقال.

وماذا يعنيه حل هيئة ؟

إن الهيئة شخصية اعتبارية، والحل بالنسبة لها هو كالقتل بالنسبة للشخصـية العضوية.

وقد قتل النقراشي هيئة فيها أكثر من نصف مليـون عضـو، كـل واحـد تتبعـه عائلته، وصفي شركاتها وصحافتها ودورها.

* * *

الذين أنصفوا الإخوان

للإخوان خصوم، كما أن لهم عدول، وإنما قلنا خصوم لأنهم يكونون كذلك بحكم الصفة التي يجعلهم يعارضون ما تدعو إليه الإخوان المسلمين من أن يكون الإسلام منهج حياة، كما أن لهم «عدول» أي أناس يحكمون بالعدل فينصفون الإخوان، وإن لم يكونوا من الإخوان.

والخصوم بالصفة يكونون خصومًا «بالجملة» لأن الصفة تعمهم، ولكن هذا لا ينفي أن يشذ أفراد قلائل من «الصفة» التي عمتهم.

ويدخل في «الخصوم» من يحول «حاجز الدين» عن أن يؤمنوا بأي دين آخر، لأنهم يتصورون أن إيمانهم بأن دينهم هو الصحيح ويتطلب ذلك أن لا يناصروا دعوة لدين آخر، وإن لم يمنع هذا من أن يشذ أفراد، كما أشرنا آنفاً، مثل الأب سرجيوس خطيب المساجد في ثورة سنة 1919م، ومثل مكرم عبيد، ومريت غالي، وسلامه موسى في أيامه الأخيرة، ومثل نظمي لوقا، وفيليب جلاب ورفيق حبيب، والأب أندراوس، فهؤلاء جميعًا آمنوا بتعايش الأديان، وأن المواطنة لا تتعارض مع الإيمان القلبي ــ نقول ــ رغم ذلك فإن الأغلبية تدين للكنيسة التي سلبت المسيحية من المسيح وأحلت نفسها محله، ولهذا فقلما يؤيد الأقباط الإخوان انسياقاً مع الكنيسة.

ومع أن الإخوان ــ خاصة في حقبة البنا ــ أعربوا بكل قوة أنهم لا يريدون «الحكم» إلا أن هذا وإن كان حقيقيًا لا يطمئنهم لأن المؤكد أن الإخوان وإن كانوا لا يريدون حكمًا لأنفسهم ولكنهم يريدون حكمًا يطبق توجيهات الإسلام بما فيه السياسة وأبرزها الشورى والبيعة والبعد كل البعد عن الاستبداد، وأن لا يكون الحكم مغنمًا أو ميراثاً لأن الذين يلوُّن الحكم يضيقون بهذا كله، وهذا هو السبب في أن كل من ولي الحكم قاوم الإخوان بطريقة أو أخرى، حتى حكم عبد الناصر الذي قام بمشاركة ومباركة الإخوان.

ويتبع الحكم الأحزاب التي تجعل الحكم هدفها ــ وكل الأحزاب كذلك ــ فهي ترى في الإخوان قوة تحتل ميدان العمل العام وتزاحم الأحزاب، وينطبق

عليها ما ذكرناه على الذين يلوُّن الحكم ـ فـالأحزاب هم هيئـة حكم في الظـل ـ والاحتمال أن يأتيها الحكم في أي وقت.

ولسنا في حاجة للقول أن القوى العالمية تضيق بـالإخوان، لأن هـذه القـوى هي وريث العالم الوثني الأثيني/الرومـاني القـديم، ولأنهـا بنت جـزء من أمجادهـا بنهب وسلب العالم، واستعمار الدول الإسلامية، فضلاً عن أنها حاليًا تخضع لتـأثير القوى اليهودية/الصهيونية.

من هـذا نعـرف أن خصـوم الإخـوان كثـير، وأنهم أقويـاء أيضًـا، وفي مراكـز السلطة والنفوذ والإعلام، وهذا هو سر الاستبعاد المستمر للإخوان من الميدان.

ولكن للإخوان أصدقاء عدول، أي أن الصفة الشخصية لهم هي الغالبة بحيث لا يمكن حصرهم في إطار «صفة ملزمة»، ولو أنك سـألت أي عمـدة في إحـدى قرى الشمال أو الجنوب عن حسن البنا، لقال لك إنه تغدى معه يومًا، وقال آخـر إنه تعشى معه، وقال ثالث إنه صلى بهم في الجامع، فقد ذرع حسـن البنـا قـرى مصر، واختار من كل قرية شـخص آنس فيـه النجابـة والهمـة وأوكـل إليـه عمـل شـُعبة.

ولـو سـألت المـوظفين في أزقـة القـاهرة وشـاورعها لقـالوا لـك إنهم في شبابهم انضموا إلى «شُـعبة» لأنهم وجدوا فيها ملاذاً مفتوحًا فيع طاولة بنج بونج، وفيــه ركن مطالعــة، وتنظم مســابقات للخطابــة، وتحفيــظ القــرآن والرياضــة والجوالة وغيره من المناشط الاجتماعية التي لا يتيسر للشاب الفقير القـادم من القرية لإتمام الدراسـة التوصـل إليهـا إلا في شـُعبة الإخـوان المجانيـة المفتوحـة للجميع، وليست كالنوادي البعيدة والمقصورة على الأغنياء.

وهناك شخصيات في أعلى قمة المجنمع قد تسنح الفرصة فيعترف لـك إنـه كان يومًا عضوًا في الإخوان، وهو مـا ينطبـق على عبـد الناصـر والسـادات، كمـا حدث للرئيس مبارك نفسه الذي اعترف في إحـدى المناسـبات إنـه تعـرف على الإخوان حيناً في شبابه كهيئة تعمل للبر والتقوى والخدمة الاجتماعية.

ولكن هؤلاء ليس لهم «الصفة» التي تجعلهم قوة مـؤثرة، ولعلهم كـانوا في شبابهم باعتبارهم طلبـة، أو في نقابـاتهم كمهنـيين قـوة ولهـا صـفة، ولكنهم بعـد التخرج انتاشتهم هموم الحياة.

مع هذا أننا لا نعدم من يؤيدون الإخوان ـــ حـتى في الأحـزاب ـــ وحـتى بين الكتاب الذين في يوم من الأيام هاجموا الإخوان عندما طلبت منهم الدولة ذلك.

وفي الصفحات التالية سنعرض لبعض هذه النماذج:

ـ 1 ـ

مع أن الأحزاب التقليدية (حزب الوفد والأحرار الدستوريين والسعديين) كانوا في عداد «خصوم الإخوان»، فإذا كانوا في الحكم فهم خصوم بالفعل والعمل، وإذا لم يكونوا بالحكم فهم خصوم في انتظار الحكم، إلا أن هناك حزبًا يُعد استثناءً هو حزب «مصر الفتاة» الذي أسسه شاب طموح موهوب هو الأستاذ أحمد حسين في مستهل الثلاثينات، وكان الأستاذ أحمد حسين مثالاً للوطني المصري المتعصب لوطنيته، والذي يرى أن «مصر فوق الجميع» وتأثر في شبابه بالظهور الطاغي للهتلرية في ألمانيا والفاشية في إيطاليا فدعا إلى قمصان «خضر»، وكان حوله مجموعة من الشباب المتميز منهما اثنان يقربان من الملائكة في نبل الخلق، ويشبهان محمد فريد، هما «مصطفي الوكيل» الذي هاجر إلى ألمانيا، و«محمود شكري» ــ الذي أنفق ثروته على الحزب ــ كما كان هناك شابان لا يقلان نبوغاً هم محمد صبيح وفتحي رضوان، بالإضافة إلى مجموعة من شباب الجامعات.

وقد قتل الأول في ألمانيا اثناء ضرب الحلفاء بالقنابل، وحزن عليه أحمد حسين حزناً عميقاً، أما الثاني فكان ابن أحد الباشوات و«الإقطاعيين» في مصر، وكان من الذين قابلوا الموت في حادث كوبري رمسيس عندما كان طالبًا بكلية الزراعة، وفي العهد الملكي انتخب نائبًا عن «كفر شكر» وطالب بتحديد ملكية الأراضي، وظل محمود شكري ذراعًا أيمن لأحمد حسين حتى النهاية.

ورزق أحمد حسين شهرة كبيرة عندما فكر في تكوين مصنع طرابيش مصري يصنع الطرابيش التي كان يضعها المصريون على رؤوسهم وكانت تصنع في النمسا، ودعا المصريين للتبرع كل واحد بقرش، ونجحت الفكرة وجمع من هذا القرش ألوف الجنيهات التي أقام بها أحمد حسين مصنعًا للطربيش فصنعها بطريقة لا تقل عن طريقة النمسا.

وكان لجماعة «مصر الفتاة» صحيفة هي «الصرخة» كانت صرخة جريئة بالفعل.

وتزامن قيام «مصر الفتاة» مع قيام «الإخوان المسلمين» بالقاهرة، وحدث نوع من الصراع والمعارضة كانت البادئة هي «مصر الفتاة» وتقبل الإخوان تنديدات مصر الفتاة بكثير من الحلم والإغضاء.

ومع الزمن كـان الإخـوان يتقـدمون، بينمـا يفقـد حـزب مصـر الفتـاة جـذوة الحماسة المتقدة، وكان الإمام البنا يعرف الإسلام بطريقـة جديـدة، وتـأثر أحمـد حسين بهذه الشمس الطالعة في الوقت الذي كانت تأفـل فيـه شـمس الهتلريـة والفاشية، فتحول أحمد حسين إلى الاشتراكية وبدل اسم الحزب فأصبح الحـزب الاشـتراكي، ولكن اشـتراكيته كـانت إسـلامية وليسـت ماركسـية، وحـل نـوع من التقارب محل التباعد أو الهجوم القديم، وكان أحمد حسين يـؤمن كـل يـوم أكـثر بفكرة الإسلام، وحـدث أن فكـر في أن ينـدمج الحـزب الاشـتراكي في الإخـوان، ولكن هذه الفكرة لم تنجح، ولم يـؤثر هـذا على العلاقـة الحسـنة، وعنـدما مـرت الإخوان بمحنتها وقف بجانبهم وترافع باسمهم في قضية اغتيال النقراشي وشيئاً فشيئاً عكف على الكتابـات الإسـلامية وأصـدر عـددًا كبـيرًا منهـا، وعنـدما حـدثت هزيمة 1967م أصيب بالشلل وتوفى بعدها.

ولكن قدر للحزب الاشتراكي أن يعود على يد الصحابي محمود شكري الذي كان قد تجاوب مع عبد الناصر، وعين وزيـرًا للزراعـة في عهـد السـادات وشـغل مناصـب رفيعـة في الاتحـاد الاشـتراكي، ولمـا أراد السـادات أن يوجـد نوعًـا من الديمقراطية والتعددية الحزبية فإنه أيد تكوين حـزب العمـل ــ الصـورة الأخـيرة لمصر الفتاة والحزب الاشتراكي ــ على أن يكون على رأسه محمود شكري، بـل دفع عددًا من خاصته ليكونوا من الأعضاء المؤسسين، وظهر حزب العمل بجانب حزب الأحرار وحزب التجمع وورث محمود شـكري تـراث أحمـد حسـين، وانـدفع قدمًا في الاتجـاه الإسـلامي الـذي انتهى إليـه أحمـد حسـين، وفي سـنة 1987م تآلف حزب العمل مع الإخوان المسلمين مع حزب الأحـرار وكسـبوا قرابـة مائـة نائب، وأخذت الصحافة الحزبية واليسارية تهدد «الإخوان قادمون».

ولم يحـدث شـيء من هـذا رغم أن المجلس كـان بـه الـدكتور حلمي مـراد وممتاز نصار وغيرهما من الشخصيات السياسية البارزة والـتي عـرفت بالصـلابة والأمانة وأعضاء آخـرين بـارزين لأن رئيس مجلس الأمـة الداهيـة الـدكتور رفعت المحجوب استطاع أن «يحجم» هذه المجموعة القوية للمعارضة وأن يحول دون أن تظهر قوانين الشريعة التي عكف عليها الشيخ صلاح أبو إسماعيل مع الدكتور صـوفي أبـو طـالب فقـد أودعهـا درج مكتبـه وأغلقـه بالمفتـاح واغتيـل والمفتـاح معه !!!

إن تقارب مصر الفتاة التي أخذت اسم «الحزب الاشتراكي» والتي ظهـرت في ثوب جديد باسم «حزب العمل» مثال فريد من اكتساب الإخوان تأييد حـزب

سياسي نابه كان يمثل المعارضة ويُعد إلى حد ما خليفـة للحـزب الوطـني حـزب مصـطفى كامـل ومحمـد فريـد وكـانت صـحيفة «الشـعب» من أقـوى صـحف المعارضة وأكثرها انتشارًا، ومن المؤسف أن الحزب انساق مع اتجاهه الإسلامي بتأييد أمينه العام عادل حسين الذي كـان ماركسـيًا في شـبابه، ثم آمن بالإسـلام إلى الدرجة التي أثارت مخاوف الحكومة، فانتهزت فرصة إثارة صـحيفة الشـعب ضد مسرحية أساءت إلى الإسلام حجة لأن تحل الحزب وتصادر الجريدة، وهنـاك قرابة عشرين حكم قضائي بعودة الحزب والجريدة.. دون جدوى.

ففي هذه البلاد تفعل الحكومة ما تشاء !!!

* * *

ــ 2 ــ

الأستاذ إحسان عبد القدوس
ينصف الإخوان ويعلن ما يمكن أن نطلق عليه
«وصية كاتب مسلم»

الأستاذ إحسان عبد القدوس كاتب نابه، وهو أحد الذين آثروا على الصحافة وتركوا بصمتهم عليها، فهو الناهض بمجلة «روز اليوسف» أقوى صحيفة معارضة، وأكثر صحيفة استخدمت الكاريكاتير، ثم أسس مجلة «صباح الخير» التي آثرت على المجتمع المصري تأثيرًا بالغاً.

نشر الأستاذ إحسان أول كلمة تقدير للإخوان تحت عنوان «الرجل الذي يتبعه نصف مليون» ولما كان كاتبًا موسوعيًا، فناناً، وصحفيًا، وروائيًا، فإن رؤيته انتهت إلى الإسلام، وقد كتب في صباح الخير ما يمكن أن يطلق عليه «وصية كاتب مسلم».

بالطبع لم ينضم إحسان عبد القدوس للإخوان، ولكنه اتجه الاتجاه الإسلامي مما يمكن أن يصب في خندق الإخوان المسلمين.

وفيما يلي مقاله المشهور «الرجل الذي يتبعه نصف مليون»[*]:

اركب أي سيارة أجرة، وقل للسائق «الإخوان المسلمين» ولا تزد.. لن يلتفت إليك السائق ليسألك ماذا تقصد بالإخوان المسلمين، ولا أين تقع هذه الدار التي يطلق عليها هذا الاسم، بل سيقودك إلى هناك دون سؤال بعد أن يرحب بك بابتسامة لم تتعود أن تراها على وجوه سائقي سيارات الأجرة، وقد يرفض أن يتناول منك أجرًا، ولا شك أنه سيحملك سلامه ـ قبل أن تغادره ـ إلى فضيلة الأستاذ حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين.

وستمر في طريقك داخل الدار بمخازن الذخيرة التي يملكها الإخوان المسلمون، وذخيرة الإخوان هي الشباب.. شباب امتلأت بهم حجرات الدار على سعتها.. ترى على وجوههم نور التقوى والإيمان، وفي عيونهم حماسة الجهاد، وبين شفاههم ابتسامة تدعو إلى المحبة والإخاء، وفي يد كل منهم مسبحة انحنى عليها بروحه يذكر اسم الله.

وهم مع كل ذلك شبان «مودرن» لا تحس فيهم الجمود الذي امتاز به رجال الدين وأتباعهم ولا تسمع في أحاديثهم التعاويذ الجوفاء التي اعتدنا أن نسخر منها، بل أنهم واقعيون يحدثونك حديث الحياة لا حديث الموت، قلوبهم في السماء ولكن أقدامهم في الأرض يمشون بها بين مرافقها ويناقشون مشاكلها

(*) مجلة «روز اليوسف»، العدد 900، بتاريخ 12/9/1945م

ويحسـون بأفراحهـا وأحزانهـا، وقـد تسـمع منهم من «ينكت» ومن يحـدثك في الاقتصاد والقانون والهندسة والطب.

إنهم ذخيرة.. وستنطلق عند الإشارة الأولى.. فاحذروا !!

ويستقبلك الأستاذ حسن البنا بابتسامة واسعة، وآية من آيات القرآن الكـريم يعقبها بيتان من الشعر يختمهما بضحكة كلها بشر وحياة !!

والرجل ليس فيه شيء غـير عـادي، ولـو قابلتـه في الطريـق لمـا اسـترعى نظـرك اللهم إلا بضـآلة جسـمه ولحيتـه السـوداء الـتي لا تتلاءم كثـيرًا مـع زيـه الإفـرنجي وطربوشـه الأحمـر الغـامق، ولن تملـك نفسـك عن التسـاؤل كيـف استطاع الرجل أن يجمع حوله كل هـؤلاء الإخـوان ؟ وكيـف اسـتطاع أن ينظمهم كل هذا التنظيم بحيث إذا عطس فضيلته في القاهرة صاح رئيس شُعبة الإخوان في أسوان «يرحمكم الله» !!؟

ولكنك لن تلبث قليلا حـتى تقتنـع بـأن قـوة الرجـل في حديثـه وفي أسـلوبه الهادئ الرزين، وفي تسلسل أفكاره التي يعبر عنهـا تعبـيرًا منطقيًـا، وربمـا كـان أغـرب ما في حديثه أنه يحس بما يقوم في نفسك من اعتراضات، فيجيبـك عنهـا ويفندها لك قبل أن يترك لك الفرصة لتصدمه بها.

وهو لبق يستطيع أن يحلل شخصـيتك ويـدرس نفسـيتك من النظـرة الأولى، وربما أحس إني دخلت إليه وتحت لسـاني مائـة تهمـة أسـتطيع أن أوجههـا إليـه، فكان من لباقتـه أن عـرض عليَّ قبـل أن أغـادره تقريـرًا عن الحسـابات الماليـة لجمعيته، وفي هذا التقرير تقرأ عجبًا.

فهذا «أخ» أراد أن يساهم في شراء دار الإخـوان ولم يكن يملـك مـالاً فبـاع أرضه وخصص ثمن أربعمائة متر منها للجمعية وصورة العقد والتخصيص منشـور بالزنكغراف ضمن التقرير.

وهذه زوجة لم تجد لـديها مـا تقدمـه فـوهبت قرطهـا الـذهبي وكـان حليتهـا الوحيدة للإخوان، وصورة القرط منشورة أيضًا ضمن التقرير.

وهذا رجل من مسلمي بومباي في الهنـد تـبرع بفتح اكتتـاب بين ابنـاء بلـده للمساهمة في بناء الدار.

وهذا زوج اختلف مع زوجته فهـو يريـد أن يتـبرع للجمعيـة بجنيـه واحـد وهي تريده أن يتـبرع بثلاثـة جنيهـات، وجـاءا ليحتكمـا إلى الأسـتاذ حسـن البنـا، فحكم بينهما بأن يتبرعا بجنيهين اثنين حسمًا للنزاع.

وهذا رجل آخر من العـراق يرسـل تبرعـه عن طريـق سـعادة عبـد الـرحمن عزام بك.. وآخر يتعهد بكل ماله لتغطية كل ما تحتاجه الجماعة من مال.. و.. و..

وبين أسماء المتبرعين أعضاء في مجلس النواب وشخصيات كبيرة وشـباب لامع لم أكن أحسب أنهم يدخلون ضمن النصف مليون الذي يؤمن بالأستاذ حسن البنا.

نصف مليون وأكثر انتظموا في أكـثر من ألـف وخمسـمائة شـُعبة انبثت في كل قرية وكل «كفر» وبينها مائتان وخمسين شـُعبة في القـاهرة وحـدها، وهنـاك شـُعب في جميع البلاد العربية، وكـانت هنـاك شـُعب في بـاريس ولنـدن وجـنيف قبل قيام الحرب.

* * *

وفي 15 من شـهر سـبتمبر سـنة 1948م وبعـد ثلاث سـنوات وأيـام، كتب الأستاذ إحسان مقاله المؤلم الأليم.

وهذه فقرات منه:

- كان الإخوان المسلمون قوة كـبرت على حسـاب الحكومـات السـابقة الـتي كانت تستغلها في محاربة الوفد.
- إن جلسة واحدة مع مرشد الإخوان تقنعك بان الزعيم الناجح لابـد أن يختـار ثوبًا من ثـوبين اثـنين يظهـر بـه أمـام الجمـاهير ليتمكن من السـيطرة على أتباعه نفسيًا، إما أن يرتدي ثـوب المظـاهر البراقـة فيقتـني القصـر المـنيف والسيارات الفاخرة، وإما أن يرتدي ثوبًا آخـر لا مظهـر فيـه ولا بريـق، ولكن فيه سرًا عرفه مرشد الإخوان.

ثوب يقول كل من يراه أن صـاحبه يـؤثر الأخـرى عن الأولى والباقيـات على الفانيات.

هذا الثوب نمقه مرشد الإخوان فأحسن بتنميقه، فهو يبتدي لزائريه الكثيرين وأتباعه العديدين في جلبابه الأبيض ومعطفـه الأسـود الشـالح، وقـد انجـنى ركنـاً تخاطفت فيه الظلال من أركان قاعة فسيحة سقط طلائهـا وتآكـل بلاطهـا الـذي يطل من تحت عدد من الأكلمة الصوفية البالية وانتثرت فوقها بغير نظام مقاعـد ناقصة الأرجل جوفاء النسيج.

هذا هو حسن البنا زعيم المليونين !!

أليس الرجل قديسًا.. أليس الرجل صـديقاً.. لابـد أن يكـون كـذلك في نظـر أتباعه على الأقل.

- ودخل أحد الأعضاء يعلن للمرشد العام أن الحكومة قررت اتخاذ دار المركز العام مخفرًا للبوليس.

وهنا ضحك المرشد ضحكة طويلة، وقال.. ها هم الإخوان كدأبهم دائمًا يساهمون في مكافحة أزمة المساكن بتقديم خمسة آلاف دار لشغلها.

ثم عاد يقول: إن سحب شهادة الميلاد من الشخص (يقصد حل الإخوان) لا يفقده كيانه ووجوده الإنساني.

ثم نتركك لتفهم ما يعنيه.. فتنظر إلى عينيه فإذا فيهما علامات النهاية.

* * *

وقد ظهر أن هذا الإنصاف يعود إلى جذر إسلامي عريض في حياة إحسان عبد القدوس ــ الذي قيل عن أنه تربى بين أحضان الممثلات ــ ولا يضير الأستاذ إحسان أن يكون ابناً لروز اليوسف، بل إنه أمر يفخر به، لأن الممثلة القديرة روز اليوسف كانت «موهبة»، والموهبة لا يعنيها الجنس أو الأصل، إنها تتوهج في أي مكان، وفي كل مكان، ومع أن لها إنتاجًا فنيًا وصحفيًا ثميناً، وأنها أدارت مجلة، وجريدة، روز اليوسف بيد قديرة وواثقة، فإن إنتاجها الأعظم يظل هو إحسان عبد القدوس، وقد كتب الأستاذ إحسن عبد القدوس في أيامه الأخيرة مقالاً طويلاً في مجلة صباح الخير في 17/1/1991م يمكن أن يُعد «وصية كاتب مسلم».

إن مقال الأربعين، ومقال التسعين يضعانه في خانة الذين أنصفوا الإخوان، إما بالاسم، وإما بأن الإسلام منهج حياة، وهو المثل الذي أراده الإخوان.

وفيما يلي مقاله في 17/1/1991م الذي يمكن أن نطلق عليه «وصية كاتب مسلم»:

[2]

«لقد نشأت في بيت جدي لأبي الشيخ أحمد رضوان، وقد كان من خريجي الأزهر الشريف ومن رجال القضاء الشرعي.. وكان جدي حريصًا على تنشئة أفراد العائلة كلها على الإيمان الكامل بالإسلام وأداء كل الفروض والاستجابة لكل التعاليم.. ومن قبل أن أصل إلى السابعة من عمري وأنا أحاول استكمال قدرتي على أداء كل الفروض.. كالصلاة والصوم وحفظ آيات القرآن.. وربما كان جدي يعتبر مغاليًا في تزمته على أداء الفروض.. حتى أنه كان يحرم علينا أن نؤدي الصلاة ونحن نرتدي ثوبًا يكشف عن ساقينا فوق الركبة.. وقد كنت أذهب إلى المدرسة الأولية ثم المدرسة الابتدائية وأنا أرتدي بنطلوناً قصيرًا يكشف عن

ركبتي.. فكيف أؤدي صلاة الظهر وأنا في المدرسـة ؟.. لـذلك كـانوا يضـعون في حقيبتي التي أذهب بها إلى المدرسة جوربًا طويلاً يرتفع على سـاقي حـتى يغطي ركبتي حتى ألجأ إليه كلما حل موعد صلاة الظهر لأؤديها داخل جامع المدرسة.

وكنت لم أصـل إلى عمـر السـابعة عنـدما حفظت جـزء «عم» من القـرآن الكريم ثم بدأت أحفظ من القرآن على مدى العمر.. وإن كنت لم أحفظه كله إلا أني قرأته كله عشرات المرات واسـتوعبت كثـيرًا من الآيـات.. لازلت إلى اليـوم أرددهـا دائمًـا وفي كـل يـوم تبركًـا وتقربًـا إلى اللـه سـبحانه وتعـالى.. وتـزودًا باستكمال راحتي النفسية وشخصيتي المسلمة.

ولكن بعد أن نما وعيي وتجاوزت سن الخامسة عشرة بدأت تـدهمني حـيرة دينيـة ربمـا كـان سـببها أن بـدأت ألاحـظ اختلاف مظـاهر الإيمـان بين الأفـراد المسلمين.. فكثير من مظاهر المجتمعات الإسلامية مختلفة في أداء مـا يفرضـه الإسلام.. وبدأ فكري يسيطر عليِّ حتى أقنعني بأني لا يجب أن أكتفي بـأن أكـون مسلمًا بالوراثة.. أي مسلم.. لأن أبي وجدي وجد جـدي مسـلمون.. بـل يجب أن أكـون مسـلمًا عن اقتنـاع بالإسـلام أي أن أختـار الإسـلام إيمانـاً ولسـت مجـرد مستسلمًا له.. ولذلك بدأت أفيض في دراسة الإسلام.. دون أن أتخصـص كرجـل دين إنما لمجرد إقناع نفسي بما أؤمن به.. ووصلت بي دراسته إلى حد أني بدأت أحاول اكتشاف أسرار تعاليم الديانة اليهودية ثم الديانة المسيحية.. وكنت أتعمـد لقـاء رجـال الـدين اليهـودي والمسـيحي لأفهم منهم وأجـادلهم.. وانتهى بي هـذا البحث الذي استغرق شهورًا طويلة إلى أن اخترت الإسلام دينـاً عن إيمـان قـائم على اقتناع.. ولكن هذا الجهد العنيف الذي بذلته خلال هذه الشهور أدى إلى حالة معانـاة إلى حـد أن رقـدت في فراشـي مريضًـا بمـرض عجـز عن شـفائي منـه الأطباء.

وفي فـترة مرضـي جـاءني أبي المرحـوم محمـد عبـد القـدوس رضـوان بالمصحف الذي كان خاصًا بجدي وكـانت العائلـة تحتفـظ بـه بعـد أن مـات تبركًـا وتكريمًا لذكراه.. وقال لي: أقرأ يا بني.. فالله هو القادر على شفائك.

وقد قرأت القرآن كله وأنا راقد في فراشي.. ولكني أحسسـت بـأني قرأتـه تبركًا وتوسلاً إلى الله أن يشفيني.. ولم يكن هذا هو كل ما أريـده.. فبـدأت أقـرأ القرآن مرة ثانية وأنا أحاول أن أفهم وأفسر كل آية وكل كلمة من كلمات اللـه.. وأستعين على الفهم بكتب التفسير التي تزدحم بهـا المكتبـة الـتي تركهـا جـدي.. ولكني مع هذا انتهيت من قـراءة القـرآن كلـه ولا أزال قاصـرًا عن فهم وتفسـير بعض الآيات.. فبدأت أقرؤه مرة ثالثة.. وأضع بنفسي تفسيرًا لكل ما كنت عاجزًا عن اسـتيعابه.. واسـترحت.. اسـتكملت إيمـاني على أسـاس اقتنـاعي وفهمي..

وشفيت فعلا من مرضي.. ومما أدهشـني أن كثـيرًا من الآيـات الـتي كنت أعتقـد أني وصـلت إلى تفسـيرها بنفسـي ووفقـاً لعقليـتي كـانت قـد سـبق أن فسـرت وسجل تفسيرها نفس التفسير الذي وصـلت إليـه.. وهـو مـا أقنعـني بـأن صـدق وعمق الإيمان يمكن أن يصل بـالمؤمن إلى التفسـير الصـحيح.. وإن كنت أتمـنى وأدعـو حـتى اليـوم في أن يبـذل رجـال الـدين الإسـلام مجهـودًا أكـبر في إعلان التفسيرات المبسطة التي يمكن أن تصل إلى عقول البسطاء.. حـتى تتم وحـدة كل مظاهر الإيمان بين المسلمين.

(2)

إني أعيش كمسلم.. كل حياتي الخاصة والعامة تجـري تحت تـأثير من وحي بالإسـلام فـإن أصـبت في تصـرفاتي فلأن الإسـلام وفقـني إلى أن أصـيب.. وأن أخطأت فلأني عجزت عن اتباع ما يفرضه الإسلام عليِّ.

(3)

الدين هو الأساس الذي يقوم عليه كيان الإنسانية كلهـا.. الـدين هـو محاولـة الوصول إلى حكم القدر.. والقدر هو ما يحكم به الله.. والكيـان الإنسـاني متعـدد الجبهات بتعدد الأديان.. بما فيها من أديان سماوية وأديـان أرضـية.. وقـد حـاولت بعض جبهات هذا الكيان في الإنسان أن تنكر الأديان.. أي تنكر وجود الله.. ولكن هذه الجبهات مهما طال بها زمن الوجود فمصيرها أن تعـود إلى الاعـتراف باللـه والخشـوع لـه وللقـدر الـذي يفرضـه على خلقـه.. ولن يتحقـق السـلام بين بـني الإنسـان إلا إذا تقاربت الأديـان إلى أن تتجمع في ديـن واحد.. دين الإسلام.

(4)

إني أعتقد أن أي كاتب باللغة العربية لا يستطيع أن يجمع حوارًا قــرأه إلا إذا كان أساسًـا قـد اسـتوعب قـراءة القـرآن.. فـالقرآن هـو أسـاس أسـلوب اللغـة العربية.. أو هو الموسيقى للغة التي يقوم عليهـا أي تطـور موسـيقي في اختيـار أسلوب الكتابة بالعربية.. وحـتى الكـاتب إذا لم يكن مسـلمًا لا يسـتطيع أن يكتب باللغة العربية إلا إذا استوعب أسـلوب أو رنـات صـياغة كلمـات وآيـات القـرآن.. ومعروف أن المرحوم مكـرم عبيـد باشـا كـان عبقريًـا في إلقـاء الخطب وكتابـة الرسائل باللغة العربية، لأنه كان يحفظ القـرآن رغم أنـه قبطي الديانـة.. وهكـذا كل كاتب عربي.. وأنا نفسي لا أعتقد أني استطعت أن أكـون كاتبًـا ولي قـراء إلا لأني بدأت باستيعاب أسلوب ورنـات لغـة القـرآن.. أمـا بالنسـبة للمفكـرين فـإن القــرآن يعتــبر الأســاس الفكــري لأي محاولــة في تفســير الواقــع والمســتقبل الإنساني.

ولا يمكن لأي فكر سواء فكر إسلامي أو غـير إسـلامي أن يسـتوعب أسـس الكيـــــــان الإنســــــــاني ومصـــــــــير الإنســــــــان إلا باســــــــتيعاب ما سجله القرآن وهو ما يشمل كل تفاصيل الحياة وما بعد الحياة.

(5)

الهدف الذي يدعو إليه الإسلام هو أن يصل بوحدة الإيمان إلى وحدة الوجود أي أن يجمع المسلمون أنفسـهم في قـوة موحـدة مهمـا تفرقـوا في دول أو في نظم إداريـة أو شـعوب منتشـرة في كـل نـواحي الأرض.. أي أن نصـرة الإسـلام تقوم على وحدة المسلمين.

(6)

الإسـلام دين يحتفـظ للمـرأة بكامـل شخصـيتها وكامـل حقوقهـا.. وهـو دين يعـترف بواقعيـة طبيعـة المـرأة وواقعيـة طبيعـة الرجـل.. يجمـع بين الطبيعـتين ويصونهما على أساس إشهار وإعلان العلاقة بينهما.. ومن وسائل الإشهار مثلا هو عقد الزواج.. وإذا كان قد أباح للرجل الـزواج بـأربع نسـاء تحت شـروط محـددة مفروضة عليه.. فلأنه حريص على ألا تفرض عليه طبيعته علاقة خفية سرية بينــه وبين أي امرأة.. ولكن شعوبًا أخرى لا تدين بالإسلام تفرض على نفسـها علاقـات خفية سرية بين الرجل والمرأة.. وهو ما يرفضـه الإسـلام ويعتـبر جريمـة يعـاقب عليها.. وهي جريمة الزنا.. مهما كان الدافع إليها منطلقًا من الطبيعـة الـتي خلـق بها الرجل.. فالمرأة المسلمة أقوى في مواجهة الواقع من أي امرأة تـدين بـدين آخر».

انتهى اعتراف الكاتب الكبير إحسان عبد القدوس.. رحمه الله

* * *

[3]

الإخوان المسلمون أول حركة اجتماعية حداثية

بقلم: ايفيزا لوبن

[هـذه الكلمة هي محاضـرة ألقتها الأسـتاذة ايفيـــزا لـوبن Ivesa Lubben في المركز الأكاديمي الألماني، والأستاذة ايفيزا لـوبن سـيدة ألمانية تخصصت في دراسة الـدعوات الإسـلامية المعاصـرة، مع عناية خاصة بـــالإخوان المســـلمين، وقد أقـــامت فـــترة طويلة في ســـوريا والقـــــــاهرة، وهي تجيد العربية وفي مكتبتها الخاصة كل ما كتب عن الإخـوان بالعربيـة، بالإضـافة إلى ما كتب بالألمانيـة، وقد تعـرفت علينا ووثقت علاقتها بنا وبفضل هـذه الملابسـات فإنها توصـلت إلى ما عجز عنه كل من كتب عن الإخـــوان من أوروبـــيين ومستشـــرقين، كما انها لحظت ما فات الكتـاب الإسـلاميين لاسـتغراقهم في اتجـاههم الـديني، فوجدت أن الإخوان ليست هيئة أصولية بـالمعنى التقليـدي قـدر ما أنها محاولة لتحديث الإسلام وأسلمة الحداثة].

جـاءت الانتخابـات البرلمانيــة المصـرية فى نوفمـبر سـنة 2000م بـأكبر المفاجآت للمراقبين، ألا وهى النجاح المعقول نسبيًا للإخوان المسلمين، فبالرغم من التـدخلات الضـخمة لقـوات الأمن، وأيضـًا رغم حملـة الاعتقـالات الجماعيـة والمحاكمات التى تعرض لها أعضاء الجماعة منذ منتصـف التسـعينيات ـــ والـتى غالبًا ما استهدفت أنشط الكوادر الوسيطة ــ برغم كل هـذا حصـل الإخـوان على سبعة عشر مقعدًا فى البرلمان، ومع أن هذا العدد لا يمثل سوى 5% من مقاعد البرلمان، إلا أنه يزيد عما حصلت عليه أحزاب المعارضة مجتمعة.

لهذه النتيجـة قبـل كـل شـيء معـنى رمزيًـا يتجـاوز كثـيرًا الـوزن البرلمـانى الفعلى للإخوان المسلمين، فقد كشف هذا للرأى العام أن الإخوان يمثلون القوة المعارضـة الوحيـدة الحقيقيـة فى مصر، بـل يمكن القـول أنهـا القـوة الوحيـدة الفاعلة اجتماعيًـا، الـتى تتمتـع بنفـوذ جمـاهيرى يتجـاوز حـدود النخبـة السياسـية والثقافية فى مصر، وهذا بالرغم من الحظر الذى فـرض عليهـا منـذ أيـام جمـال عبد الناصر ولمدة تزيد عن نصـف قـرن من الزمـان، وإذا مـا أخـذنا بالاعتبـار أن عدد الأعضاء العاملين بالإخوان بلغ نحو نصف مليون عضو فى نهاية الأربعينيـات،

فإنها تمثل منذ ذلك الحين وحتى الآن أقوى المنظمات المستقلة فى تاريخ مصر الحديثة، وإحدى أقوى الحركات الجماهيرية فى الشرق الأوسط.

لا يمثل الإخوان المسلمون قوة سياسية واجتماعية هامة فى مصر فحسب، بل للمنطقة ككل، إذ أن الطلاب الوافدين من البلدان العربية والذين احتكوا بحركة الإخوان أسسوا منذ فترة مبكرة فروعًا فى بلدانهم الأم، واليوم توجد تنظيمات إخوانية ـــ شرعية أو غير شرعية ـــ فى بلدان كثيرة من أهمها التنظيمات الموجودة فى سوريا ولبنان والكويت واليمن والسعودية والجزائر والمغرب والسودان. كما وأن الكثير من إخوان الجيلين الأول والثانى يعملون كمستشارين سياسيين فى العديد من البلاد الإسلامية من المغرب وحتى ماليزيا، ومن بين الإخوان أعضاء مؤسسون فى الشبكات الدولية للبنوك الإسلامية، ومن بين هذين الجيلين أيضًا من بنى مؤسسات الإغاثة الإسلامية العاملة على المستوى العالمى، ومن بينهم أيضًا من وضع أسس تيار أسلمة العلوم، خاصة فى ماليزيا والولايات المتحدة الأمريكية، فضلاً عن التأثير الحالى الملحوظ للإخوان المسلمين على الجاليات الإسلامية فى أوروبا والولايات المتحدة.

وفى مصر، يلعب هؤلاء المتأثرون سياسيًا وأيديولوجيًا بتيار الإخوان المسلمين ـ سواء كانوا ملتزمين بفكر الجماعة أو مجرد متعاطفين معها، وبغض النظر عن طبيعة العلاقات التى تربطهم بالقيادة الحالية للجماعة ـــ يلعب هؤلاء أدوارا هامة سواء فى النقابات المهنية أو فى المساجد أو البنى الاقتصادية أو كمثقفين أو أعضاء فى السلك القضائي أو فى الشبكات الاجتماعية غير الرسمية.

لقد أثرت حركة الإخوان المسلمين ومؤسسها حسن البنا تأثيرات حاسمة على الخطاب الإسلامي، ومن خلال هذا أثروا تأثيرًا ملحوظاً على التطورات الاجتماعية والثقافية والأيديولوجية فى العالم الإسلامي أجمع، وفى غالب الأحيان حدثت هذه التأثيرات دون الرجوع علنا إلى اسم الجماعة أو الاعتماد على حسن البنا، **فالخطاب يميل عادة إلى إعادة إنتاج نفسه تاركا خلفه المؤلف فى دائرة النسيان**.

ملاحظات نقدية على الأدبيات السابقة:

قبل أن أقدم فرضياتى الخاصة، أريد أن أبدأ بتسجيل بعض الملاحظات النقدية على ما قدم حتى الآن فى الغرب وكذلك العالم العربى، خاصة مصر حول هذا الموضوع.

رجوعًا إلى الخطاطة الأولية التى أشرت اليها فى البداية حول الإخوان المسلمين، سنتوقع وجود عدد هائل من الباحثين الذين اهتموا بدراسة جماعة الإخوان ومؤسسيها. وسنتوقع كذلك أن القضايا التفصيلية ــ ومنها على سبيل المثال موقف الإخوان من قضية المرأة، وتصورهم للنظام الدولى، وتصورهم للسياسات الاقتصادية والاجتماعية.. إلخ ــ قد عولجت بتعمق وعلى نحو شمولى، وأن سيرة حياة حسن البنا وبقية مؤسسى الحركة متوفرة فى لغات كثيرة مثلما هو الحال بالنسبة للشخصيات البارزة الأخرى فى القرن العشرين.

بيد أن الغريب فى الأمر، وعلى عكس المتوقع، أنه لا تكاد توجد أية كتابات فى الموضوعات المشار اليها خارج العالم العربى، فهناك فيض من الكتابات حول الإسلام كدين، والإسلام السياسى، والأصولية الإسلامية، والإرهاب الإسلامي، والمرأة والإسلام.. إلخ، بينما لا يتجاوز عدد الدراسات التى يمكن أخذها بجدية حول أهم واكبر حركة إسلامية جماهيرية فى القرن العشرين عشر دراسات تقريبًا.

صحيح أن الكثير من الكتب التى تتناول موضوع «الأصولية الاسلامية» تتناول من ضمن جماعة الإخوان المسلمين فى عدة صفحات أيضًا، لكن إذا ما دققنا النظر قليلا سنجد أن أحدًا لم يكد يرجع إلى المصادر الأصلية العربية، كرسائل حسن البنا ذاتها على سبيل المثال، فالكل ينقل عمن سبقه، وبالتالى يبتعد الخطاب المصاغ حول الإخوان المسلمين أكثر فأكثر عن الواقع التاريخى الفعلى. ويظل العمل الموسوعى الوحيد المتوفر عن هذا الموضوع حتى الان هو رسالة الدكتوراه التى أعدها ريتشارد ميتشيل (Richard Mitchell) فى نهاية الستينيات، وقد ترجمت إلى لغة واحدة فقط وهى العربية.

هناك إذن فجوة بحثية ومعرفية واضحة حول حركة الإخوان ومؤسسيها، سواء فى الأدبيات العلمية أو فى وسائل الإعلام، وعادة ما يتم ملأ هذه الفجوة بتخمينات وأسطرة وإسقاطات متعسفة.

ربما كان أحد أسباب هذا هو أن انتباه المراقب ــ وهذا ينطبق على الصحفيين والمحررين فى وسائل الإعلام مثلما ينطبق على الكثير من الباحثين المختصين بالشرق الأوسط ــ ينصرف إلى كل ما هو مثير وغير عادى، فالظواهر التى تشكل الآخر الثقافى/الحضارى بوصفه نقيضًا متطرفا للأنا هى الأكثر تشويقا وإثارة، أما الجماعات الإصلاحية الأقل إثارة فلا تحقق هذه الوظيفة، ومن ثم يتم إهمالها.

يتحول هذا الإهمال إلى نوع من انعـدام الأمانـة فى البحث، بـل ويوشـك أن ينقلب خطرًا إذا ما أدى تناول ما هو استثنائى إلى استخلاص نتائج عامة وقطعيـة يتم إسقاطها بدون تحقيق أو مراجعة على تيارات أخرى.

هذا ما حدث بالضبط خلال العقدين الأخيرين فى المناظرة حول مـا يسـمى بالأصولية الإسلامية، فقد اندلعت المناظرات الحديثة حول ما هو إسلامي بسـبب أحداث تاريخية فارقة لهـا بُعـد عـالمي، مثـل إسـقاط الشـاه فى إيـران واغتيـال الـرئيس السـادات فى مصر، فانطلاقاً من هـذه الأحـداث ركـزت الأبحـاث على أسباب العنف الإسلامي ونشـأة الجماعـات المتطرفة ومن هنـا تم تعميم النتـائج على كافة أشكال التيارات الإسـلامية بمـا فيهـا الحركـات الإصـلاحية، دون الأخـذ بعين الاعتبار لما بينها من اختلافات وتمايزات كبيرة.

وهنا سوف أتطرق إلى عدة أمثلة لتوضيح ما أعنيه:

كانت فرضية التهميش، ومـازالت، أحد النمـاذج التفسـيرية المفضـلة بصـدد تحليـل نشـأة الجماعـات الإسـلامية الراديكالية: فوفقاً لهـذا النمـوذج التفسـيرى تجتذب الأصولية صبية مهمشين وشباًبا لا يتوفر لهم أفق للتحقق فى المسـتقبل، ووفقا لهـذا المنظـور تبـدو الأصـولية أيديولوجيـة حثالـة البروليتاريـا والبرجوازيـة الصغيرة المحبطة، ينطلق رينهارد شولتسه (Reinhard Schulze) مثلا، الـذى يُعد أحد الدارسين الجـادين للإسـلام فى المنـاطق المتحدثـة بالألمانية، من هـذه الفرضية، وذلك فى سـياق حديثـه عن نشـأة الإخـوان المسـلمين.. فحسـن البنا، طبقاً لما أشار إليه شولتسه فى دراسته عن الإسلام فى القـرن العشـرين، كـان محبطا لأنه لم يحصل بعد تخرجه سوى على وظيفة مدرس فى الإسماعيلية، أي فى أحد الأقاليم وليس فى القاهرة، ومن ثم يعتـبر شولتسـه أن تجربـة الإحبـاط هذه، واحباطات أخرى متعلقة بطفولته، كانت أحـد العوامـل الذاتيـة الـتى دفعتـه لتسييس الإخوان المسلمين[1].

لكن الصورة سوف تختلف تمامًا عما ذكره شولتسه إذا ما قرأنـا الخطابـات الـتى أرسـلها حسـن البنـا ابن الثالثـة والعشـرين من الإسـماعيلية إلى والـده، فالشاب كان فخورًا بحصوله على راتبه الأول ومن ثم طلب حضور أخيه الأصـغر إلى الإسماعيلية حتى يعتنى بتربيته ويخفف من حمل والديه، واستطاع البنا فضلا عن ذلك أن يندمج وبسرعة فى النخبة المحلية للإسماعيلية، وأن يـتزوج من ابنـة

---

(1) انظر:
einhard Schulze, Geschichte der islamischen Welt im 20. Jahrhundert, München, 1994, S.124f

أحـد التجـار المرمـوقين بالمدينة[2]، الأمـر إذن أقـرب إلى أن يكـون قصـة نجـاح وليس إحباطاً كما أشار شولتسه.

وفى أعمـــال أخـــرى يتم إســـقاط الموضـــوعات الإســـلامية العامـــة على الجماعات المفردة، فاندرياس ماير (Andreas Meier)، الـذى حـرر بالألمانيـة مجموعة من نصـوص مصـادر الحركـات الإسـلامية، يطـرح السـؤال الآتى: لمـاذا تمكنت الناصرية من الهيمنة الأيديولوجية مقارنة بالبرنامج الإسـلامي للإخـوان ؟، وتقول إجابته أن الإخوان أرادوا أن تكون حركة التحرر من الاسـتعمار البريطـاني فى إطار الخلافة العثمانية الـتى يجب اسـتعادتها، بينمـا أراد الضـباط الأحـرار أن يكون هذا التحرر فى إطـار الدولـة القومية، وفى النهايـة نجحت خطتهم الأقـرب إلى الواقع[1].

إذن.. هل كان الهدف الحقيقى للإخوان المسلمين هـو اسـتعادة الخلافة ؟!، صحيح أن قضية الخلافـة كـانت موضـع نقـاش حيـوى فى عشـرينيات وثلاثينيـات القرن الماضي، لكن الإخوان كانوا بعيدين عن تلك الحوارات بل وتجاهلوها، ولقد ناقشـها البنـا فى صـياغات حـذرة ومهذبة وهـو الأسـلوب الـذى اعتـاده البنـا فى تعامله مع خصومه وحلفائه على السواء دون استخدام هجوم لفظي قاس، نقول أن البنا ناقش مسألة عودة الخلافة فى المؤتمر العـام الخـامس عـام 1939م[2] بوصفها أمرًا غير واقعى محيلا إياها إلى مقعد انتظار التاريخ حتى لا يعاد الحـديث عنها مرة أخـرى، ولـدينا الكثـير من الأمثلـة لهـذا النـوع من الاسـتقراء المنطقى وتعميم العام على الخاص.

يصـبح هـذا التعميم وخيم العاقبـة فى الحـوارات العامـة بعـد 11 سـبتمبر، وبالتحديد فيما يخص قضية العنف، ففي أغلب الدول الغربية ترسـخ تصـور يأخـذ بهذا التطابق السهل: الإسـلامية = الأصـولية = العنف، وعلى أسـاس مثـل هـذه الصورة رأى البعض أنه من المشروع اتخاذ مواقف تمييز بـدون تفرقـة ضـد كـل أشكال الإسلام السياسى وتجريمها فى المجال العام، بل أخذ الرأى العام نفسـه يطالب بذلك، ونذكر فى هذا السياق، على سبيل المثال الحوارات حـول إمكانيـة حظر جماعة ميللى جورس (Milli Görüs) القريبة من الإخوان المسلمين والتى تعد أكبر جماعة إسلامية تركية فى ألمانيا.

---

2) جمال البنا: خطابات حسن البنا الشاب الى أبيه، القاهرة.

1) Andreas Meier, Der politische Auftrag des Islam, Wuppertal, 1994

2) رسالة المـؤتمر الخـامس، فى: حسـن البنا، مجموعـة رسـائل الإمـام الشـهيد حسن البنا، القاهرة، 1992م، ص 144 وما يليها.

وإذا ما انتقلنا إلى المناظرات الجارية فى مصر نجد أنفسنا أمام مشكلة من نوع آخر: فلقد صدر فى مصر، ولازال يصدر، عدد لانهائى من الكتب حول جماعة الإخوان فى مراحلها الأولى. لكن نشر أكثر هذه الكتب يُعد جزءًا من الصراعات السياسية الحالية لذا تكون تلك الكتب مؤدلجة بشدة، والقليل من هذه الأعمال ما يلتزم بالمعايير العلمية، وتأتى هذه المؤلفات لتبرير الموقف السياسى الخاص بالمؤلف، سواء كان مع الإخوان أو ضدهم. وهذا ما أدى الى أشياء متناقضة ومثيرة للضحك بمعنى الكلمة أحياناً: ففى فترة الأربعينيات اتهمت تقارير استخبارية الإخوان بأنهم يخططون لمؤامرة شيوعية، هذا بينما يفسر الإخوان مطاردة الحكومة لهم بأسباب عدة منها أنها مؤامرة شيوعية ضدهم.

مثال آخر يتمثل فى رفعت السعيد، السكرتير العام لحزب التجمع اليسارى، وأحد أبرز من انتقد حركة الإخوان. فعندما يتحدث إلى مستمعيه اليساريين فإنه يتهم الإخوان بأنهم كانوا عملاء للبريطانيين. وهنا يشير إلى اتصالات جماعة الإخوان المسلمين بالسفارة البريطانية إبان الحرب العالمية الثانية. وعندما يريد أن يبرر مطاردة الحكومة لأعضاء الجماعة، فإنه يشير إلى الهجمات التى قام بها بعض الإخوان فى الأربعينيات على المؤسسات البريطانية وعلى العناصر المؤيدة للبريطانيين، وذلك بهدف التدليل على الجذور الإرهابية للجماعة.

لا نستطيع إعفاء الإخوان أنفسهم من المسئولية فى هذا الصدد حيث قدم بعض الإخوان معالجات سطحية للغاية لتاريخهم المبكر، باستثناء بعض الكتب التى أضاءت بعض من جوانب هذا التاريخ، خاصة السير الشخصية لمعاصرى حسن البنا من رفقائه. ففى دار نشر واحدة تجد كتبا تسعى إلى إقامة علاقة تواصل فكرى بين حسن البنا وسيد قطب، جنبًا إلى جنب مع كتب أخرى تقرر عكس ذلك، دون أن يشير أحد المؤلفين إلى الأخرى، أو يبذل جهدا لمناقشة هذه القضية.

هناك أيضًا مشكلة بحثية أخرى تتعلق بالمنهجيات المستخدمة فالأبحاث حول الحركات الاجتماعية، والنقابات المهنية والتيارات الشبابية، أو حول تغيرات الخطاب السياسى، يتم عادة إنجازها داخل حقل البحث الاجتماعي، ولأجل ذلك تم تطوير أدوات بحثية كاملة سواء للدراسات النظرية أو الإمبريقية، أما الأبحاث حول الحركات الإسلامية فقد بقيت في الغالب خارج حقل السوسيولوجيا، إذ تم التعامل معها على أنها حكر للعلوم الإسلامية التى تعتبر نفسها علوم فقه ــ لغوية تستهدف النص فحسب ــ وتميل بالتالى إلى النظر إلى كل الظواهر الاجتماعية فى البلدان الإسلامية من خلال منظور دينى، وكثيرًا ما لا توجد لتلك

العلوم الإسلامية أية علاقة بالواقع الاجتماعي الذى تنشأ وتتطور فيه الحركات الإسلامية وما تنتجه من خطاب، وعليه لا يصبح بإمكان تلك العلوم الإسلامية تفسير المعنى الاجتماعي لهذا الخطاب.

قراءة مغايرة لحركة الإخوان المسلمين كحركة اجتماعية حداثية:

أسس حسن البنا جماعة الإخوان المسلمين، كما سبق وأشرنا عام 1928م في مدينة الإسماعيلية، وكانت الإسماعيلية آنذاك مقرا لشركة قناة السويس التي يسيطر عليها البريطانيون. من هنا كانت المدينة في نظر الكثير من المصريين رمزا للوجود الاستعماري بحي فيلات الأجانب والأحياء الفقيرة التي تأوي العمال وأسرهم من أبناء البلد ولقد ظهر هذا بوضوح في قسم الولاء لأول مجموعة إخوانية: «لا ندرى ما الطريق العملية إلى عزة الإسلام وخير المسلمين ولقد سئمنا هذه الحياة، حياة الذلة والقيود، وها أنت ترى أن العرب والمسلمين في هذا البلد لا حظ لهم من منزلة أو كرامة، وأنهم لا يعدون مرتبة الأجراء التابعين لهؤلاء الأجانب (...) وإن جماعة تعاهد الله مخلصة على أن تحيا لدينه، وتموت في سبيله، لا تبتغى بذلك إلا وجهه، لجديرة أن تنتصر، وإن قل عددها وضعفت عددها»[1].

كان البنا يطمح إلى تأسيس نظام اجتماعي إسلامي ودولة إسلامية تقوم على قيم أساسية مثل «الأخوة» و«النهوض بالرجل والمرأة معًا» و«تأمين الحق في الحياة والتعليم والملكية والعمل على العناية الصحية» وكذلك على «الحرية والأمن»، وهو ما شرحه في رسالة «بين الأمس واليوم»[1]، أما الاهتمام بالسياسة الخارجية فقد تمثل لديه بداية في تحرير مصر من نير الاستعمار.

نمت جماعة الإخوان المسلمين في وقت قصير حتى أصبحت نوعًا جديدًا تمامًا من التنظيمات الاجتماعية، ولم يأت هذا من فراغ فلقد انطلق البنا من الأشكال الموجودة بالفعل للتنظيمات الاجتماعية بغرض إعادة صياغتها والوصول بها إلى مستوى أعلى للفاعلية والتدخل الاجتماعين وهذا تمثل في:

أولاً: شهدت مصر قبل ظهور الإخوان حركات وانتفاضات شعبية واسعة، مثل تلك المظاهرات التي قادها سعد زغلول وحزب الوفد ضد البريطانيين عام 1919م، لكنها ظلت انتفاضات شعبية عفوية، وكانت الأحزاب آنذاك ــ باستثناء الوفد ــ شبكات مصالح لشرائح النخبة الأرستقراطية ونخبة الطبقة

---

(1) حسن البنا، مذكرات الدعوة والداعية. والنص منقول عن:
Richard P.Mitchell, The Society of the Muslim Brothers, Oxford 1993, S.8.

(1) حسن البنا، بين الأمس واليوم، فى: حسن البنا، مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، القاهرة، 1992م، ص 94.

البرجوازية العليا، ولم تكن بالتالي تمتلك أية جذور جماهيرية وفى سنوات ما قبل تأسيس جماعة الإخوان المسلمين نمت شبكة من الجمعيات الإسلامية، لكنها كانت في الغالب الأعم منتديات خطابية حوارية أو جمعيات خيرية، أما البنا فقد صاغ إستراتيجيته انطلاقاً من «الفرد المسلم»، مروراً بـ «الأسرة المسلمة»، ثم «الشعب المسلم»، نهاية بالحكومة الإسلامية»، تلك الإستراتيجية التي جمعت بين التنقية الروحية للفرد المسلم، والتحديث المجتمعي، وتطوير القدرة على الفعل السياسي، في سياق عضوي اجتماعي جديد.

ثانيًا: وجد كذلك قبل البنا مصلحون إسلاميون مثل الأفغاني وعبده ورشيد رضا صاحب مجلة المنار، لكن هؤلاء مثلوا تيارًا إسلاميًا فكريًا افتقد الربط بين الفكرة والفعل الاجتماعي، في حين تمكن البنا من تحويل هذا التيار الفكري الإسلامي إلى أيديولوجية سياسية شعبية، وخلق تنظيمًا يُعد بمثابة الحامل والتجسيد الاجتماعي لهذه الأيديولوجية.

ثالثاً: حاول البنا أن يتجاوز انقسام الحركات والمؤسسات الإسلامية بين إسلام صوفي وسلفية نصية أخلاقية منغلقة، كما رفض أيضًا انقسام الخطاب الإسلامي الفقهي إلى مذاهب مختلفة، لقد كان يفضل إسلامًا بسيطاً يسيرًا لكن من دون أن يشكك في السلطة الفقهية للأزهر.

وقد صاغ البنا السمات الأساسية للجماعة في مؤتمرها الخامس بالكلمات التالية: «دعوة سلفية، وطريقة سُنية، وحقيقة صوفية، وهيئة سياسية، وجماعة رياضية، ورابطة علمية ثقافية، وشركة اقتصادية، وفكرة اجتماعية»[2].

في نهاية الأربعينيات أصبح لدى الإخوان المسلمين في كافة أنحاء البلاد مراكز يضم كل منها مسجدًا ومدرسة، وكثيرًا ما كان يضم أيضًا ورشاً لتشغيل العاطلين والنساء والفتيات، وكانت فرق الجوالة تنظم المسابقات الرياضية والرحلات والمعسكرات الصيفية كذلك افتتحوا مراكز صحية، وامتلكوا بعض الصحف ومطبعة وأسسوا بعض الشركات الاقتصادية في شكل شركات مساهمة. علاوة على ذلك قاد الإخوان أول حملة لمحو الأمية على مستوى مصر، كما وضعوا أنفسهم ضمن القوى التي تخوض حركة النضال ضد الاستعمار، من هنا تطور إحساسهم بأهمية دورهم حتى أنهم أرسلوا مصطفى

---

2) رسالة المؤتمر الخامس، فى: حسن البنا، مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، القاهرة، 1992م، ص122 وما يليها.

مــؤمن إلى نيويــورك عــام 1947م بوصــفه **صــوت الشــعب المصــري** في مشاورات مجلس الأمن حول مستقبل مصر.

وفى اعتقـادي مثلت حركـة الإخـوان أول **حركة اجتماعيـة حداثيـة في تــاريخ مصر،** ســواء من حيث أساســها الاجتمــاعي، أو من حيث طروحاتهــا ومبادئها، فالحركات الاجتماعية نتاج للتغير ومنتجة له في الوقت ذاته، هكـذا كتب يواخيم راشـكا في عملـه الأساسي حـول الجماعـات الاجتماعية، فهي من ناحيـة نتــاج للمجتمعــات الحديثة، فعمليــات التصــنيع ومحــو الأميــة والتمــدين أفــرزت إشــكاليات لم يكن من الممكن التعامــل معهــا من خلال الأشــكال السياســية التقليدية أو المفروضة من قبل الدولة السلطوية ما قبل الرأسمالية، ومن ناحيــة أخرى تتمثل محاولة إنجاز هذا التغير الاجتماعي بوصفها فعلا جماعيا نافذاً، أما ما يميزها في ذلك عن الحركات ما قبل الحداثية فهو وضعها لأطــر عقلانيــة الهــدف والفعــل. فالأهــداف تفهم من خلال أســبابها حيث تحــدد في ســياق أيــديولوجي شامل وتطوير إستراتيجية عقلانية، قصيرة المـدى وبعيـدة المـدى، لأجـل التغلب على تردى الواقع.

صعود الأفندية:

جـاء تأسـيس الإخـوان المسـلمين في عصـر شـهد تغـيرًا اجتماعيًـا سـريعًا، وتكون طبقة وسطى ذات أفق برجوازي ((bürgerliche أطلق عليهــا «طبقــة الأفندية»، وكان ذلك في سياق توسع نظـام التعليم الحكـومي وجهـاز الإدارة في فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى، وتشـمل «طبقــة الأفندية» مـوظفي الجهـاز الحكومي، المدرسين، الأكاديميين أصحاب المهن الحرة مثل الأطبـاء والمحـامين والتجــار، وكــذلك طلبــة المــدارس العليا، وبــدأ الأفنديــة المنحــدرون غالبًــا من البرجوازية الصغيرة المدينية التقليدية، ومن الطبقـة الوسـطى في الريف، بـدأوا يبحثون عن توسيع وجودهم تدريجيا داخل المجال العام الذي كان أعضاء الطبقــة الأرستقراطية العليا (طبقة الباشاوات) يهيمنون عليه حتى ذلك الـوقت. هـذا في الوقت الذي كانت الجاليات الأجنبية تسيطر على الجزء الأكـبر من الاقتصـاد. من هنا كانت «طبقة الأفندية» ترى في نفسها طليعـة الشـباب الـذين يتطلعـون إلى امتلاك مستقبلهم.

أن صعود هـؤلاء الأفندية، الـذين انتقلـوا غالبًـا على المسـتوى الشخصي من تنشئة اجتماعية أسرية تقليدية إلى طريق حداثي للصعود متضمنا تحول الخطاب السياسـي، أدى صـعود هـؤلاء الأفنديــة إلى بــروز أكــبر للخطـاب الإسـلامي في الخطاب العام، لكن ذلـك الخطـاب الإسـلامي لم يكن إسـلام الأزهـر أو الإسـلام الشعبي. فالطبقة الوسطى الجديدة اعتبرت كلا الشـكلين للإسـلام أحـد أسـباب

التخلـف الاجتمـاعي للبلاد، من ناحيـة بسـبب الجمـود الأرثوذكسي للمـذاهب الإسلامية الرسمية، ومن ناحية أخرى بسـبب الاعتقـاد في الخرافـات اللاعقلانيـة للإسلام الشعبي، لقد كان الأفندية يريدون تحديث الإسلام وأسلمة الحداثـة حـتى يجعلوها مقاربة لنموذجهم الفكري والثقافي الخاص.

كـان حسـن البنـا نموذجًـا لطبقـة الأفنديـة هـذه. قضـى طفولتـه في قريـة المحمودية التي تقع في دلتا النيل وعلى أحد فروعـه (فـرع رشـيد) وكـان والـده يعمل ساعاتي، وفى أوقات فراغه يعمل كإمام مسجد وعالم خارج الهيئة الدينيـة الرسـمية، فيمـا بعـد انتقلت الأسـرة إلى القـاهرة كي يتمكن حسن، وكـان الابن الأكبر بين خمسة أطفال، من مواصلة دراسـته في كليـة المعلمين الجديـدة «دار العلوم»، ومنها انتقل إلى شغل وظيفته الأولى كمدرس في الإسماعيلية، وعندما أنشأ البنا هناك جماعة الإخـوان كـان لم يـزل في الثالثـة والعشـرين من عمـره. وعنـدما انتقـل عـام 1932م إلى القـاهرة أصـبحت جامعـة فـؤاد ذات الطبيعـة العلمانية (جامعة القـاهرة الآن) وليس الأزهـر أو المعاهـد الدينيـة مركـز التجنيـد الرئيسي للجماعة.

النهضة الحديثة أو البحث عن النهضة الإسلامية:

انعكسـت موجـة صـعود طبقـة الأفنديـة في إيمـان البنـا بالتقـدم، فقـد دعـا المسلمين إلى فهم القــرآن بوصـفه علامـات هاديـة على طريـق الفعل لم يكن البنــا يــدعو إلى الرجــوع إلى إســلام ماضوي، وإنما كــان يــدعو أتباعه إلى فهم القرآن بالتعمق في معانيه ومعايشتها فعليًا في حياتهم الاجتماعية، فـ «الفهــم» و«العمل» مصـطلحان يـترددان بصـفة دائمـة في رسـائله، لقـد كـان يـدعو إلى إحيــاء روح الإسلام وعـزم الصـحابة، والنظـر أثنـاء ذلـك إلى الأمـام للمسـتقبل بنفس التفاؤل الذي نظرت بـه الطبقـة البرجوازيـة الأوروبية(Das europäische Bürgertum) إبان صعودها.

ينتشـر مصـطلح «النهضـة الجديـدة» أو «النهضـة الحديثة»، الـتي ينبغي أن تشمل كافة جوانب الحياة، في كل كتابـات حسـن البنا ومن هنـا يتحـدث بصـورة متبادلـة عن «التقـدم» و«الـرقى» و«العمـران» و«بنـاء المسـتقبل» و«تكـوين الأمة». والتطلع، على سبيل المثال، إلى نظام تعليمي «لرجل المستقبل» الـذي سيحمل «النهضة الحديثة» على كتفيه[1].

---

(1) حسن النبا، إلى أى شيء ندعو الناس، ص 47 و 49. وانظـر أيضًـا: «هـل نحن قوم عمليـون»، فى: حسـن البنا، مجموعـة رسـائل الإمـام الشـهيد حسـن البنا»، القاهرة، 1992م , ص 68.

وتنجز قضية التقـدم في مراحـل متتابعـة متعاقبة: فـالأمم الـتي تتطلع، كمـا يـرى البنا، إلى نهضـة حديثة، لا بـد وأن تجتـاز مرحلـة انتقاليـة تبـنى فيهـا حياتهـا المستقبلية على أساس متين يضمن للجيل الناشئ الرفاهة والهناءة، وفى سياق عملية التقدم يتكامل المجتمع والعلم، فقد أكد علماء الاجتمـاع أن حقـائق اليـوم كـانت أحلامًـا بـالأمس، كـذلك فـإن أحلام اليـوم هي حقـائق الغد، فمحـور تقـدم الإنسانية وتـدرجها مـدارج الكمـال هي حقـائق أساسـية، وقـد أبـرز البنـا تفاؤلـه بالمسـتقبل مـدركا وملاحظـا أن الكثـير من الاكتشـافات والاختراعـات العلميـة المعروفة اليوم كانت في العصور المبكرة غير ممكنة التصور حتى لخيرة العلماء آنـذاك [1]،ـ ومن خلال تبنيـه لمفهـوم التـاريخ الخطى الصـاعد، وكـذلك من خلال انتقائه لمصطلحاته، يريد البنـا أن يجـد لمعانيـه ومصـطلحاته مكانـا في الخطـاب الحداثي النهضوي القائم على التنوير.

لكن، إذا كان قانون حركة التاريخ يعد عند البنا قانوناً عامًا وكونيًا، إلا أنه أكد على ضرورة أن تعتمد نهضة الشعوب الإسلامية على نظام القيم الموحى به في القرآن، وعلى وصل روحانية الدين مع التطبيق العملي، إذ على هذه الشعوب أن تهتدي في نهضتها بـالقيم الإسـلامية الأساسـية مثـل العـدل والأخـوة، كمـا ينبغي عليها محاربة الفساد الأخلاقي وعدم السماح بخرق الحدود التي سنها القرآن[1].

أريد هنا أن أشير سريعًا إلى ثلاثة أمثلة تبين كيف كان البنا يريـد أن يطبـق روح الإسـلام على الحقــل السياسي والاجتمــاعي. لكن قبــل ذلــك لي ملاحظــة منهجية: فبعض المـــؤلفين اتهمـــوا البنـــا بأنه، مختلفاً في ذلـــك عن غـــيره من المفكرين الإسلاميين، لم يقدم نموذجًا سياسيًا اجتماعيًا شاملاً، وهنـا يقـع هـؤلاء، فيما أرى، في سوء فهم لوظيفة أيديولوجية الحركات الاجتماعية. فيكتب راشكا، الـذي أشـرت إليه من قبل، عن وظيفـة أيديولوجية الحركـات الاجتماعية: «إنهـا مثل خريطة للاهتداء بها في عالم شديد التعقيد، فالتبسـيط والتركـيز على نقـاط معينة تدفع الجوهري إلى مركز الاهتمـام، فأيديولوجية حركـة مـا تـبرز تناقضـات معينة بوصفها أسباب لعدم الرضى، وتخطط صورة للواقع خالية من التناقضـات، وترى الحركة بوصفها القـــوة الوحيدة لتجنب هذه التناقضات».

كذلك توجد أسباب أخرى تفرض على خطاب أي حركة اجتماعية أن يكـون مفتوحًا: لابد وأن يحدث الخطاب نوعًا من الانـدماج والتكيـف داخـل الحركة، وأن

(**2) حسن النبا، «إلى أى شيء ندعو الناس»، ص 53.**

(**1) السابق ص 51.**

يبنى جسرًا للتواصل مع حلفاء محتملين، وأن توجد لديه القدرة على تفهم واستيعاب الحركة التاريخية.

لقد أكد حسن البنا على آلية الإجماع الاجتماعي، وكان يفضل أن تترك الأسئلة المتخصصة للمختصين، وسعى إلى إحياء مبادئ الإسلام، لكنه كان يؤمن في ذات الوقت بمبدأ ***الاختلاف*** ويدعمه علناً، وقد أشار في رسالة «دعوتنا» إلى «اختلاف العقول في قوة الاستنباط أو ضعفه وإدراك الدلائل والجهل بها والغوص في أعماق المعاني..، وإلى اختلاف البيئات حتى أن التطبيق ليختلف باختلاف كل بيئة»، ولأن الدين يدرك من خلال الفهم الذي يختلف حسب كل ذلك، فلا بد وأن تطبق مبادئ الإسلام بطرق مختلفة. وهذا هو المدخل للقول بالشمولية الكونية للقرآن، أي القول بأنه صالح للتطبيق في كل زمان ومكان.

المثال الأول: النظام السياسي:

لا بد وأن يعتمد النظام السياسي في رأى البنا على ثلاثة مبادئ رئيسة: الحفاظ على وحدة الأمة، مسئولية الحاكم أمام الأمة واحترام إرادتها، وهنا يتمتع مبدأ الحفاظ على وحدة الأمة بأولوية مطلقة حتى أمام الالتزام بأحكام السلوك الإسلامية. ويتضح هذا من خلال ذكره للحديث: «ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها.. فليس منى ولست منه»[2]، فهذا الإصرار على مبدأ الوحدة له خلفيته: فالترابط والوحدة ضد الاحتلال البريطاني كان شرطاً لنجاح الحركة الوطنية.

رفض البنا النظام الحزبي المصري رفضا قطعيًا، بيد أن أسباب ذلك كانت براجماتية وليست أيديولوجية دينية: «هي (أي الأحزاب) سيئة هذا الوطن الكبرى، وهى أساس الفساد الاجتماعي الذي نصطلي بناره الآن، وأنها ليست أحزابًا حقيقية بالمعنى الذي تعرف به الأحزاب في أي بلد من بلدان الدنيا، فهي ليست أكثر من سلسلة انشقاقات أحدثتها خلافات شخصية بين نفر من أبناء هذه الأمة، اقتضت الظروف في يوم ما أن يتحدثوا باسمها وأن يطالبوا بحقوقها»[2]، وفى مقابل هذا فإن البنا يفضل نظامًا للانتخابات الفردية المباشرة كبديل عن النظام الحزبي.

ولا تتحقق وحدة الأمة، في رأى البنا، عن طريق إجراءات جبرية من قبل السلطة، وإنما عن طريق إجماع اجتماعي يتم تشكله من خلال عمليات دستورية تشريعية تتمثل في نظام الشورى، فالحاكم مسئول أمام الجماعة ومن

---

2) حسن البنا، نظام الحكم، فى: مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، القاهرة، 1992م، ص 321.

1) السابق ص 326.

حقها أن تحاسبه وأن تعزله إذا لزم الأمر، ويحدد البنا مبدأه الثالث، أي احترام إرادة الأمة، بوصفه شكلا للعقد الاجتماعي بالمعنى الحديث. وإنه يتضمن من واجبات الحاكم أن يستشير الأمة ويأخذ بمشورتها عند ممارسته للحكم، وفى هذا السياق يقترب البنا من المفهوم البرجوازي (bürgerlich) «سيادة الشعب» وأن كان يتبناه تحت مسمى «سلطة الأمة».

المثال الثاني: مفهوم القومية عند البنا:

ليس بالضرورة أن تتحقق وحدة الأمة، التي يدعو إليها البنا، في دولة إسلامية موحدة، ففي فترة الأربعينيات وبصفة خاصة مع تنامي مشاركة الإخوان المسلمين في الحركة الوطنية، تصبح القومية المصرية بوضوح متنامي وحدة تميز اجتماعي للهوية. وفى رسالته «دعوتنا في طور جديد» سبق البنا نموذج دوائر الانتماء المتحدة المركز التي طورها فيما بعد جمال عبد الناصر، والتي تندمج فيها الهويات المتنوعة، حتى وإن لم تتطابق الدوائر عند البنا وناصر، فهي عند البنا دائرة القومية المصرية، ودائرة الأمة العربية/الإسلامية، ودائرة الشرق.

وتأتى مصر في مركز الدوائر الأخرى. يقول البنا في إحدى رسائله: «المصرية لها في دعوتنا مكانها وحقها في الكفاح والنضال.. أننا نعتز بأننا مخلصون لهذا الوطن الحبيب عاملون له مجاهدون في سبيل خيره، وسنظل كذلك.. معتقدين أن هذه هي الحلقة الأولى في سلسلة النهضة المنشودة، وأنها جزء من الوطن العربي العام، وأننا حين نعمل لمصر نعمل للعروبة والشرق والإسلام»(1).

وتأتى بعد ذلك الدائرة العربية لتعتلى الدائرة المصرية. غير أن الوقت، كما يرى البنا، لم يكن قد نضج بعد لطرح السؤال عن الشكل الممكن للكيان السياسي المنشود للأمم العربية. فمن حق كل شعب من الشعوب العربية أن يختار بنفسه الشكل المأمول للحكم. لكن لا بد بداية وقبل كل ذلك من تحقق شرطين هما: حق تقرير المصير وسيادة الشعوب، قبل أن يدور أي حوار حول البنى السياسية الأشمل، وفى هذا يرى البنا أن تحالفا بين الدول العربية، وهو ما تحقق فيما بعد في شكل رابطة الدول الإسلامية، يعد شكلا مناسبًا للتعاون، ومثل هذا التحالف سيكون عامل استقرار في نظام السلام العالمي المنشود بعد نهاية الحرب العالمية الثانية.

ويعتمد البنا على نظام القيم الذي نص عليه ميثاق الأطلسي، حيث طالب بتطبيقه على العالم العربي ـــ الإسلامي أيضًا. وهذا يعنى طلاقاً بائناً بين البنا وبين الثنائيتين الشهيرتين: الثنائية الجغرافية السياسية الإسلامية التقليدية المبنية

---

(2) حسن البنا، دعوتنا فى طور جديد، فى: مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، القاهرة، 1992م، ص ص 223-224 وص 229.

على (دار الحرب/دار الإسلام)، والثنائية الأخرى الـتي تقسـم النظـام القيمي إلى ما هو إسلامي وما ليس إسـلاميًا. فـالقيم الإسـلامية لـدى البنـا تلتقي مـع النظم القيمية الأخرى، ويمكن تحقيقها واقعيًا في النظام الدولي القـائم. وبهـذا المعـنى يكتب البنـا في خطـاب يوجهـه إلى لجنـة تكـوين الجامعـة العربية: «إننـا ننـادى بضرورة الاستفادة من التراث القرآني في الحيـاة العملية، الـذي هـو للمسـلمين دين والذي يعطى الأمة العربية والعالم أمنًا وسلامًا»[2].

المثال الثالث: النظام الاقتصادي الاجتماعي:

يعتمـد النمـوذج الاقتصـادي لحسـن البنـا على الجمـع بين العـداء للاسـتعمار الاقتصادي، وهو ما أدى به فيما بعد إلى المطالبة تأميم الممتلكات الأجنبية، وبين البحث عن طريق ثالث بين الرأسمالية والاشـتراكية وذلـك على أسـاس اقتصـاد أخلاقي إسلامي، هذا إذا ما أردنا استخدام مصطلح تومبسون (Thompson).

تعبر طروحات البنا الاقتصادية الاجتماعية عن مصـلحة البرجوازيـة الصـغيرة والطبقة الوسطى، وهما الأساس الاجتماعي للإخوان المسلمين، وذلك بتشجيعها على تخطى التفاوتـات الطبقيـة الحـادة بين الفقـر والغـنى من خلال الحـد من الملكيـات الكبـيرة، وتشـجيع الملكيـات الصـغيرة، وكـذلك الحـد من الاسـتهلاك الـترفي للطبقـات العليا وفى ذات الاتجـاه يـأتي تشـجيع البنـا على الاسـتخدام الإنتاجي لرأس المال، والتركيز على ضـرورة الالـتزام بأخلاقيـات عمـل إسـلامية تقوم على التقوى. وأساس هذا النظام الاقتصادي عند البنا هو «المـال الصـالح» الذي يجب استثماره في الإنتاج واستخدامه لأهداف خيرة تقية. ويضيف إلى هـذا النظام الاقتصادي نظام ضمان اجتماعي شامل لكل المواطنين، مشـتقا إيـاه من نظام الزكاة، لكنه يرى في الوقت نفسه ضرورة إكمـال نظـام الزكـاة التقليـدي بنظام الضرائب التصاعدية الحديث[1].

هل كان البنا أصوليا ؟

تعتبر كثير من الأدبيات حسن البنا أبًا للأصولية الإسلامية، لـذا فـإني أريـد أن أطرح هنا هذه التسمية للتساؤل.

---

1) نشر خطابه إلى لجنة تكوين الجامعة العربية فى: جمال البنا، مسئولية فشـل الدولة الإسلامية فى العصر الحديث، القاهرة، 1995م، ص 147.

2) قارن بالتصـورات الاقتصـادية للبنـا فى رسـالته: مشـكلاتنا فى ضـوء النظـام الإسلامي ــ النظام الإسلامي، فى: مجموعة رسـائل الإمـام الشـهيد حسـن البنا، القاهرة، 1992م، ص ص 335-352.

رأينا من خلال الأمثلـة الثلاثـة المـذكورة آنفاً أن البنـا لم يكن يقـف معترضـا طريـق الحداثة، ولم يكن يسـتنبط نموذجـه الاجتمـاعي من المرجعيـات النصـية الدينية مباشرة، وبهذا المعنى أعتقد أنه لم يكن أصوليًا.

يشير أستاذ علم اجتماع الدين مارتن ريزبرودت (Martin Riesebrodt) إلى الفرق بين التفكير الأصولي بوصفه شكل من الالتزام النصي بالقرآن (أو الإنجيل مثلا)، وبين ما يسميه رجوعًا يوتوبيا. فالفكر الأصولي وفقا لريزبرودت «يـرى أن أسباب أزمة المجتمع تتمثـل في الانحـراف عن مبـادئ النظـام أبديـة الصـلاحية، إلهيـة المصـدر، والـتي يتم نقلهـا نصيًا وحرفيًـا، وسـبق وأن تحققت في مجتمـع مثالي: هو ما يسـمى بالعصـر الـذهبي للجماعـة الأولى سـواء كـانت مسـيحية أو إسلامية أو غير ذلك»[1]، وتخطى الأزمة الحاضرة يكون ممكنا فقـط بـالعودة إلى القانون الإلهي. هذه هي الأصولية بالنسبة لريزبرودت.

إلى جانب ذلك وجدت حركـات ومـدارس وتيـــارات فكريـة يوتوبية، وهـذه تعلن شرعيتها أيضًا اعتمادًا على القانون الإلهي أو الوحي أو جماعة أولى مثالية، لكن هذا النظام المثـالي يتحـول إلى يوتوبيـا في إطـار **تجاوز تقـدمي** للأزمة، فليست الحروف والنص وإنما روح الماضي هي التي يمكن تحويلها إلى واقع في ظل شروط جديدة.ونعتقد أن البنا ينضوي بوضوح تحت التعريف الثاني.

في طروحاته في مجالي السياسـة الاقتصـادية والسياسـة الاجتماعيـة، على وجه الخصوص، نجـد البنـا يشـير باسـتمرار إلى **روح الإسلام،** فهـو يـدعو إلى نظام أخلاقي يقوم على الحق والعدل والأخوة، مشتقاً تلك القيم من الإسلام كما يتصوره، وفى تلك الحالات الخاصة التي يوجد بشأنها نص قطعي واضح الأحكـام، يطالب البنا بالالتزام بها، والطريق إلى هذا الالتزام يكون برجوع الفـرد إلى دينـه والتطهر الروحي، إن البنا يمثل الانتقال من التقليدي إلى الحداثي، بوصفه انتقالاً تاريخيًا، وبوصفه انتقالاً أيديولوجيًا أيضًا: فهو يدخل إلى مفاهيم الحداثـة من خلال مصطلحات تقليدية، ويملأ في نفس الوقت المفاهيم التقليدية بمضــامين حداثية، ويستبدل على نحو تدريجي جزء من المفاهيم التقليدية بمفاهيم حديثة، أما نقـده للنمـاذج الاجتماعيـة الغربيـة فإنـه يبـدأ عنـدما يتعلـق الأمـر بالأحكـام الأخلاقيـة وبالوحي الإلهي حول الدولة والمجتمع.

* * *

---

(1) **Martin Riesebrodt, Fundamentalismus als patriachalische Protestbewegung: Amerikanische Protestanten und iranische Schiiten im Vergleich, Tubingen 1990, p.19f**

[4]

قالوا عن حسن البنا(*)

في مصـــــــــر

الرئيس محمد نجيب:

«من الناس من يعيش لنفسه، لا يفكر إلا فيها، ولا يعمل إلا لها فإذا مات لم يأبه به أحد، ولم يحس بحرارة فقده مواطن، ومن الناس من يعيش لأمتـه واهبًـا لها حياته حاصرًا فيها آماله، مضحيًا في سبيلها بكل عزيزٍ غـالٍ، وهـؤلاء إذا مـاتوا خلت منهم العيـون وامتلأت بـذكرهم القلـوب، والإمـام الشـهيد حسـن البنا، أحـد أولئك الذين لا يدرك البلى ذكـراهم، ولا يـرقى النسـيان إلى منـازلهم لأنه رحمـه الله لم يعش في نفسـه بل عـاش في النـاس ولم يعمـل لصـوالحه الخاصة، بـل عمل للصالح العام».

الـــرئيس جمـــال عبد الناصر في احتفـــال مجلس الثـــورة بـــذكرى استشهاد الإمام:

«إنني أذكر هذه السنين والآمال الـتي كنـا نعمـل من أجـل تحقيقها، أذكرهـا وأرى بينكم من يستطيع أن يذكر معي هذا التاريخ وهذه الأيـام، ويـذكر في نفس

(*) **المرجع: كتاب «من وثائق الإخوان المسلمين المجهولة» للأستاذ جمـال البنـا، دار الفكر الإسلامي، الجزء الخامس، ص 337.**

الوقت الآمال العظام التي كنا نتوخاها أحلامًا بعيـدة، نعم أذكـر في هـذا الـوقت، وفي هذا المكان، كيف كان حسن البنا يلتقي مع الجميع ليعمل الجميع في سبيل المبادئ العالية، والأهداف السامية، لا في سبيل الأشخاص ولا الأفراد ولا الدنيا»، ثم قال في نهاية كلمته «وأشهد اللـه أني أعمـل – إن كنت أعمـل – لتنفيـذ هـذه المبادئ وأفنى فيها وأجاهد في سبيلها».

الشيخ محمود أبو العيون سكرتير الأزهر:

«جعل الإخوان المسلمون دارهم مدرسة يعلمون الناس حقيقة الإسلام بعـد أن غفل الناس عن حقيقة أنفسهم، وأن شباب الإخـوان يمثلـون أبطـال الإسـلام المغاوير، فهم يحملون شارة (الإخلاص.. والتضحية.. والجهاد.. والإيمان الحق)».

الشيخ محمد مصطفى المراغي:

«إن الأستاذ البنا رجل مسلم غيور على دينه، يفهم الوسط الذي يعيش فيه، ويعرف مواضع الداء في جسم الأمة الإسلامية، ويفقه أسرار الإسلام وقد اتصـل بالنـاس اتصـالاً وثيقًـا على اختلاف طبقـاتهم، وشـغل نفسـه بالإصـلاح الـديني والاجتماعي، على الطريقة التي كان يرضاها سلف هذه الأمة».

الشيخ حسنين مخلوف مفتي الديار المصرية في الأربعينيات:

«الشـيخ حسـن البنـا أنزلـه اللـه منـازل الأبـرار، من أعظم الشخصـيات الإسـلامية في هـذا العصر، بـل هـو الـزعيم الإسـلامي الـذي جاهـد في الله حـق الجهاد، واتخذ لـدعوة الحـق منهاجًـا صـالحًا وسـبيلاً واضـحًا اسـتمده من القـرآن والسُـنة النبوية ومن روح التشريع الإسلامي، وقام بتنفيذه بحكمـةٍ وسـدادٍ وصـبرٍ وعزمٍ، حتى انتشرت الدعوة الإسلامية في آفاق مصـر وغيرهـا من بلاد الإسـلام، واستظل برايتها خلق كثير».

السيد علي ماهر رئيس الوزراء:

«عادت بي الذاكرة إلى عـام 1935م، حين زارني الفقيـد الكـريم مـع بعض أصدقائه بمناسبة انتقاله بجماعته من الإسماعيلية إلى القاهرة، متحدثًا في بعض الشـئون العامة، وكـان حديثـه يشـرح صـدري وأسـلوبه يشـهد بموفـور الثقافة الإسلامية والبصر بشئون الأمم العربية، وبراعة المنطق وقـوة الحجة، وكـان إلى ذلك شديد الإيمان بأنـه يـؤدي رسـالة إنسـانية سـامية، دعائمهـا الإخـاء والمحبـة

والسـلام بين سـكان البلاد جميعًا، وفي مـارس سـنة 1939م بـارحت لنـدن بالطائرة، إثر مؤتمر فلسطين، ووصلت القـاهرة في مسـتهل الهزيـع الأخـير من ليلة لا أنساها رأيت فيها جموع الإخوان تملأ فضـاء محطـة العاصـمة، وتمـوج بهم أرصفتها، وسـمعت نداءهم «لله أكبر ولله الحمد» يـدوي عاليًا، فيأخـذ طريقـه إلى القلوب، ويملأ النفوس إيمانًا بالله، وتجردًا، للمثل العليا»

السـيد اللـواء محمد صـالح حـرب باشا الـرئيس العـام لجمعيـات الشبان المسلمين:

«استطاع عليه الرحمة أن يوقد جـذوة الفكـرة الإسـلامية في صـدور الآلاف من الشباب، فأقبلوا على الـدين وعكفـوا على القـرآن وتعلقـوا بأسـباب الثقافـة الإسلامية، وكان لهم في ميدانها جهود وجولات استطاع أن يرد غربة الإسلام بين هؤلاء الجـاهلين بـه إلى معرفـة وأنس وبـذل في سـبيل ذلـك من علمـه وجهـاده ووقته ونفسه وأعصابه وراحته مـا لا تسـتطيعه إلا العصـبة المجتمعـة من أقويـاء الرجال».

فؤاد شيرين باشا:

«كان الشيخ رحمه اللـه أمـة وحـده، وقـد جمـع من الخلال والفضـائل مـا لا يمكن حصره في مقال ينشر بإحدى المجلات، لهـذا اقتصـر في الكتابـة عنـه من ناحية واحدة هي "التواضع"، لقد كان الشيخ جم التواضع، فلم يـذكر في يـوم من الأيـام شيئاً عن نفسه، ولم يفخـر بعلمـه، ولم يكن يشـعر أنـه يـتزعم هيئـة لهـا خطرها في البلاد العربية كلها، ولكنـه تـرك النـاس يحكمـون على علمـه الواسـع ومثله العليا التي كان يضربها.

كان إذا قام يخطب الناس وقف وقفة رجـل خاشـع متواضـع، وتحـدث إليهم في صوت هادئ متزن، ولم يكن ليرفع عقيرتـه أو يحتـد في خطابـه مهمـا كـانت جدية الموضوع الذي يتناوله، ولهذا كان كلامه العذب يصـل إلى القلـوب قبـل أن يصل إلى الآذان.

استمعت له كثيرًا أيـام كـان يغشـى بلاد مديريـة القليوبيـة للاجتمـاع برجالـه والتحدث إليهم، فكنت أجـد أكـبر لـذة في الاسـتماع إليـه، والاسـتفادة من عملـه وحكمه ومواعظه التي كانت تتدفق كالماء العذب يروي نفوسًا عطاشا، بدأ مـرة إحدى خطبه بشبين القنـاطر بمحاضـرة لم أسـمع خـيرًا منهـا في علاقـة الحـاكم بالمحكومين، وما يجب أن يكون عليه كل منهم، فـوددت لـو أن هـذه المحاضـرة سجلت لتذاع في أنحاء البلاد، فينتفع بها الكل، لما اشـتملت عليـه من نصـائح لـو اتبعت لأدت إلى خير البلاد وإسعادها.

كنت معه يومًا في جمع بينها ولما حانت صلاة المغرب أبى وهو أفقه القـوم ديناً إلا أن أؤمه والجمع، تواضعًا ولو كان في قلبه ذرة من كبر أو أثر منة تمسـك بالرئاسة لما فعل، وإني لعلي يقين من أن تواضع الشيخ وتلطفـه في حديثـه مـع كل مستمع له من أكبر الأسباب التي ألقت محبتـه في قلـوب النـاس، ولـو كـان فظاً غليظ القلب لانفضوا من حوله.

رحم الله شيخنا وجزاه خير الجزاء عن الإسلام والمسلمين وعما قام به من عمل صالح للناس أجمعين».

الدكتور نور الدين طراف:

«رحم الله الشيخ حسن البنا وأسكنه واسع جناته، فلقد كان واحدًا من هؤلاء الأفذاذ الذين حبتهم العناية الإلهية بالقدرة على اكتساب قلوب النـاس واكتسـاب ثقتهم، وسلحتهم بمضاء الإيمان، يذلل لهم الصعوبات، ويمضـون بـه في سـبيلهم لتحقيق رسـالتهم في الحياة.

عرفت المغفور له الشيخ حسن البنا في مطالع عام 1947م وتـوثقت بيـني وبينه مودة كنت أحرص عليها وأعتز بها، وكان أقوى ما يحببني فيه ما كان يتصف به من رحابة الأفق وسعة التفكير، واعتزازه الشامل بما في الإسـلام من مبـادئ سبقت أحدث ما تطلبه وتريده النظم الديمقراطية الحديثة.

لقد كان خطيبًا مفوهًا، ومحدثاً حلو الحديث، سـريع العارضـة، قـوي الحجـة، عميق الدراسة الدينية، ملمًا بكل ما في الـدين الإسـلامي من نـواح تثـير اعـتزاز وفخر المسلمين، وكان كتلة من النشاط الذي لا يهـدأ أو يسـكن أو يسـتقر، فهـو في عمل متصل، وكان يملك تلـك الخاصـة النـادرة خاصـة القـدرة على التنظيم، واختيار الشخص المناسب للمكان المناسب، وكـانت ذاكرتـه القويـة تعي أسـماء كل أنصاره ومريديه على كثرتهم وضخامة عددهم.

لقد اغتال القدر الشيخ حسن البنا، وأنهى حياته بهذه الصورة المفجعة، التي انتهت به والأمة في أوج ارتقابها لمجهوده، وفي أقصى تطلعا إليـه وإلى جماعتـه الضخمة، ولا يعزينا اليوم عنه إلا أن نرى الروح التي كـان يصـدر عنهـا، والـدوافع الوطنية التي كانت تحركه، تسير وتنتشر وتأخذ مكانها بين المصريين».

الدكتور محمد طه بدوي أستاذ القانون العام:

«لقد كان الإمام الشهيد شمسًا وغيثـاً وأملاً للجامعة بل للجامعات المصرية، فأنشأ مدرسـته المثالية، وعلّم ألوفاً من إخوانـه الفلسـفة والمبـادئ الإسـلامية، فغزوا بعلومهم وأفكـارهم وثـورتهم كليـات الجامعة، وإذا بنـا نشـهد جيلاً آخر هـو

جيل المجاهدين في سبيل الفكرة الإسـلامية والـوطن الإسـلامي ولم يعـد يجـرؤ أستاذ أن يتهجم بفلسفته على تراث الإسلام الغالي، ولم يستطع جامعي أن يُلوح للبشرية بنظام خير من النظام الإسلامي الذي وجد من تلامذة الإمام الشهيد».

الأستاذ كامل الشناوي:

«لقد كان حسن البنا هو الزعيم الوحيـد الـذي آمن بـالفكرة الـتي جاهـد من أجلها، ولقد كان حسن البنا هو القائد الوحيد الذي تلمحه في صفوف الجنود».

الأستاذ محمد التابعي:

«دائم الابتسام، فاره القامة، رحب الهيكل، يبدو قويًا كشجرة السنديان، في صوته عمق وعرض وطول، وللسانه سحر إذا تكلم يتكلم فيه بالألباب والأحـاديث وأمجاد الجهاد الإسلامي».

الأستاذ علي الغاياتي:

«إذا صح ما قالـه المغفـور لـه الملـك عبـد اللـه الهاشـمي من أن الإخـوان المسلمين هم معجـزة القـرآن في هـذا الزمـان، فممـا لا شـك فيـه أن مؤسـس جماعتهم وراعي نهضتهم ومرشدهم العام المرحوم الأسـتاذ حسـن البنـا هـو رب هـذه المعجـزة، فمن علمـه وهديه، ونشـاطه وروحه وإيمانه وإسـلامه، اسـتمدت هذه الجماعة ما سمت به من عظيم الصفات، وما قامت به من جليل الأعمال».

الأستاذ إحسان عبد القدوس:

«إن البنا فتح باب الاجتهاد وأعاد إليه رونقه وصفاءه بعـد أن ران عليـه غبـار الجمود، وأشار إلى تضحية الإخوان في سبيل الدعوة، وأن شخصـية حسـن البنـا قد مُلئت قلوب جميع المصريين بحبه على اختلاف دينهم، فكان رحمه الله ودودًا باشًـا يحب كـل من يلقـاه ولم يفـرق بين مسـلم ومسـيحي، لـذلك فقـد كـان المسيحيون يحبونه، ففي كلمة للزعيم الوطني المسيحي مكرم عبيد باشا، قـال: وما من شك أن فضيلة الشيخ حسن البنا هو حي لدينا جميعًا في ذكراه، بل كيف لا يحيا ويخلد في حياته رجل استوحى في الدين هـدي ربه، ففي ذكـره حيـاة لـه ولكم، ومن ذا الذي يقول بهذا هو مكرم عبيد صديقه المسيحي الذي عرف أخـاه المسلم الكريم الصدق والصداقة معًا».

الأستاذ مصطفى أمين:

«كان يـؤمن بفكرته بطريقـة عجيبة، ويـرى أن المسـتقبل لها، وقـد انعكس ذلك على سلوكه، فكان له قدرة فائقة على إقناع الغير بذلك، أعجبني كذلك في

حسن البنا أن إيمانه بفكرته لم يكن عاطفيًا فقط بـل كـان محسـوب الخطـوات مدروسًا ولم يكن متعجلاً رغم حماسه الشديد لما يؤمن به».

* * *

في العالم العربي

إذا تطرقنـا لآراء السياسـيين ورجـال الفكـر والإصـلاح في العـالم العـربي والإسلامي لنرى كيف كانت شخصية البنـا على المسـتوى العـالمي، فقـد تحـدث الدكتور مصطفى السباعي من سوريا عن حسـن البنا، فتنـاول دعوتـه في مصـر والعالم العربي والإسلامي، وأنـه أبـرز شخصـيات القـرن الرابـع عشـر الهجـري، ودوره بارز في تاريخ الشرق.

مفتي فلسطين محمد أمين الحسيني:

«لقد كان للشهيد الشيخ حسن البنـا وأتباعـه ومريديـه في نصـرة فلسـطين والدفاع عنها جهود مشكورة وأعمال مبرورة كلها مآثر ومفاخر سجلها لهم تـاريخ الجهاد الإسلامي بحروف من نـور، وقـد بـذلوا على ثـرى فلسـطين مـع إخـوانهم المجاهدين من أبناء البلاد العربية والإسلامية دماء ذكيـة ومهجًـا غالية، واستشـهد منهم عصبة كريمة كـانت في الرعيـل الأول من المجاهـدين الـذين نفـروا خفافًـا وثقالاً لنجدة فلسطين».. وقال مفتي فلسطين الأكبر: «لقد اشتعل رأسي شـيبًا، وإنّ تحت كل شعرة لتجارب مريرة قاسية عميقة، فمـا انتهت بي هـذه التجـارب بعد طـول المطـاف إلا إلى النقطـة الـتي ابتـدأ منها الأسـتاذ حسـن البنـا جهـاده الصادق».

الأمير عبد الكريم الخطابي:

«لقد كنا نسمع عن المرحوم الأسـتاذ حسن البنـا وحركتـه الإسـلامية الفتيـة ونحن في المنفى، ولما لجأنـا إلى مصـر العزيـزة، وتقابلنـا مـع الأسـتاذ المرشـد عرفنا فيه الشخصية الإسلامية والأخوة الإسـلامية، وازداد فينـا الأمل»، ويضـيف: «إن الأستاذ البنا وليٌّ من أولياء الله الصـادقين، ولقـد حـاول إنقـاذي منـذ عشـر سنوات أو أكثر من منفاي السحيق، وأعد العـدة لـذلك ورسـم لـه الخطة، وجهـز السفن ولكن الظروف قضت بالتربص إلى فرصة أخرى، وحين تسـمح الظـروف بنشر ما لدينا من أنباء يعرف الناس حقيقة هذا الولي الكبير».

الرئيس علي عزت بيجوفتش الرئيس الأسبق للبوسنة والهرسك:

«لولا الإخوان لضاعت البوسنة والهرسك».

السيد علال الفاسي رئيس حزب الاستقلال المراكشي:

«أعتقد أن الدعوة كانت تستفيد كثيرًا من حياة البنا لو لم يوافه الأجل المحتوم، ولكن العشرين سنة التي قضاها دائبًا ليل نهار على بذر بذور فكرته وتطعيمها والعناية بها يجعلها في مأمن من أن تُطوح بها أيدي الزمان العاتية».

الأستاذ فضيل الورتلاتي الأمين العام لحزب الشورى والاستقلال المراكشي:

«عرفت الملة الإسلامية من رجال النهضة والإصلاح، كانوا من الأفذاذ، وقد كان لهؤلاء أثر محسوس في بعث المسلمين من خمولهم الذي طالت عليه عهود وأزمنة، والذي يتنافى وروح الإسلام اليقظة الوثابة، ولكن شخصية الإمام المرشد رحمة الله عليه كانت أقوى ما عرف المسلمون في عصرهم هذا من رجال الدعوة إلى سبيل الله، بل إن الإمام المرشد فاق غيره من كبار الدعاة المسلمين بأن اتخذ لدعوته الكبرى وجهة ونظامًا أصبحنا معهما قوة فعالة في سبيل الإسلام والمسلمين».

الأستاذ محمد هارون المجددي سكرتير السفارة الأفغانية:

«كان الإمام الشهيد حسن البنا رضي الله عنه وأرضاه صورة طيبة لخيرة أصحاب قائدنا الأعظم سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد ملكت مبادئ الإسلام المثالية قلبه وفكره في كل لحظة من لحظات حياته، وكان لا يعيش لنفسه، بل يعيش لهذه الأمة الإسلامية التي توالت عليها المحن».

السيد علي البهلوان السكرتير العام المساعد للحزب الحر الدستوري التونسي:

«اقترن في نظر التونسيين بحركة التجديد والتطهير التي تجسمت في الإخوان المسلمين وأصبح اسمه رمزًا لفكرة حية ومبدأ سامٍ طالما تردد بين التونسيين من غير أن يجد من يسهر على تطبيقه حتى أبرزه المرشد العظيم».

الزعيم الجزائري الشاذلي المكي:

«وفي نظري أنه إذا كان المصلحون الذين تقدموا حسن البنا مثل: عمر بن عبد العزيز، والغزالي، وابن القيم، وابن تيمية، والأفغاني، ومحمد عبده، ورشيد

رضا، وعبد الحميد بن باديس، وغيرهم، قد نادوا بالإصلاح وعملوا له، وحددوا معالمه وفقًا لقوله صلوات الله وسلامه عليه «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها»، فإن حسن البنا قد وضع لهذا الإصلاح بصمة لم يُسبق لها، لا لمعالم التجديد والإصلاح فحسب، وإنما أيضًا الأسس والأركان، ومن ثم كان من أكبر المجددين المصلحين لهذه الأمة».

وقال الشيخ محمد الغزالي:

«كنت وما زلت تلميذًا لحسن البنا، أذكر دروسه وأترسم خطاه، وأفيد من تجاربه، وأنا مستبشر بدعائه لي ورضائه عني، ونظرتي إلى ذلك الإمام الشهيد أنه من قمم الفقه الإسلامي، ومن بناة أمتنا الفقيرة إلى الرجال، بل هو ــ بلا ريب ــ مجدد القرن الرابع عشر الهجري، وأشهد بأن له بعد الله الفضل الأول في توجيهي وتثقيفي، كان لدى حسن البنا ثروة طائلة من علم النفس وفن التربية وقواعد الاجتماع، وكان له بصر نافذ بطبائع الجماهير وقيم الأفراد، وميزان المواهب، وهذه بعض الوسائل التي تعين على الدعوة وليست كلها».

وقال فضيلة الشيخ الباقوري:

«الإمام الشهيد لم يمت بهذا المعنى لأنه لم يعش لأسرته الخاصة، ولم يعش مع جماعة محدودة من أصدقائه حتى يكون من الممكن أن ينسدل عليه ستار النسيان بسلو أسرته عنه واطّراح أصدقائه لذكراه، وإنما كان يعيش ــ رحمه الله ــ في نفوس الألوف المؤلفة في مصر وفي خارج مصر، لقد صنع حسن البنا جيلاً من الناس على مثال نفسه الكبيرة، وعلمه الغزير، وإرادته الصارمة، وأسلوبه في التفكير إذا فكر، وفي التعبير إذا عبر، بل في طريقة تلاوته للقرآن إذا تلاه قاعدًا يتأمل أو قائمًا يصلي، ولقد صنع حسن البنا كذلك جيلاً من الناس أقبل على الإسلام يدرسه دراسة المستبصر، ويفهمه فهم المتأمل ويعمل به عمل المؤمن».

* * *

لقد أردنا بإيراد هذه الأقوال أن نصحح الانطباع الخاطئ الذي أراده مؤلف المسلسل عن شخصية ظفرت بتقدير من هم أعظم بمراحل من الذين حاولوا النزول بها والادعاء عليها، أو على أقل تقدير أن يعلموا أنه إذا كان هناك صوت ناقد، فهناك أصوات مادحة ومقدرة.

* * *

٥٢
كيف تحل مشكلة الإخوان المسلمين

لا جدال أن وجود الإخوان ــ بالصورة القائمة ــ وضع النظام في مأزق، فمن الواضح أنها بحكم إيمانها وتفكيرها ــ ترفض رفضًا تامًا النظام القائم الـذي هـوى بمنزلة مصر، وخرب مواردها وسمح بل وشجع طرق النهب والسلب وكافة صور الفسـاد حـتى أصـبحت الحيـاة عـذابًا، وأصـبح كـل المصـريين يفكـرون في تـرك وطنهم الذي استحوز عليه النظام إلى دولة أخرى، وتقبل الشباب أن يموتـوا في قواربهم المطاطيـة الـتي أرادوا بهـا بلـوغ الشـواطئ الأوروبيـة، لأن المـوت في البحر أفضل من الحياة في مصر.

وقد صور أزمة الموقف الأستاذ عبد العظيم حماد في كلمـة نشـرتها جريـدة «الأهرام» (يوم 20/9/2010م، ص 10) تحت عنوان «الجميع ضد الإخوان» قال فيهـا فبعـد أن اسـتعرض مضـمون المسلسـل وكـال المـديح لمؤلفـه، قـال «إن المسلسل كان أول من (أنزلوا من ذلـك الأفـق الأسـطوري المقـدس) مؤسسـة الجماعة ومرشـدها الأول الإمـام حسـن البنـا الـذي شـاهدناه بشـرًا كالبشـر من أمثاله من أصحاب الأفكار والأدوار التاريخية، وليس إمامًا معصـوماً من الخطـأ لا يعتريه الضعف ولا تشوبه الشوائب، وهو كلام لا يكون عليه غبار لو كان صـحيحًا، ولكن الحقيقة أن الإخوان لم يعتقدوا أن مرشـدهم إمامًـا معصـومًا من الخطـأ لا يعتريه الضعف ولا تشوبه الشوائب، ولا كان حسـن البنـا نفسـه الـذي يـرفض أن يقبلوا يده يرضى بهـذا، وإنمـا هـو تـدجيل المسلسـل عنـدما أراد تشـويه التـاريخ وليظهر وقائع لم تحدث بالفعل، لأنها من فعل مؤلفها ورغبته في التزييف، ويريـد المؤلف الإفـادة من «الـزخم النفسـي والفكـري» الـذي صـنعه الجـزء الأول في البحث عن حل ديمقراطي سلمي لمعضلة مصر وبقية الدول العربية مـع جماعـة الإخوان وعمـوم تيـارات الإسـلام السياسـي. والمؤلـف واهم، لأن المسلسـل لم يحدث زخمًا إلا في نفوس المهيئين لعداوة الإخوان، أما باقي الشعب فهو يعـرف الإخــوان من أعمــالهم، ويحكمــون على المرشــد من واقــع إيمانــه ومواهبــه وإخلاصه».

ولكن تظل الحقيقة هي مشكلة وجود الإخوان وتيارات الإسلام السياسي.

يقول الكاتب: «في الحالة المصرية تحديدًا يبـدو الظـرف مثاليًـا لتجربـة قـد تصل بنا إلى هذا التوافق التاريخي، فنحن مقبلون على انتخابـات برلمانية، بالغـة الأهمية، لأنها تسبق انتخابات الرئاسة من ناحية، ولأنها تـأتي بعـد انتخابـات حقـق فيها الإخوان انتصارات غير مسبوقة والذي نقترحه ببسـاطة هـو حصـار الجماعـة بأقوى الضـغوط السـلمية الديمقراطيـة المشـروعة قانونـًا لاجبارها علي مراجعـة تاريخها، وفصل العمل السياسي الذي هو نسبي ومتغير بطبيعته عن القيم الثابتة أو المطلقة، مـع الاعـتراف بحقهـا الـذي لا نـزاع عليـه في اسـتلهام تلـك القيم كمرجعية للأداء السياسي والبشري القابل للرفض والمعارضة، دون أن يُعد ذلـك اعتراضًا علي شرع الله وقيم الاسلام».

ويمضي الكاتب في شرح فكرته فيقول: « ولتحقيق ذلك يجب علي الحـزب الوطني ألا يجد غضاضة في عقـد صـفقة مـع سـائر الأحـزاب الشـرعية المؤمنـة بالديمقراطية ونسبية السياسة ومدنية الدولة لخوض انتخابات حرة تأتي ببرلمان توافقي تقل فيه أو تنعدم فرص الإخـوان للفــوز مـا لم يلـتزموا بالشـروط الـتي اتفــق عليهـا الجميع، وهي كمـا ذكرنـا احـترام الديمقراطية، ونسـبية السياسـة ومدنيـة الدولة، ورغم مـا تثـيره كلمـة صـفقة من حساسـية لدى البعض، فإنـه لا عيب في مبدأ الصفقات السياسية من حيث الأصل، بل أنها في كثير من الأحيـان تكون عملاً محمودًا، إذ أن مبدأ الصفقات هو الأساس في تشكيل ما يعرف باسم الجبهات وطنية كانت أم شعبية، ولكن يشترط في الصفقة لكي تكون غير معيبة أن تكون علنية ومعروفة المباديء والأغراض، وربما محددة المدة .

وقد جـربت مصـر هـذا النـوع من الصـفقات في مراحل مهمـة من تاريخها، أبرزها الائتلاف الكبير بين الوفد بقيادة سعد زغلـول نفسه والأحـرار الدسـتوريين بقيادة عدلي يكن بعد سقوط حكومة زيور باشا، والإئتلاف بين الحزبين أيضـًا في أولي حكومـات النحـاس باشـا سـنة 1928م بعـد وفـاة سـعد زغلـول، وفي تلك التجـارب كلهـا كـان يتفـق بين حـزب الأغلبيـة التقليـدي وشـركائه الآخـرين بعـد مفاوضات شـاقة بالطبع على إغلاق دوائر بعينها لأحزاب الأقليات حتي تمثــل في البرلمـان، دون مزاحمة أو ضـغط من حـزب الأغلبية ولم تكن النتـائج سـيئة، بـل كـانت علي العكس بالغة الايجابيـة لـولا أن أحـزاب الأقليـة بـالتواطؤ مـع القصـر الملكي كانت هي التي تنقلب على هذا التوافق أو التآلف، لتنفـرد بـالحكم بتأييـد القصر، ومن ثم تعود الحياة السياسية إلى التأزم من جديد».

إذا طبقنا ما أراده الكاتب فإن هذا لن يضع الإخوان في حصار ولكنه سيضـع النظام القائم الفاسد شكلاً موضوعًا والذي استحكم فيه الفسـاد بحيث لا يـرجى

له صلاح، في الحصار أولاً، وكلام المؤلف لا يستقيم لأنه يعرض صيغة متعارضة، فلولا الفساد لما وجد النظام نفسه في وجه معارضة الإخوان القوية والتي تستمد جزء من قوتها من فساده، وهو لا يستطيع الإصلاح لأن قادته هم في صميم الممارسين للفساد والمستفيدين منه، ومن ناحية أخرى فلا «يمكن حصار الجماعة بأقوى الضغوط السلمية الديمقراطية المشروعة قانوناً» ؟ لأنها لابد وأن تتنافى مع نظام ديمقراطي تتوفر فيه المشروعية والقانون، خاصة بعد أن سلم الجماعة بأن تتخذ من القيم الديمية كمرجعية للأداء السياسي، وهذا هو ما يطالب به الإخوان وما يرفضه النظام، ولهذا عجز الكاتب عن أن يعينها ونصح الحكومة من بأن تعقد صفقات مع الأحزاب.

فضلاً عن هذا كله، فإن الشعب لا يعطي الأحزاب التي يريد الكاتب أن يجري النظام معها صفقة أي أهمية، مما لا يكون له أثر في الرأي العام للشعب.

والحقيقة أن مقال الكاتب يعرض أزمة النظام واستحالة حلها، ولهذا تصور أن الصفقات مع الأحزاب ستعزل الشعب، في حين أن هذه الأحزاب لا شعبية لها على الإطلاق، ولا يزيد التحالف معها إلا خبالاً.

وكنا قد عرضنا لهذه المشكلة «المدلهمة» وعرضنا رأيًا لا يقتصر على حل المشكلة، بل هو يحقق للبلاد بالفعل أملها في الإصلاح الاجتماعي، ويجعل الجماعة لا تتعرض للنشاط السياسي إلا في أضيق حدود «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، ونشرناه في صحيفة «المصري اليوم» تحت عنوان « هذه المشكلة المدلهمة.. لا يمكن أن يحلها إلا الرئيس وحده.. فهل يعملها» ؟، وها هي ذي:

هذه المشكلة المدلهمة
لا يمكن أن يحلها إلا الرئيس وحده 00 ونفسه
فهل يعملها ؟

أصبح الواقع المصري مرتهناً بمشكلة الإخوان المسلمين.. فالنظام يصر على أنها «محظورة».. ومادامت محظورة فعليها أن لا تتحرك، وأن تكون موجودة كغير موجودة، وأي فرد منها يتحرك يلقى القبض عليه بتهمة الاشتراك في تنظيم محظور، أي المطلوب هو تحييد، أو شل هيئة كبيرة يعود تاريخها إلى ما قبل انقلاب 23 يوليو سنة 1952م، وينضم إليها مئات الألوف من صميم أبناء

مصر، ويقوم إيمانها على الإسلام، وهو أقوى مقومات المجتمع المصري، بل ويــا للعجب لها 88 نائبًا في مجلس الشعب.

إن الحكومة لكي تحيد وتشل الهيئة الكبـيرة خصصـت عشـرات الألـوف من الأمن المركزي بـأفراده وضـباطه وعرباتـه وسـجونه، والمهمـة الوحيـدة لهم هـو ضمان عدم تحرك الهيئة، أقل حركة، والقبض فورًا على من يتحرك والزج به في السجون تمهيدًا لعرضه أمام محاكم عسكرية أو أمن دولة.

ومعـنى هـذا أن الدولـة تخصـص مجموعـة تصـل إلى عشـرات الألـوف من العاملين في الدولة لتعطيل مجموعة تصل إلى مئات الألوف من صميم الشــعب بحيث تكـون النتيجـة تعطيـل مجموعـتين كبـيرتين لأن عمـل كـل واحـدة تعطيـل الأخرى.

إن هـذا الموقـف العبـثي لا يقتصـر على تعطيـل طاقـات مئـات الألـوف من الشعب، إن إصرار الحكومة على اعتبار الإخوان هيئة محظورة يؤدي إلى تعميــق وضع اللاشرعية لهـا، وبالتـالي فمن المحتمـل أن يـدفعها ذلـك نحـو مـا يمكن أن يؤدي إليـه انعـدام الشـرعية من سـرية، ومخـاطرات وانحرافـات، كمـا أن لجـوء الحكومة إلى العنـف سـيؤدي إلى رد فعـل لـه طبيعـة العنـف نفســه، وقـد كـان الظهور الأول لهذا البـلاء في سجون عبد الناصر، وكـرد فعــل للتعـذيب، واليــوم تكرر الحكومة الخطأ نفسـه، فكأنها تريد ميـلادًا جديدًا للعنف.

وكـل واحـد يتـابع الهجمـات المتتاليـة للأمن المركـزي وسـجن المئـات من الأعضاء ومصادرة الأموال، وتقديم المتهمين لمحاكم عسـكرية وأمن دولـة تحكم عليهم بالسجن عشرات السنين، كل هذا والهيئـة لا تحرك ساكناً، لابد وأن يعجب لمـدى حلم الهيئــة وعزوفهـا عن المقابلـة بالمثـل، ولكن إلى مـتى ؟ وقـد قيـل «اتقوا غضب الحليم».

من هذا كله يتضح أن الأسلوب الذي تتبعه الحكومـة مـع الإخـوان أسـلوب لا يمكن أن يشلها أو يوقفها، على العكس أنه يشدد عزمهـا على الثبـات، فلا يمكن مقاومة إيمان ديني بأسلوب عنف.

على كل حال، هناك من التطورات ما يوجب إعادة النظـر، فنحن على شـفا تغيير، والتغيير آت.. آت، لأن كل شـيء لـه نهايـة، ونظـام الحكم اسـتوفى مدتـه وزيادة، وهو يعيش في وقت افتراضي يوشك أن ينتهي أيضًا.

فهل هذه السياسة في مصـلحة النظـام، أو أنهـا تجعـل النظـام يحفـر قـبره بنفسه ويسـرع بنهايتـه، لأن هـذه السياسـة من العـداوة والخصـومة، واسـتخدام

الأمن والسجن لابد وأن تعمق العداوة له لدي الإخوان بحيث يعملون بكل قوة في صف التغيير.

وإذا كان هناك قوة يمكن أن تحقق التغيير وتجعله واقعًا، فهذه الهيئة هي الإخوان «فقط» وليس الأحزاب مجتمعة، هي التي يمكن أن تحققه.

فهل الحزب الوطني في حاجة لمن يقول له إن الموقف الذي يقفه من الإخوان ليس من مصلحته، وأن مصلحته هي أن يكسب تأييد الإخوان.

الحق أني لا أقول هذا لمصلحة النظام، ولكن لأني أخشى أن اندفاع الإخوان في تفعيل التغيير سيورطهم في أعماق وغمرات العمل السياسي، وسيكون هذا على حساب نقاء وطبيعة الدعوة كدعوة هداية.

وأنا مؤمن تمام الإيمان أنه ما أن تدخل السياسة من الباب حتى تخرج العقيدة من الشباك.

الحل الوحيد الذي يحقق مصلحة النظام ومصلحة الإخوان، هو أن يتولى الرئيس بنفسه.. ووحده.. حل المشكلة، لأن هذا ما يعجز عنه مستشاروه.

الحل الوحيد أن يقابل رئيس الجمهورية مرشد الإخوان.

وعندما يفعل هذا، فلن يكون الأول.

فإن النحاس باشا وهو رئيس الوزارة قابل حسن البنا، وتوليا معًا تصفية موقف حساس معقد.

والملك فاروق قابل الهضيبي المرشد الثاني لإخوان، وكان ينتظر لهذه المقابلة آثار بعيدة المدى، لولا قيام حركة الجيش.

إن لقاءات القمة لا تقتصر على السياسات الخارجية، ولكن يمكن أيضًا أن تحدث عندما تحتدم الخلافات الداخلية.

وبالطبع فلن يكون لقاء مبارك وبديع لقاء معانقات وطبطبات، ولكن تقديم تنازلات لكسب مصالح.

تتعهد الحكومة بإعادة كل حقوق الإخوان المغتصبة سنة 1954م بما في ذلك دورهم وشركاتهم وصحفهم، وتدفع تعويضات عن هذا كله، وقد تكون كبيرة، ولكنها لن تبلغ ما تخسره الحكومة في صفقات دولية وضع شروطها مسئولون يقفون ما بين العمالة أو الغباء.

ويتعهد الإخوان بأن يغسلوا أيديهم عن العمل السياسي ــ الحزبي بما في ذلك المشاركة في انتخابات، وأن يقتصروا على هداية النفوس وإصلاح الأوضاع،

وأن يعبئوا أنفسـهم للقيـام بإصـلاح اجتمـاعي شـامل ينقـذ القريـة المصـرية من واقعها المزري.

وبذلك يتخلص النظام من كـابوس، وأي كـابوس، كـابوس مشـاركة الإخـوان في عملية التغيير مشاركة تكفل لها النجاح.

سـيكون على الإخـوان أن يوضـحوا مـوقفهم أنـه ليس خيانـة، أو اسـتخذاء، ولكن العودة إلى الأصول، وقد قدم الإخوان من التضحيات ما لم تقدمه أي هيئـة أخرى، وقد انحرفت بهم الأحداث، أو فرض عليهم الانحراف، واليوم هم يحررون أنفسهم يعودون إلى فكر المرشد المؤسس ويدعون فكرًا آخر تسلل إليهم بفعل مناخ العنف، أنهم ــ كما قال حسن البنا ــ وطنيون وليسوا حزبـيين فـدورهم هـو هدايـة النفـوس والقلـوب، ومقاومـة الجهـل والفقـر والمـرض ومختلـف أسـباب التخلف.

* * *